

مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية

العدد السابع - المجلد (١١) - يوليو ٢٠١٥م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



جامعة الأندلس
العلوم والتقنية
Alandalus University For Science & Technology
(AUST)

مجلة الأندلس

للعلوم الإنسانية والاجتماعية

العدد السابع - المجلد الحادي عشر - يوليو ٢٠١٥م

ISSN: 2410-1818

@-ISSN: 2410-521X

عنوان المجلة

جامعة الأندلس للعلوم والتقنية

الجمهورية اليمنية - صنعاء - تقاطع شارع الخميس مع شارع تعز - حي الأندلس
ص.ب: ٢٧٤٤٤ هاتف: ٠٠٩٦٧١ ٦٧٥٥٦٧ فاكس: ٠٠٩٦٧١ ٦٧٥٨٨٥

البريد الإلكتروني: journal@andalusuniv.net

الموقع الإلكتروني: www.andalusuniv.net

هيئة تحرير المجلة :

رئيس التحرير :

أ.د. أحمد محمد برقعان

مدير التحرير :

أ.ك. عبدالقادر أحمد الحوثرى

أعضاء هيئة التحرير :

د. عبدالله عبدالرحمن بكير
د. فكري محمد الحميدي
د. علي مقبول الأهدل

سكرتير المجلة والمدقق اللغوي :

د. أحمد هادي باحارثة

مساعد سكرتير المجلة :

د. وائل أحمد المذحجي

مستشارو المجلة :

أ.د. عبدالله صالح بابعير
أ.د. عمر عثمان العمودي
أ.د. شرف أحمد الشهاري
أ.د. عبدالله سعيد الجعيدي
أ.د. مبارك قاسم البطاطي
أ.د. صالح علي باصورة
أ.د. أحمد سعيد بامخرمة
أ.د. محمد عمر باطويح
أ.د. حمود صالح العودي
أ.د. أحمد محمد باسردة
أ.د. عبدالعزيز بن حبتور

التنسيق والإخراج :

م. بكار يحيى مصفر

القواعد العامة وإجراءات النشر

أولاً: القواعد العامة:

- تنشر البحوث باللغتين العربية والإنجليزية، في مختلف فروع المعرفة الإنسانية والتي تتوافر فيها الشروط الآتية:
- (١) أن يكون البحث أصيلاً وتتوافر فيه شروط البحث العلمي المعتمد على المنهجية المتعارف عليها في كتابة البحوث العلمية.
- (٢) أن يكون البحث مكتوباً بلغة سليمة مراعيًا دقة الحروف والأشكال - إن وجدت - ومطبوعاً على نظام (IBM) ببرنامج (WORD) بينط (١٦) ويخط (Traditional Arabic) وألا يزيد عدد صفحات البحث عن ٣٠ صفحة متضمنة الهوامش والمراجع .
- (٣) أن يكون البحث ملتزماً بدقة التوثيق وحسن استعمال المصادر والمراجع وتبويبها كالاتي: تكتب كنية المؤلف (اسم العائلة) ثم الأسماء الأخرى للمؤلف ويمكن الاكتفاء بالحروف التي تشير إلى أسمائه، ثم يكتب أسماء المؤلفين المشتركين معه - إن وجدوا - يلي ذلك سنة النشر (ثم عنوان البحث واسم المجلة ومكان النشر، المجلد وعدد الصفحات).
- (٤) ألا يكون البحث قد سبق نشره أو قدم للنشر في أي جهة أخرى.
- (٥) يرفق بالبحث سيرة ذاتية موجزة مع تحديد التخصص الدقيق الذي ينتمي إليه موضوع البحث المراد تحكيمه ونشره .
- (٦) رسوم النشر تقدر بـ (١٥) خمسه عشر ألف ريال يماني لليمنيين ، و(١٠٠) مائة دولار أمريكي لغير اليمنيين ترسل الى حساب الجامعة عبر حواله بنكية عبر بنك التضامن الإسلامي الدولي (فرع حده) بحساب رقم (203) سويفت كود (TIBKYESA101) ، او عبر تحويل المبلغ عن طريق شبكة (ويسترون يونيون) (Western Union) .

ثانياً: إجراءات النشر:

- ترسل نسختان من البحث على ورق A4 على أن تكون المادة مطبوعة بمسافات مزدوجة بين الأسطر وعلى وجه واحد، ومحفوظة على CD متوافق مع أجهزة (IBM) وذلك إلى عنوان المجلة وترسل نسخة أخرى بالبريد الإلكتروني الخاص بالمجلة ، بحيث يظهر في غلاف البحث اسم الباحث ولقبه العلمي ومكان عمله.
- يرفق بالبحث ملخص للبحث في حدود (100 - 150 كلمة) باللغة العربية أو باللغة الإنجليزية.
- يخطر الباحث بقرار صلاحية البحث من عدمه خلال شهرين على الأكثر من تاريخ استلام البحث، وبموعد النشر، ورقم العدد الذي سينشر فيه البحث.
- في حالة ورود ملاحظات من المحكمين ترسل الملاحظات إلى الباحث لإجراء التعديلات اللازمة، على أن تعاد خلال مدة أقصاها شهر.
- للمجلة الحق في إعادة البحث إلى صاحبه إن وجدت حاجة لبعض التعديلات عليه.
- تحتفظ المجلة بحقها في إخراج البحث وإبراز عناوينه بما يتناسب وأسلوبها في النشر.
- يعلم صاحب البحث بقبول عمله للنشر.
- تلتزم المجلة بإرسال نسخة من العدد إلى صاحب البحث المنشور بعد طبع العدد.
- تؤول جميع حقوق النشر للمجلة.

الفهرس

٥ الافتتاحية

البحوث المنشورة:

- (١) حياة امرئ القيس الكندي وبيئته بين شعره والأسطورة من منظور الدكتور شوقي ضيف..... د. أحمد هادي باحارثة ٧
- (٢) تحليل واقع هيكل الصناعات الغذائية في محافظة حضرموت سالم عبدالله باصريح ٢٥
- (٣) نفع الناس للناس في ضوء القرآن الكريم د. رفعت حسين محمد عبودة ٥٥
- (٤) الكفايات التدريسية لعلمي اللغة الإنجليزية كما يعكسها تقويم الأداء الصفي لعلمي هذه المرحلة د. انتصار علي باصرة ١٠٧
- (٥) الأزمة المالية العالمية رؤية اسلامية..... طيني مريم ١٤٧
- (٦) أحاديث تخضيب الشعر بالسواد والحكم عليها د. علوي حامد محمد بن شهاب الدين ١٨١
- (٧) تأثير الصدمات النقدية على سعر صرف الدينار الجزائري د. عدالة العجال ، د. سحنون مريم ٢٠١
- (٨) فلسفة المعنى في الخطاب الأدبي (أطروحة ميشال ماير أنموذجا) د. حفيظ ملواني ٢٢٣
- (٩) دور بريطانيا في الصراع الهاشمي السعودي في الحجاز ١٩٠٨ - ١٩٢٥م د. أحمد أحمد العرامي ٢٥١
- (١٠) مفهوم الإيمان بين أهل السنة والجماعة والشيعية الاثنا عشرية د. يوسف محمد يحيى المحمادي ٢٨٥

ملاحظه

البحوث المنشورة في هذه المجلة تعبر عن آراء اصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة أو الجامعة

الافتتاحية

بِقَلَمِ أ.د. أَحْمَدَ مُحَمَّدٍ بَرْقَانٍ

رئيس التحرير - رئيس جامعة الأندلس

يأتي إصدارنا لهذا العدد ووطننا يشهد تحولات صعبة في كل الأصعدة، ولاسيما على مستوى الساحة السياسية، يتوقف عن ما ستسفر كثير من المتغيرات في حركة المجتمع في استقراره وتقدمه، وكل ما ينشده أي مواطن بسيط هو استقرار الأجواء السياسية ونقائها من الاضطرابات كي يتفرغ لحياته العملية ونشاطه الاجتماعي .

ومن بين هؤلاء المواطنين طالبو العلم وأساتذة الجامعات وسائر المعلمين والمربين والباحثين ككل، وهؤلاء هم يعدون حقاً العقل المفكر والأداة العلمية والموجه الأمين والملاذ الأمن لإعادة دراسة وتحليل كل المشكلات التي يواجهها الوطن في مختلف الأصعدة، ثم الخروج برؤية علمية وعملية لحلها بما يحقق أهداف التنمية ويحقق الرفاهية للإنسان باعتباره أداة التنمية وغايتها .

إن جامعة الأندلس للعلوم والتقنية واحدة من تلك الأوعية العلمية التي تحمل على كاهلها مثل هذه القيم والمعاني النبيلة، وهي من خلال منبرها العلمي والبحثي (مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية) تسعى إلى توسيع فرصة قراءتها وتداول محتوياتها من خلال اعتماد نظام النشر الإلكتروني الموسّع للإصدارات المتتالية على الموقع الإلكتروني للجامعة ، لكي يسهل على الأكاديميين وجميع المهتمين بالمجال البحثي متابعة جديد الأبحاث المنشورة عبر هذه النافذة، وقد جرى اعتماد آلية التواصل بالمجال البحثي متابعة جديد الأبحاث المنشورة عبر هذه النافذة، وقد جرى اعتماد آلية التواصل والتراسل وتحكيم الأبحاث إلكترونياً بما يبسط الإجراءات ويختصر الزمن من أجل إتاحة الفرصة لنشر أكبر قدر من الأبحاث والدراسات العلمية .

لقد أشرنا من قبل أنه قد تم بحمد الله تسجيل مجلتنا بصورة دائمة في الرقم التسلسلي لمعايير النشر العالمية، وستجني المجلة من ذلك فوائد عدة، يأتي من بينها حماية حقوق المؤلفين والناشرين محلياً وعلمياً وسهولة طلب المجلة والعزو إليها عند النقل منها عن طريق الرقم التسلسلي المعياري الدولي، وغيرها. ويشمل هذا العدد باقة مهمة من القضايا الحيوية والبحوث العلمية والدراسات المتخصصة في المجال الإنساني والاجتماعي، والجامعة من خلال مجلتها هذه لتحرص دوماً على استقطاب الدارسين الجادين والباحثين المتميزين وتوفير منبر علمي لهم يشجعهم على المزيد من الإنتاج العلمي والبحثي باعتباره إحدى المؤشرات الاستراتيجية لنهضة الأمة وتقدمها . ولا يسعنا في ختام كلمتنا إلا أن نشكر كل تلك الأقسام والأفراد التي لم تأل جهداً حتى ظهر هذا العدد إلى النور .

راجين لوطننا ولكل مؤسساتنا التعليمية ومراكزنا البحثية مزيداً من العطاء والتقدم والأزدهار .

**حياة امرئ القيس الكندي وبيئته بين شعره
والأسطورة من منظور الدكتور شوقي ضيف**

د. أحمد هادي باحارثة

دكتورة في آداب اللغة العربية – جامعة القاهرة
سكرتير مجلة الأندلس.



جامعة الأندلس
للعلوم والتكنولوجيا

Alandalus University For Science & Technology

(AUST)

حياة امرئ القيس الكندي وبيئته بين شعره والأسطورة من منظور الدكتور شوقي ضيف

الملخص :

الأقدمين بالقبول بعد التمهيص، مع إمكانية الجمع بين تلك الروايات في كثير من الأحيان بعيداً عن الإفراط في التشكيك، وتضخيم التضارب، وإهدار المرويات.

امرؤ القيس بن حجر الكندي شاعر يمني من حضرموت يدل على ذلك انتسابه القبلي القحطاني لقبيلة كندة اليمنية، كما يدل على ذلك أيضاً ما أورده من مواضع للبيئة اليمنية في شعره، وطبيعة مفردات لغة شعره وبعض عباراتها التي ما زالت مأنوسة ومستعملة في اللهجة العربية في المناطق الحضرمية.

إن امرأ القيس بن حجر الكندي شاعر يمني من حضرموت يدل على ذلك انتسابه القبلي القحطاني لقبيلة كندة اليمنية، كما يدل على ذلك أيضاً ما أورده من مواضع للبيئة اليمنية في شعره، وطبيعة مفردات لغة شعره وبعض عباراتها التي ما زالت مأنوسة ومستعملة في اللهجة العربية في المناطق الحضرمية.

وإن حياته، سواء قبل مصرع والده أو بعده، وإن داخلتها بعض الأساطير والمبالغات وتضارب الروايات إلا أن ذلك لا يؤدي إلى رفضها بالكلية أو رفض جملتها أو الشق الأكبر منها، وإن في شعره لما يدل على حياته مما تلقاه عامة الرواة الموثوقين والنقاد

Abstract :

Amra'o Al-Qaiss bin HajerAlkandi is a Yemeni poet from Hadramout, as indicated in his Qahtany tribal affiliation to Kinda in Yemen. Moreover, his affiliation can be figured out from his poems about the Yemeni environment as well as the nature of the words/language and expressions he uses in his poems. Such words and expressions are still common and used in the Arabic accent of Hadramout regions.

His life, either before or after the death of his father even if that

life was defamed by some fables and stories, it can not be completely or partially ignored. In his poems, there are lot of indications about the life of the poet as well as from the trusted storytellers and the ancient critics who studied those poems and agreed or disagreed with them. There is a possibility to often aggregate between the poet narrations, away from the exaggerations, doubts and contradictions of narrations.

مشكلة البحث وخطته :

امرؤ القيس بن حجر الكندي شاعر جاهلي معروف، وأحد شعراء المعلقات، وأكثر شاعر لقي شعره وحياته لغطاً عند النقاد المحدثين؛ لقدّم العهد بشعره، ولانتسابه القبلي إلى اليمن، ولاختلاط بعض محطات حياته بالأساطير، وفي هذا البحث القصير نكتفي بالإشارة إلى آراء الناقد المصري الدكتور شوقي ضيف في هذا الشاعر، ولاسيما أن ضيف قد عني بتاريخ الأدب العربي في سلسلته الشهيرة منذ تاريخه الجاهلي حتى عصوره المتأخرة، لقيت قبولاً واسعاً لدى النقاد ودارسي الأدب .

وقد تضمن البحث ثلاثة محاور، في أوله تناولت نبذة يسيرة عن حياة شوقي ضيف وجهوده في البحث الأدبي، والمحور الثاني تحدث عن البيئة التي عاش فيها الشاعر وتأثر بها في شعره، والمحور الأخير تكلمت فيه عن تداخل الأسطورة والتضارب الروائي في حياة الشاعر بمحطاتها المختلفة ورأي ضيف فيها، ومناقشته .

المحور الأول: الدكتور شوقي ضيف وجهوده في خدمة الأدب العربي

ولد شوقي ضيف في قرية (أولاد حمام) قرب مدينة دمياط سنة ١٩١٠، لأب أزهرى يدعى الشيخ عبد السلام ضيف، وفي السادسة من عمره التحق بالمدرسة الأولية بقرية وحفظ القرآن ببلوغه سن العاشرة، ثم ألحقه أبوه بالمعهد الديني بدمياط فأظهر فيه نبوغاً عالياً في اللغة والفقه الشافعي، ثم أقبل على القراءة الحرة في الصحف فأعجب بالمقالات الأدبية وشعر معها بتيار جديد يفض على عقله وقلبه .

التحق بعد ذلك بتجهيزية دار العلوم، وفتحت له هذه باباً مهماً من أبواب التعليم حين قررت كلية الآداب قبول طائفة من خريجي التجهيزية بقسم اللغة العربية ليتزودوا بأدوات البحث الحديثة في الأدب والنقد، ويلتحق ضيف بهذه الكلية ليتخرج منها سنة ١٩٣٥ بدرجة الليسانس بتفوق أهله ليصبح معيداً بقسم اللغة العربية بكلية الآداب، وسرعان ما حاز درجة الماجستير بموضوع حمل عنوان (النقد الأدبي في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني) سنة ١٩٣٩، ثم نال الدكتوراة سنة ١٩٤٢ .

عمل أستاذاً بقسمه، وما زال يترقى في الدرجات العلمية حتى أصبح أستاذاً متفرغاً، كما عمل لسنوات ببعض الجامعات العربية خارج مصر منها: جامعات بيروت

والأردن وبغداد والكويت والرياض، فتخرج على يديه عشرات من حملة الماجستير والدكتوراة فتح لهم آفاقاً من الموضوعات خدموا بها آداب اللغة العربية في جوانبها المختلفة، ونال عضوية مجمع اللغة العربية فتدرج في مناصبه حتى أصبح رئيساً له منذ عام ١٩٩٦، كما نال عضوية عاملة وشرفية في مجامع ومجالس أخرى في مصر وفي خارجها، فيمد مؤتمراتها بمحاضرات وبحوث متنوعة، وله العديد من المقالات القيمة في المجالات الأدبية والعلمية، وحاز على جوائز تقديرية عالية القيمة من مصر والسعودية والكويت .

تصنف مؤلفاته المتنوعة المجالات إلى خمسة مجموعات : الأدب وتاريخه، والدراسات الإسلامية، واللغويات، والتحقيقات، والأعمال الجمعية، عرض في المجموعة الأولى للمذاهب الفنية للشعر والنثر على مر العصور، وتاريخ الأدب العربي في مختلف عصوره وبيئاته، والأدب العربي المعاصر في مصر وأعلامه من الشعراء والكتاب، وخص ابن زيدون والبارودي وشوقي والعقاد بدراسات تحليلية، مع نهج دقيق للبحث في الأدب ونقده، وفي المجموعة الثانية قام بتفسير القرآن تفسيراً سهلاً سلساً موجزاً مريحاً للنفس والعقل، وله وراء ذلك أبحاث مهمة ومقالات جمّة، وفي اللغويات جمع بين التعمق في القديم من التراث اللغوي وبين تفتح الفكر نحو الجديد والتجديد، فكتب في تيسير النحو، ومشكلات اللغة العربية قديمها وحديثها، وحقق نصوصاً في مجالات أدبية ونحوية ودينية، كما كان عضواً في كثير من اللجان المعجمية .

وأبرز كتبه في الأدب والنقد هي: (الفن ومذاهبه في الشعر العربي)، (الفن ومذاهبه في النثر العربي)، (في النقد الأدبي)، (فصول في الشعر ونقده)، (البحث الأدبي : طبيعته، مناهجه، أصوله)، (الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية)، (التطور والتجديد في الشعر الأموي)، (الأدب العربي المعاصر في مصر)، (البطولة في الشعر العربي)، (البارودي رائد الشعر الحديث)، (شوقي شاعر العصر الحديث)، (الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور)، (دراسات في الشعر العربي المعاصر)، (البلاغة تطور وتاريخ)، (في التراث والشعر واللغة)، (العقاد)، (ابن زيدون)، (الرحلات)، (المقامة)، (الرثاء)، (النقد)، (الترجمة الشخصية) .

قال عنه الدكتور كمال بشر : " شوقي ضيف هو الرائد الأول في العصر الحديث إنتاجاً وغزارة مادة ومنهجاً ووضوحاً وتوثيقاً " (١) ، وقال : " إذا كان الدكتور طه حسين هو عميد الأدب العربي فالدكتور شوقي ضيف هو عميد الثقافة والمعرفة العربية والإسلامية " (٢) .

ويقول الأستاذ سمير غريب رئيس مجلس إدارة الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية : " إن ما قدمه الأستاذ الجليل شوقي عبد السلام ضيف من بحوث ودراسات في الأدب العربي من موضوعات وعصور وأعلام يعد بلا جدال موسوعة جامعة واضحة للأدب العربي، ينوء بكتابتها العديد من الأساتذة المتخصصين وحملها الدكتور ضيف وحده " (٣) .

ويقول الدكتور عبد المجيد حنون منوهاً بجهود ضيف في التأريخ للأدب العربي فنوناً وأعلاماً وعصوراً : " ظهرت دراسات أكاديمية جادة مثل دراسات شوقي ضيف عن الفن ومذاهبه في الشعر العربي، والفن ومذاهبه في النثر العربي، وعن شوقي شاعر العصر الحديث، والأدب العربي المعاصر في مصر، وسلسلة تاريخ الأدب العربي بأجزائها المختلفة " (٤) .

ويقول عنه آخر : " نحن أمام باحث ذي منهج أكاديمي علمي يحدد أهدافه، وما يريد أن يحققه يوفر له المادة العلمية في مصادرها ومراجعها، مع تفهم تام ودقيق واع بحركة المجتمع بأبعادها المختلفة تاريخية واجتماعية وعقلية وثقافية، والتي تتضح في الإبداع الأدبي شعراً ونثراً، ويعتمد على ذوقه الخاص في الحكم على بعض الظواهر الأدبية " (٥) .

ومن جهته يشيد الدكتور بدوي طبانة بأسلوبه ومنهجه في سلسلة تاريخه الأدبي فيقول : " للدكتور شوقي ضيف أسلوبه الفريد في دراسة الأدب منظومه ومنثوره، وهو

(١) د. شوقي ضيف على الإنترنت وفي دياره بمصر المحروسة، إشراف وتقديم د. كمال بشر، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ٢٠٠٣، ٤

(٢) نفسه ٥

(٣) نفسه ٣٦

(٤) اللانسونية وأثرها في رواد النقد العربي الحديث، د. عبد المجيد حنون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٦٩، ٢٥٢

(٥) شوقي ضيف .. سيرة وتحية، إشراف وتقديم د. طه وادي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٢، ٩٠

أسلوب ينم عن علم ودراية" ^(٦) ، ويقول عن منهج ضيف في دراسة الشعر والشعراء بأنه :
" يمضي في دراسته للشعراء ، ولا يكتفي بالتعريف والاستشهاد ، ولكنه يجتهد في
تقويم شاعريتهم ، ويشرح العوامل التي كان لها تأثير في توجيه هذه الشاعرية ،
وإعانتها على البوح بمكنونها ، ثم يتناول بقلم الناقد العارف ما خلفوه من نتاج
شعري" ^(٧) .

المحور الثاني: بيئة امرئ القيس

امرؤ القيس بن حجر الكندي شاعر جاهلي يماني من حضرموت كما هو ظاهر
من دلالة نسبه وشعره ، فنسبه يعود للقبيلة القحطانية كندة التي سكنت وادي
حضرموت منذ زمن بعيد ، وشعر امرئ القيس شاهد على المواضع التي يحن إليها
ويفخر بالانتماء لها ، بحيث لا يتأتى معرفة تفاصيلها الجغرافية والتضاريسية إلا من ابن
بيئتها ، ومن بينها مناطق دمون وعندل وصيلع وغيرها ، فنجده يقول : ^(٨)

كأنّي لم أسمر بـ(دمون) ليلة ولم أشهد الغارات يوماً بـ(عندل)

ويقول ^(٩) :

أتاني وأصحابي على رأس (صيلع) حديث أطار النوم عني وأفحما

وهذا الجبل يقع في منطقة (الهجرين) بحضرموت ، يقول عبد الرحمن بن عبيد
الله السقاف في صفة المحيط الجغرافي الذي ارتبط به الشاعر : " الهجرين واقعة في
حضن جبل فارد جاثم على الأرض كالجمل المبارك ... وفي جنب ذلك الجبل الشبيه
بالجمل من جهة الشمال آثار دمون المذكورة في قول امرئ القيس :

تطاول الليل علينا دمون " ^(١٠) .

ثم قال : " وفي جنوب الهجرين أنف ممتد من جبل ذاهب طولاً إلى دوعن ، وعليها بلدة
يقال لها (صيلع) ، وهي المذكورة في قول امرئ القيس :

(٦) دراسات نقدية في مصنفات أدبية حديثة. د. بدوي طبانة، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٢، ١٨

(٧) نفسه ١٩

(٨) ديوان امرئ القيس، تحقيق مصطفى عبد الشافي، دار كتب العلمية، بيروت، ط ٥، ٢٠٠٤، ١٥٤

(٩) نفسه ١٦٠

(١٠) إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، دار المنهاج، جدة، ٢٠٠٥، ٤١٠

أتاني وأصحابي على رأس صيلع حديث أطار النوم عني وأفحما
وقد ظفرت منها بضالة منشودة، لأنها مقطوع النزاع في حضرمية امرئ القيس " (١١) .
ومن ذلك إشارته إلى منطقة (رَحِيَّة) في غرب وادي حضرموت وبعض ما حولها من
قراها المتناثرة حيث يقول (١٢) :

خرجنا نريع الوحش بين ثقاله وبين رخيات إلى فح أخرب
قال ابن عبيد الله : " إن امرأ القيس لا يريد إلا رحية هذه، كما لا يريد بأخرب إلا
خربة القمازين من نهد، فإنها بينها وبين رحية بالتقريب مقدار أربع ساعات " (١٣) .
ورجح أن (أبان) المذكور في معلقته (١٤) :

كأن أباناً في عرانيين وبله كبير أناس في بجاد مزمل
هو جبل بحضرموت يقع بقرب منطقة شرمة الساحلية شرقي مدينة الشحر " لأن امرأ
القيس حضرمي، وقد ذكر أباناً وهو إلى جانب شرمة " (١٥) .
وأشار بعضهم أن امرأ القيس ذكر منطقة (القطن) اسم المدينة المعروفة
بحضرموت، حيث يقول (١٦) :

على قطن بالشيم أيمن صوبه وأيسره على الستار ويدبل
لكن ابن عبيد الله لم يقبل هذا القول، وعلل عدم قبوله أن (قَطْن) المذكور في
بيت امرئ القيس بالتحريك أي بفتح وسطه، بينما يُنطق اسم المنطقة الحضرمية
بسكون الوسط (١٧)، إلا أنه يبقى في رأيي احتمال حصول تحريف في النطق على ألسنة
الناس بمرور الزمان فسكن الوسط وأصله القديم الفتح؛ إذ إن له نظائر في لسان
العامة مثل تسكينهم راء (برهوت) مع كونها مفتوحة (١٨) .

وامرؤ القيس وإن قضى شطراً من عمره خارج حضرموت حيث مستقر دولة آبائه في
نجد فلا ينافي ذلك حضرميته، أو كما قال المؤرخ محمد بن أحمد الشاطري :

(١) نفسه ٤١٥

(٢) ديوان امرئ القيس ٣٤

(٣) إدام القوت ٢٦٢

(٤) شرح المعلقات السبع، أبو بكر محمد بن محمد بن القاسم الأنباري، ضبط وتنسيق د. أحمد هادي باحارثة، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ٢٠١١، ١٠٤.

(٥) إدام القوت ٢٢٦

(٦) شرح المعلقات السبع، مرجع سابق، ١٠٠.

(٧) إدام القوت ٤٨٧

(٨) انظر انحرافات اللهجات العامية الحديثة عن العربية الفصحى، د. عبد الله صالح بابعير، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، ٢٠١٢، ٣٤.

"مولده بنجد لا يخرج عن حضرميته، كالكثير من مواليد الحضارمة بالمهاجر حين يولدون بها ويعيشون ويتمسكون بوطنهم الأصيل العربي حضرموت" (١٩).

وقد ذكر الدكتور شوقي ضيف نفسه في انتساب الشاعر امرئ القيس أنه ينتمي إلى " قبيلة كنده، ومن بيت السيادة فيها، وهي قبيلة يمنية كانت تنزل في غربي حضرموت، وهاجرت منها جماعة كبيرة إلى الشمال مع هجرات اليمنيين المعروفة" (٢٠).

كل ذلك يخالف ما قاله الناقد عبد الله البردوني: " إن امرأ القيس يمانى النسب، نجدى الشاعرية والبيئة" (٢١)، بل هو يمانى الشاعرية والبيئة، يقول عنه الجغرافى عبد الله سعيد باحاج: " جاء في أشعاره بعض المعلومات الجغرافية عن دولة كنده وحضرموت عموماً، ومناطق الاستيطان البشري فيها آنذاك" (٢٢)، ويؤيد هذا المؤرخ محمد حسين الفرخ حيث قال: " إن أشعار امرئ القيس تنطق بمعالم حياته في اليمن" (٢٣).

وإن نظرة سريعة إلى معلقته الشهيرة (قضا نبك) تبين بمعجمها الشعري أن قائلها حضرمي الأرومة، ولن تشك في حضرمية قائلها، إذ ستلفت نظرك وسيقرع سمعك كلمات وعبارات مأنوسة من مثل: (غدوة، مساويك، السليط [الزيت]، الكثيب، الحنظل، المداك، ناقف، بعر، بعير، الوليد [الصبي أو الغلام]، عروس، حناء، درع [لباس للمرأة المكتهلة]، منارة، فتيت، العشاء، اللبد، غبار، الفتل، خذروف، حطه السيل، يكب، يسح، تمطى، خيط موصل، الذبال المفتل) وغيرها من الكلمات والعبائر التي ما زال يعرفها الوسط اللغوي في حضرموت، وهي وإن كانت كلمات فصيحة يتكلم بها العرب عموماً لكن بصورة متفرقة بين قبائلهم وبيئاتهم، فيدل تراكمها واختيارها دون غيرها في قصيدة واحدة للشاعر على نوع بيئته التي تنتشر فيها ذلك المفردات بعينها وهي البيئة الحضرمية .

(١) أدوار التاريخ الحضرمي، محمد بن أحمد الشاطري، دار المهاجر للنشر والتوزيع، تريم، ط٣، ١٩٩٤، ٧٠.

(٢) العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ٢٢٢.

(٣) رحلة في الشعر اليمني قديمه وحديثه، عبد الله البردوني، دار الفكر، دمشق، ط٥، ١٩٩٥، ٢٣.

(٤) حضرموت في المؤلفات العربية والأجنبية، د. عبد الله سعيد باحاج، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، ٢٠٠٤، ٣٢٠.

(٥) شعر وشعراء اليمن في الجاهلية، محمد حسين الفرخ، إصدارات وزارة الثقافة، صنعاء، ٢٠٠٤، ٧٤.

إضافة إلى بعض الاستعمالات اللغوية المعروفة في اللهجة الحضرية كتكرار استعمال مفردة (يوم) بمعنى حينما كقوله ^(٢٤) :

ويوم عقرت للعذارى مطيتي فيا عجباً من رحلها المتحمل
وقوله ^(٢٥) :

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة فقالت لك الويلات إنك مرجل
ومثل ذلك استعمال الفعل (قال) أداة للتشبيه كما في بعض قصائده خارج المعلقة كقوله في وصف فرسه ^(٢٦) :

إذا أقبلت (قلت) دُبَّاءة من الخصر مغموسة في الغدر
وإن أدبرت (قلت) أُتْفِيَّة ململمة ليس لها أثمر
وإن أعرضت (قلت) سرعوفة لها ذنب خلفها مسبط

وقد لاحظ شيئاً من ذلك الناقد والشاعر محمد سعيد جرادة ^(٢٧) ، بل يرى الناقد عبد الله محمد بن حامد السقاف أن معلقة امرئ القيس قد " قالها في حضرموت وعمره بين العشرين والثلاثين " ^(٢٨) ، لكن شوقي ضيف يرى أن امرأ القيس شب في ديار بني أسد ، ومن ثم فإن ما ورد في معلقته يعبر عن بيئة منازل بني أسد أمكنة وأحدائاً ^(٢٩) ، لكن هذا لا يمنع ما أورده السقاف من أن الشاعر نظم معلقته بحضرموت لأنها مسوقة في إطار من الذكريات ، وواقفه المؤرخ محمد حسين الفرح ^(٣٠) ، وقال " في القصيدة ذكرياته وغرامياته في مناطق نجد واليمامة ، وبما أنه ذكرها على سبيل التذكر ، فلا يتعارض ذلك مع الرأي بأنه قال القصيدة وهو باليمن " ^(٣١) ، وسواء قالها في حضرموت أو خارجها فليس في ذلك ما يعارض حضرمية قائلها كما أسلفنا وكما أفشى بذلك لسانه أو معجم قصيدته اللغوي .

^(٢٤) ديوان امرئ القيس ١١٢

^(٢٥) نفسه

^(٢٦) نفسه ٧٢ ، الدبابة والسرعوفة من أسماء الجراد ، الأتفية صخرة الموقد ، وانظر في استعمال الفعل (قال) للتشبيه في بعض اللهجات اليمنية كتاب: اللهجة الباقعية دراسة تقابلية مع الفصحى في ظواهر صرفية ونحوية ، د. سند محمد عبد القوي سالم ، مركز عبادي للدراسات والنشر ، صنعاء ، ٢٠١٣ ، ٢٥٤

^(٢٧) انظر الأدب في اليمن عبر العصور ، محمد سعيد جرادة ، دار الفارابي ، بيروت ، ١٩٧٧ ، ٤١

^(٢٨) تاريخ الشعراء الحضرميين ، عبد الله محمد بن حامد السقاف ، مكتبة الطائف ، ١٤/١

^(٢٩) العصر الجاهلي ٢٤٨

^(٣٠) شعر وشعراء اليمن في الجاهلية ٣١٠

^(٣١) نفسه ٣١٢

وقد عاش امرؤ القيس الكندي شاعراً لاهياً بعيداً عن ملك آبائه في نجد ، لكنه تولى الأخذ بثأر أبيه بعد مصرعه على يد بني أسد وتقوض ملكه ، ثم سعى لاسترداد ذلك الملك بمعونة من ملك الروم ، إلا أن أحد أفراد قبيلة أسد تمكن أخيراً من اغتياله . وهو من أوائل الشعراء الجاهليين ومتقدميهم ، وأجودهم شعراً وأرسخهم إبداعاً ، وشهد له كبار النقاد العرب القدماء بالتفوق والتقدم على نظرائه ومعاصريه ، ومن ذلك ما قاله عنه الناقد ابن قتيبة : " سبق امرؤ القيس إلى أشياء ابتدعها واستحسنها العرب واتبعه عليه الشعراء من استيقافه صحبه في الديار ورقة النسيب وقرب المأخذ " (٣٢) ، ومن ثم رأينا الناقد سعيد عوض باوزير يقول : " إن شعر امرئ القيس الكندي أصدق وأوضح صورة للمستوى الرفيع الذي وصل إليه الأدب في حضرموت " (٣٣)

المحور الثالث: حياة امرئ القيس بين شعره والأسطورة

تتبع الدكتور شوقي ضيف تطور نشأة وانهيار دولة كندة التي بلغت أوج سلطانها في عهد جد الشاعر وهو الحارث بن عمرو الذي بث أولاده ولادة على القبائل فكان والده حجر سيداً على بني أسد ، إلا أن الجد قتل بعد أن هزم أمام ملك الحيرة المنذر بن ماء السماء الذي ألّب القبائل على أبنائه فكان أن قتلت أسد أميرها حجر أبا امرئ القيس بعد صراع طويل معها لإخضاعها .

ثم أورد عن الأصفهاني أربع روايات في مقتل أبيه على يد بني أسد (٣٤) ، وأولها عن هشام بن الكلبي أنهم اغتالوه وهو في قبته انتقاماً لما ساءمهم به من إذلال ، وثانيها عن أبي عمرو الشيباني أنهم اغتالوه أثناء سيره لهم ، ثالثها عن الهيثم بن عدي أنه حارب أسداً فانهزم ، وقتل في المعركة ، وفرت جموعه ، ومن بينهم ابنه امرؤ القيس ، وفي رابعها أنهم أسروه فقتله أحدهم ثأراً .

(٣٢) الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ٤٤.٢٠٠٠

(٣٣) الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، سعيد عوض باوزير، دار الطباعة الحديثة، القاهرة، ٤٠.١٩٦١، وانظر سعيد عوض باوزير ناقداً أدبياً، د. أحمد

هادي باحارنة، دار الوجودية للدراسات والنشر، غيل باوزير، ٢٢.٢٠١٣

(٣٤) انظر الأثماني، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق د. إحسان عباس وآخرين، دار صادر، بيروت، ٦٢/٩.٢٠٠٢

وقد ضعف ضيف الرواية الأولى بأن طعن في راويها ابن الكلبي، ولما اشتملت عليه من قصيدة أنشدها شاعر بني أسد عبيد بن الأبرص يذكر في أحد أبياتها يوم القيامة، بينما هو شاعر وثني^(٣٥)، يقول في ذلك البيت^(٣٦) :

أنت المليك عليهم وهم العبيد إلى القيامة

وضعف الروايتين الثانية والرابعة لما رآه من جرأة قبيلة أسد على اغتيال الملك الكندي أمام قومه دون أن يحركوا ساكناً^(٣٧).

ورجح الرواية الثالثة لأنها توافق ما ورد في ديوان الشاعر عبيد الأبرص المعاصر للأحداث من ذكر فرار امرئ القيس من أرض المعركة، ومن الفخر المتكرر بهزيمة جموع كندة وقتل مليكها^(٣٨).

وعلى هذا الأساس رفض رواية بلوغه مقتل أبيه وهو لاهٍ سكران بمنطقة دمون، ولعل الأجدى في رأبي هو الجمع بين الروايات مادام ذلك ممكناً.

إذ لا يستبعد فراره من المعركة عندما اشتدت وطأة أسد على قومه وميلان الكفة لصالحها وقبل حدوث الهزيمة المبرمة ومصراع والده، لاسيما أنه عاش مترفاً مرفهاً ومثل حاله لا يقوى على الصمود طويلاً في المعارك، ثم هام على وجهه وهو غير متوقع أن تكون تلك المعركة حاسمة، وإنما هي حلقة في الصراع القائم بين القوم والدة، وعاد لجلسائه في أرض دمون ليبلغه هناك الخبر غير المتوقع بمصرع والده، وقد يكون مصرعه في ميدان المعركة كما يؤكد شعر عبيد الأبرص، أو أثناء أسره كما تحكي الرواية التي ليس قول عبيد بأولى بالتصديق منها، إذ ربما قصد المبالغة والتهويل، أو قصد مصرعه أسيراً على مقربة من زمن المعركة أو ساحتها أو أنها مهدت لمصرعه.

وقد أشار الدكتور الطاهر مكي لتلك الروايات ورجح بدوره رواية الهيثم بن عدي، إلا أنه أشار إلى إمكانية الاستفادة من سائر الروايات^(٣٩)، كما تعرض لهذا

(٣٥) العصر الجاهلي ٢٣٥

(٣٦) ديوان عبيد بن الأبرص، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٤، ١٠٩.

(٣٧) نفسه

(٣٨) نفسه

(٣٩) انظر: امرئ القيس حياته وشعره، د. الطاهر مكي، دار المعارف، ط٦، ١٩٩٣، ٤٩.

الاحتمال الذي ذكرته في الجمع في سير الأحداث لكنه رآه مسرفاً في التأويل^(٤٠)، ولا أراه كذلك، لأنه يبقى محتملاً، لاسيما مع تباعد المسافات وبطء التواصل، والروايات تؤكد، وإلا نكون قد أهدرناها ولم نستفد منها .

ثم شرع شوقي ضيف يستعرض ملامح من حياة الشاعر امرئ القيس، فقال: " لا نعرف شيئاً عن مولده، ويظن أنه ولد في أوائل القرن السادس للميلاد، وليس بين أيدينا أي شيء واضح عن نشأته وكيف أمضى أيامه الأولى في شبابه إلا أخباراً تغلب عليها الأسطورة "^(٤١).

ثم ذكر روايات لهشام ابن الكلبي وابن قتيبة وآخرين وسارع إلى رفضها جميعها، فقال: " الحق أن هذه الأخبار ظاهرة الانتحال هي وكل ما يتصل بها من أشعار يسوقونها على لسانه، وكأن ابن الكلبي وغيره من الرواة استلهموا ما تدل عليه أشعاره الصحيحة من أنه كان صبياً بالشراب والصيد ومغازلة النساء فلفقوا هذه الأخبار وضمنوها بعض الأشعار، وفاتهم أنه عاش في عصر الوثنية وأنه كان أميراً من أسرة تفرض سيادتها على كثير من القبائل فلا عجب أن يحيا حياة لاهية لا تتورع عن الإثم "^(٤٢).

إن هناك حالة جفاء صارخة بين الدكتور شوقي ضيف والراوي هشام ابن الكلبي، فنراه يبادر لرفض ما يرويه ويتهمه بتلفيق الأخبار حتى لو لم يكن منفرداً بما يرويه، أو وجد ما يشهد لروايته، لكننا نرى آخرين يقفون موقفاً معتدلاً من هذا الرواية العربي، ويرون أنه كان ناقلاً، ولا يستبعدون أن تكون العهدة في أخباره على المصادر المفقودة التي اطلع عليها ونقل عنها، وأن ثمت شواهد مادية تصدق بعض مروياته الإخبارية، لذا من الحيف به وبأخباره أن نسارع بالطعن فيها ورفضها، ولاسيما عند عدم انفراده، أو وجود ما يشهد لها مما يدل على واقعيته، على الأقل في أصلها أو في جملتها، ويرون أنه من التحكم بمكان أن نهدرها أو نعرض عنها كلية، لمجرد الشك الظني في روايتها^(٤٣).

(٤٠) نفسه ٢٥

(٤١) العصر الجاهلي ٢٣٦

(٤٢) نفسه ٢٣٨

(٤٣) انظر مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، د. ناصر الدين الأسد، دار الجيل، بيروت، ط ٨، ١٩٩٦، ١٦٢.

كذلك رفض شوقي ضيف الرواية التي تتحدث عن رحلة امرئ القيس إلى مدينة القسطنطينية^(٤٤)، مرجعاً رفضه أيضاً إلى ضعف الراوي ابن الكلبي كالمعتاد من ناحية، ولأن "التلفيق فيها بين واضح"^(٤٥) كما قال، ورجح أنه توفيق وهو في طريقه إليها في حال قبول حدوث الرحلة أصلاً^(٤٦)، ورفض رواية وصوله وتغزله بابنة القيصر فانتقام هذا منه بلبس الحلة، ورجح أن هذه القصة من نسج القصص لفقوها لتتماشى مع ما هو معهود من حياة الشاعر امرئ القيس وما اشتهر به من مغامرات ماجنة، "وكأنهم أرادوا أن لا يخلوه في القسطنطينية من ضرب من ضروب هذه المغامرات الجريئة"^(٤٧)، ولأجل ذلك تشكك ضيف في صحة قصيدة وصف رحلته للقسطنطينية، ورفضها ودعا إلى إسقاطها من ديوانه^(٤٨).

وهنا خالف ضيف مقاييس له في القبول والرفض للروايات عن الشاعر امرئ القيس وإثبات شعره، ونعني به هنا مقياسين، أولهما الثقة بمرويات عبد الملك الأصمعي للشعر الجاهلي، وثانيهما الاستدلال بشعر عبيد بن الأبرص، فهذا الشاعر قد أشار في شعره لتلك الرحلة حيث يقول^(٤٩):

أزعمت أنك سوف تأتي قيصرًا فلتهلكن إذن وأنت شامي

كما إن قصيدة وصف الرحلة أكد عامة رواة الشعر الجاهلي على نسبتها إلى امرئ القيس، ومن بينهم الأصمعي الذي يوثق ضيف رواياته الشعرية^(٥٠)، وإن أبدى احتراسه^(٥١) إلا إنه في رفضه لهذه القصيدة لمجرد شكه في حقيقة الرحلة غير مقبول وليس له ما يبرره، بل ويخالف مقاييسه هو كما رأينا .

إن الروايات العربية جميعها، تاريخية وأدبية، تجمع على حدوث رحلة امرئ القيس الكندي ووصوله إلى مدينة القسطنطينية، وهنا نجد الدكتور الطاهر مكي يرى

^(٤٤) العصر الجاهلي ٢٤٢

^(٤٥) نفسه ٢٤٠

^(٤٦) نفسه

^(٤٧) نفسه ٢٤١

^(٤٨) نفسه ٢٤٥

^(٤٩) ديوان عبيد بن الأبرص ١١٦

^(٥٠) العصر الجاهلي ٢٤٤

^(٥١) نفسه ٢٤٥

تحقق حدوث تلك الرحلة مستدلاً بأن " اتجه امرئ القيس إلى القسطنطينية ليس بغريب ولا الأول من نوعه في تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام " (٥٢) ، ومن ناحية أخرى أشار باحث آخر إلى " أن الاستعانة بقوى أجنبية عن شبه جزيرة العرب أمر ثابت الوقوع " (٥٣) ، بل رأى مكي أن الظروف السياسية آنذاك " مهياة لتجعل من الذهاب إلى القسطنطينية محاولة يمكن أن تتجح " (٥٤) ، كما لم يستبعد رواية تغزل امرئ القيس بابنة القيصر " لأن التغزل في امرأة جميلة ليس بمستغرب من شاعر هوايته الحديث عن النساء ، ولم يكن مما يعاب في بيزنطة في عصر امرئ القيس ولا بعد عصره " (٥٥) ، ودلل على ذلك ببعض النظائر التاريخية .

ثم إن الروايات العربية كذلك تجمع على فشل الشاعر امرئ القيس في مهمته ، ووفاته في طريق عودته ، ومنها أن رجلاً من بني أسد يدعى (الطماح) أوشى للقيصر بما أغضبه على امرئ القيس ، فبعث له معه بحلة منسوجة بالذهب لكنها مسمومة ، فلبسها الشاعر فتأذى بها جلده ، وسرى السم في جسمه ، ثم لم يلبث أن توفي بأنقرة وسط تركيا ، وقد رفض شوقي ضيف القصة جملة وتفصيلاً (٥٦) ، لأنه لم يسلم أصلاً لوصول امرئ القيس إلى القسطنطينية ، وتهكم من دعوى تغزله بابنة القيصر التي تزعم القصة انتقام القيصر لأجلها من الشاعر المتغزل بتلك الحلة ، ولم يذكر سبباً آخر أدى لوفاته ، أما مكي فرأى أن إشارة الروايات لأذى في جلد امرئ القيس تسبب في وفاته يشير لمرض جلدي أصابه رافضاً تعليقه بالحلة المسمومة ، وإنما " المرض هو الذي أودى به في الحقيقة " (٥٧) .

لكن مكي لم يستبعد ما أكدته الروايات من ذهاب رجل من بني أسد لإفساد سفارة امرئ القيس ، إلا إنه تشكك في اسمه الذي ورد في بيت الشاعر ، وهو (الطماح) ، ورآه مجرد " صيغة مبالغة من طمح " (٥٨) ، وليس ما يمنع أن يكون هذا هو

(٥١) امرؤ القيس حياته وشعره ٩٠

(٥٢) أدب ما قبل الإسلام، محمد عثمان علي، المؤسسة العالمية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٣، ١٤٥، ومما أشار إليه استعانة سيف بن ذي يزن بالفرنس .

(٥٣) امرؤ القيس حياته وشعره ٨٧

(٥٤) نفسه ٩١، واستشهد بالشاعر الأندلسي يحيى الغزال الذي تغزل بزوجة القيصر غزلاً نال إعجاب القيصر وزوجته على السواء .

(٥٥) انظر العصر الجاهلي ٢٤٢

(٥٦) امرؤ القيس حياته وشعره ٩٢

(٥٧) نفسه ٩١

اسمه واختار الشاعر الفعل طمّح للمشكلة اللفظية، بل هو الأقرب لصنيع الشعراء، ومثله قول الشاعر الأموي المعروف جرير في هجاء رجل يدعى (ميجاس) ^(٥٩) :

لقد توجس ميجاس فعابنه معاود جر أوصال وأوصال

ومع ذلك نرى مكي يرفض صحة الحلة المسمومة دون أن يعطي تفسيراً لمعنى البيت مع اعترافه بوثوق نسبه لامرئ القيس، أو يخبرنا بمصير مبعوث بني أسد الذي اقتصر على مناقشة اسمه، ولا أرى ما يمنع من صحة رواية مصرعه بالحلة المسمومة المبعوثة من القيصر خوفاً على قادة جيشه كما أوغر صدره ذلك الأسدي، وربما ساعدته ابنته في سوء الظن به كما ترى الرواية الأخرى، ويستقيم الأمر بأن نقول إن امرأ القيس تسلم الحلة من يد رجل من الروم أنفسهم باتفاق مع الأسدي لأنني أستبعد أن يسلمها له بنفسه، ولا يستبعد أن يكون الأسدي هو من سلمها بنفسه متتكرراً في زي جندي رومي، وهذا يدل على عظيم دهائه وما استعمله من خداع وتلطف حتى أوقع بامرئ القيس، وقد علم الشاعر بكيد عدوه بعد تضرره من لبسها، فقال في ذلك أبياته المعروفة .

المصادر والمراجع :

- (١) الأدب في اليمن عبر العصور، محمد سعيد جرادة، دار الفارابي، بيروت، ١٩٧٧
- (٢) أدب ما قبل الإسلام، محمد عثمان علي، المؤسسة العالمية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٣
- (٣) إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، دار المنهاج، جدة، ٢٠٠٥
- (٤) أدوار التاريخ الحضرمي، محمد بن أحمد الشاطري، دار المهاجر للنشر والتوزيع، تريم، ط٣، ١٩٩٤
- (٥) الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق د. إحسان عباس وآخرين، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٢
- (٦) امرؤ القيس حياته وشعره، د. الطاهر مكي، دار المعارف، ط٦، ١٩٩٣

^(٥٩) شرح ديوان جرير، محمد إسماعيل الصاوي، مطبعة الصاوي، القاهرة، ١٩٣٤، ٤٢٤

- (٧) انحرافات اللهجات العامية الحديثة عن العربية الفصحى، د. عبد الله صالح
بابعير، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، ٢٠١٢
- (٨) تاريخ الشعراء الحضرميين، عبد الله محمد بن حامد السقاف، مكتبة الطائف
- (٩) حضرموت في المؤلفات العربية والأجنبية، د. عبد الله سعيد باحاج، دار
حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، ٢٠٠٤
- (١٠) د. شوقي ضيف على الإنترنت وفي دياره بمصر المحروسة، إشراف وتقديم د.
كمال بشر، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ٢٠٠٣
- (١١) دراسات نقدية في مصنفات أدبية حديثة، د. بدوي طبانة، مكتبة الإنجلو
المصرية، القاهرة، ١٩٩٢
- (١٢) ديوان امرئ القيس، تحقيق مصطفى عبد الشايف، دار كتب العلمية، بيروت،
ط٥، ٢٠٠٤
- (١٣) ديوان عبيد بن الأبرص، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٤
- (١٤) رحلة في الشعر اليميني قديمه وحديثه، عبد الله البردونى، دار الفكر، دمشق،
ط٥، ١٩٩٥
- (١٥) سعيد عوض باوزير ناقداً أدبياً، د. أحمد هادي باحارثة، دار الوجيدة للدراسات
والنشر، غيل باوزير، ٢٠١٣
- (١٦) شرح ديوان جرير، محمد إسماعيل الصاوي، مطبعة الصاوي، القاهرة، ١٩٣٤
- (١٧) شرح المعلقات السبع، أبو بكر محمد بن محمد بن القاسم الأنباري، ضبط
وتتسيق د. أحمد هادي باحارثة، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١١
- (١٨) الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الكتب
العلمية، بيروت، ٢٠٠٠
- (١٩) شعر وشعراء اليمن في الجاهلية، محمد حسين الفرح، إصدارات وزارة الثقافة،
صنعاء، ٢٠٠٤
- (٢٠) شوقي ضيف .. سيرة وتحية، إشراف وتقديم د. طه وادي، دار المعارف، القاهرة،
١٩٩٢
- (٢١) العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف، دار المعارف

- ٢٢) الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، سعيد عوض باوزير، دار الطباعة الحديثة، القاهرة، ١٩٦١
- ٢٣) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، د. ناصر الدين الأسد، دار الجيل، بيروت، ط٨، ١٩٩٦
- ٢٤) اللانسونية وأثرها في رواد النقد العربي الحديث، د. عبد المجيد حنون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٦٩
- ٢٥) اللهجة اليافعية .. دراسة تقابلية مع الفصحى في ظواهر صرفية ونحوية، د. سند محمد عبد القوي سالم، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ٢٠١٣

**تحليل واقع هيكل الصناعات الغذائية
في محافظة حضرموت**

**Analysis of the Structure of Food Industries in
Hadhramout Government**

سالم عبد الله باصريح

جامعة حضرموت، كلية الآداب، قسم الجغرافية



جامعة الأندلس
للعلوم والتكنولوجيا

Alandalus University For Science & Technology

(AUST)

تحليل واقع هيكل الصناعات الغذائية في محافظة حضرموت

الملخص :

خلال عرض تطور الواقع الجغرافي للمؤشرات الإنتاجية على مستوى الدولة الجمهورية اليمنية، وعلى مستوى الإقليم محافظة حضرموت ومن خلال تلك المؤشرات جرى تحليل واقع هيكل الصناعات الغذائية في محافظة حضرموت باستخدام عدد من أساليب التحليل الكمي لإجراء تحليل جغرافي إحصائي يهدف إلى إبراز مستويات الاستخدام الصناعي، ومستويات تخصص هذه الصناعة وإبراز أهميتها النسبية وتحديد مستويات توطنها، مستهدفين الوصول إلى تحديد الوزن الاقتصادي لفروع الصناعات الغذائية في محافظة حضرموت.

يشكل الهيكل الصناعي القائم على المقومات الجغرافية ركيزة أساسية للتحويلات الاقتصادية في محافظة حضرموت، التي تقوم على أساس استراتيجية إحلال الواردات والاكتفاء الذاتي في البلاد، وتعد الصناعات الغذائية من أهم الصناعات التي تتناسب مع السوق المحلية من حيث أنها تتطلب أيدي عاملة كثيرة وتعتمد على المواد الخام الزراعية والحيوانية المحلية كمدخلات لها، إن محافظة حضرموت تعد من أهم محافظات الجمهورية اليمنية التي تنتشر فيها الصناعات الغذائية، وقد ناقش هذا البحث واقع هيكل الصناعات الغذائية في المحافظة من

Abstract :

The food industry structure which is based on geographical considerations is the main factor for the economic changes in Hadhramout Governorate. These industries which have the strategy of self sufficiency, are suitable for the local market since they require a lot of unemployees and depend on local agricultural raw materials. Hadhramout Governorate is one of the most important governorates in the Republic of Yemen in which food industry is found. This study investigates the current state of the structure of the food industries in

this governorate through showing the development of the geographical state for the product indicators at the level of the state and province. These product indicators have been analyzed using some quantitative analyses (geographical and statistical analyses) to show the levels of industrial uses, the level of the specializations of these industries and their relative importance so as to determine the economic weight for all the branches of food industries in Hadhramout Governorate.

مقدمة :

تعد محافظة حضرموت من أهم محافظات الجمهورية اليمنية التي تنتشر فيها الصناعات التحويلية، التي يتصف الهيكل الصناعي فيها بسيادة الصناعات الاستهلاكية القائمة على استراتيجية إحلال الواردات والاكتفاء الذاتي^(١) وتعد الصناعات الغذائية من أبرز تلك الصناعات حيث أنها تعد من الصناعات التي تتناسب والسوق المحلية من حيث أنها من الصناعات التي تتطلب أيدي عاملة كثيرة ولا ترتبط بالمهارة العالية، فضلاً عن اعتمادها على منتجات المواد الخام الزراعية والحيوانية المحلية التي تشكل فائضة مدخلات لفروع الصناعات الغذائية.

ويعرض هذا البحث واقع هيكل الصناعات الغذائية في محافظة حضرموت من خلال تحليل جغرافي إحصائي، لعدد من المؤشرات الإنتاجية بهدف إبراز مستويات تخصص هذه الصناعة وأهميتها النسبية، وأنماط توطنها، بهدف الوصول إلى تحديد وزن هذه الصناعة في محافظة حضرموت .

مشكلة البحث : تظهر مشكلة البحث في وجود خلل في توازن الهيكل الصناعي للصناعات الغذائية في محافظة حضرموت، وذلك بتأثير المقومات الجغرافية التي تعتمد عليها الصناعات الغذائية، وكذا بكون الصناعة في محافظة حضرموت لا تزال في طور النشوء والنمو وتتطلب المزيد من الوقت لكي تحقق التوازن في هيكلها الصناعي.

أهداف البحث : يهدف البحث إلى الكشف عن ملامح الهيكل الصناعي للصناعات الغذائية في محافظة حضرموت من خلال الآتي :

- (١) إبراز واقع هيكل الصناعات الغذائية في محافظة حضرموت .
- (٢) تحديد ملامح تخصص فروع الصناعات الغذائية .
- (٣) إبراز الأهمية النسبية التي تتمتع بها فروع الصناعات الغذائية .
- (٤) تحديد ملامح توطن الفروع الصناعية للصناعات الغذائية .

(١) السعيد، محمد أحمد، استراتيجية التصنيع في اليمن، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٠ ص ١٧٣.

الحدود المكانية والزمانية للدراسة :

تتمثل الحدود المكانية للدراسة في محافظة حضرموت الواقعة في الجزء الشرقي من الجمهورية اليمنية وتقع بين دائرتي عرض 14.5° و 15.10° شمالاً وخطي طول 48.30° و 51° شرقاً (خريطة رقم ١)؛ أما الحدود الزمانية فقد انحصرت للمدة من ١٩٩٦ - ٢٠٠٩م

منهجية البحث : تمت معالجة موضوع البحث من خلال المنهج الاستقرائي والتحليلي لتحليل البيانات والمؤشرات الاحصائية للصناعات الغذائية باستخدام عدد من الاساليب الكمية التي تهدف إلى إبراز واقع الهيكل الصناعي للصناعات الغذائية ومستوى التغيرات التي تحدث فيه أثناء مدة الدراسة.

خريطة رقم (١) موقع منطقة الدراسة (محافظة حضرموت)



(١) الواقع الجغرافي لتطور مؤشرات الصناعات الغذائية :

إن عمليات توطن الصناعة التحويلية في الدولة أو الأقاليم تؤثر فيها مجموعة من مقومات التوطن التي تؤثر بدورها في تحديد طبيعة الهيكل الصناعي القائم من خلال قدرتها على جذب الصناعة^(١)، كما تتباين الأقاليم الجغرافية في خصائصها بما ينعكس على الاتجاهات المكانية لتوطن الصناعة في تلك الأقاليم باتجاه تنوع القاعدة

(١) رسول، أحمد حبيب، جغرافية الصناعة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٥م ص ٨١.

الصناعية فيها أو تخصصها بفروع محدودة^(٣) وقد ساعدت المقومات الجغرافية في اليمن ومحافظة حضرموت على توطن أنواع عديدة لفروع الصناعات الغذائية وفق الإمكانيات المتاحة لها والتي أسهمت في تعزيز الأهمية النسبية لقطاع الصناعات الغذائية .

وفي ما يلي عرض الاتجاهات العامة لتطور الهيكل الصناعي لفروع الصناعات الغذائية وفق المؤشرات الإنتاجية على المستوى القومي في الجمهورية اليمنية، وكذلك على مستوى الإقليم في محافظة حضرموت للمدة من ١٩٨٤ - ٢٠٠٩م، من خلال ما يعكسه الجدول رقم (١) والجدول رقم (٢) لما لذلك من أهمية في تحليلنا لواقع هيكل الصناعات الغذائية في محافظة حضرموت .

جدول (١) واقع مؤشرات الصناعات الغذائية في الجمهورية اليمنية للمدة من ١٩٨٤ - ٢٠٠٩

العام	الصناعة	عدد المنشآت	%	العمالة	الأيدي العاملة	%	قيمة الإنتاج	%	مستلزمات الإنتاج	%	القيمة المضافة	%
١٩٧١	طحن الحبوب	٧٦	٥.١	٠	٢١	٣	٨١٠	٧.٩	٥٣	٧	٣٧	٧.٨
	الألبان ومشتقاتها	١٣	٠.٨	١٥١	١.٢	١.٢	٦٠	٠.٦	٦٦٤	٦	٤.٧	
	المشروبات والمياه المعدنية	٣٧	١.٨	٥٢٧	٤.٤	٤.٤	٣٨١	٣.٥	٦٦١	٦	٦.١	
	السمن والزيوت النباتية	١٣٤	٨.٧	٣١٧٥	٢٤.٣	٢٤.٣	٤٦١	٤.٣	٦٦١	٦	٦.١	
	تعليب وحفظ الأسماك	٣١	٢.٩	٣٦٠	٢.٩	٢.٩	٣٥٥	٣.٣	٦٦١	٦	٦.١	
	تعليب وحفظ الخضار والفواكه	٧١	٥.٦	١٦٤	١.٣	١.٣	٣٥٥	٣.٣	٦٦١	٦	٦.١	
	البسكويت والحلويات	٩١	٧.١	١٧٧٨	١٣.٨	١٣.٨	٤٤١	٤.١	٦٦١	٦	٦.١	
	الخبز والمعجنات	٦٠٢	٤٠.١	٤٦٣٣	٣٦.٨	٣٦.٨	٤٦١	٤.١	٦٦١	٦	٦.١	

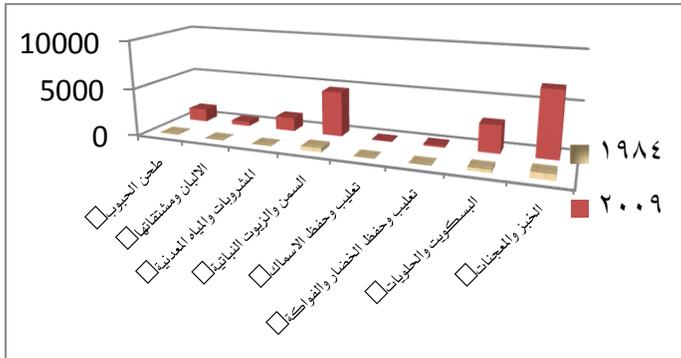
(٣) العسكري، عمر عوض التحليل المكاني لتوطن الصناعات الغذائية في اليمن، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة عدن، ٢٠١٢ ص ١.

		١٩٩١					٢٠٠١								
المجموع		٢٥٣١	٥٤٤	٥٧٣١	٤١١٣	٧٢	٠٠١	٨٤٤٤	٤٤٤٤	١٣٠٤١	٨٣٣١	٣٣٣	٠٤٣١	٥٨٤٣	٣٨
طحن الحبوب		٣٧	٢	٤٧	٨٠٥٨	٢	١	٥٤٣١	٣٦٤٨	٠٠١	٤٧	٥٠٢	٧	٣٤٤٨	١٠
الألبان ومشتقاتها		٤٣٨٥	١٦١١	٤٣٤٤	٦٥٥٨	٠٦٨	٨٤٤	٦٨١٣	٥٥١٨١	٣٤٤٤٤	٤٤٥٣	٤٥٥	٧٥٣٣	٥٤٤٥١	٤٦٤
المشروبات والمياه المعدنية		٣٧	٤٣	٤١١	٤٤٤	٥	٥٠١	٤٨٤	٤٧٤	٠٠١	١٦	٤٥	٥	٥٠٤	٣١
السمن والزيوت النباتية		٤٣٨٥	٤٤٤٤	٧٧٥٨	٣٨٧٠٤	٠٣١٤١	٠٤٦٨١	٧٠٦٠٤	١٤٧٣١	٥٣٣٠٥١	٨٨٤٥٣	٠٣٠٥٦	٤٤٠٨٠١	٤٦٠٤٤١	٤٦٤٤٣
تعليب وحفظ الأسماك		٣٧	٤٣	٤١١	٤٤٤	٥	٥٠١	٤٨٤	٤٧٤	٠٠١	١٦	٤٥	٥	٥٠٤	٣١
تعليب وحفظ الخضار والفواكه		٤٣٨٥	٤٤٤٤	٧٧٥٨	٣٨٧٠٤	٠٣١٤١	٠٤٦٨١	٧٠٦٠٤	١٤٧٣١	٥٣٣٠٥١	٨٨٤٥٣	٠٣٠٥٦	٤٤٠٨٠١	٤٦٠٤٤١	٤٦٤٤٣
البسكويت والحلويات		٣٧	٤٣	٤١١	٤٤٤	٥	٥٠١	٤٨٤	٤٧٤	٠٠١	١٦	٤٥	٥	٥٠٤	٣١
الخبز والمعجنات		٤٣٨٥	٤٤٤٤	٧٧٥٨	٣٨٧٠٤	٠٣١٤١	٠٤٦٨١	٧٠٦٠٤	١٤٧٣١	٥٣٣٠٥١	٨٨٤٥٣	٠٣٠٥٦	٤٤٠٨٠١	٤٦٠٤٤١	٤٦٤٤٣
المجموع		٣٧	٤٣	٤١١	٤٤٤	٥	٥٠١	٤٨٤	٤٧٤	٠٠١	١٦	٤٥	٥	٥٠٤	٣١
طحن الحبوب		٣٧	٤٣	٤١١	٤٤٤	٥	٥٠١	٤٨٤	٤٧٤	٠٠١	١٦	٤٥	٥	٥٠٤	٣١
الألبان ومشتقاتها		٤٣٨٥	٤٤٤٤	٧٧٥٨	٣٨٧٠٤	٠٣١٤١	٠٤٦٨١	٧٠٦٠٤	١٤٧٣١	٥٣٣٠٥١	٨٨٤٥٣	٠٣٠٥٦	٤٤٠٨٠١	٤٦٠٤٤١	٤٦٤٤٣
المشروبات والمياه المعدنية		٣٧	٤٣	٤١١	٤٤٤	٥	٥٠١	٤٨٤	٤٧٤	٠٠١	١٦	٤٥	٥	٥٠٤	٣١
السمن والزيوت النباتية		٤٣٨٥	٤٤٤٤	٧٧٥٨	٣٨٧٠٤	٠٣١٤١	٠٤٦٨١	٧٠٦٠٤	١٤٧٣١	٥٣٣٠٥١	٨٨٤٥٣	٠٣٠٥٦	٤٤٠٨٠١	٤٦٠٤٤١	٤٦٤٤٣
تعليب وحفظ الأسماك		٣٧	٤٣	٤١١	٤٤٤	٥	٥٠١	٤٨٤	٤٧٤	٠٠١	١٦	٤٥	٥	٥٠٤	٣١

١١.١	١٨٣٢٥	١١.٢	٥٦١٨٤	١١.٢	٤١٥٤٨	١.٧	٨١٧	٩	١٦١	تعليب وحفظ الخضار والفواكه
٩.٢	٤١١٥١	١٥.٢	٨٤٤١٨	١٣.٧	١٤١٥١	١٥.٢	٤٦٥٧	٦	٤٤٧	البسكويت والحلويات
١٠.٦	١٧٤٨١	١٣.٦	٤٠١٢٤	٧.٢١	٤٤٤٥٧	٧.٤٨	١٤٤١١	٢٨.٢	٤٨٨١	الخبز والمعجنات
١٠٠	١٦٣٨٠٧	١٠٠	٧٥١٠٥٠	١٠٠	١٠٤٦٤٤	١٠٠	٤٦٧٤٤	١٠٠	١٧٨٨١	المجموع

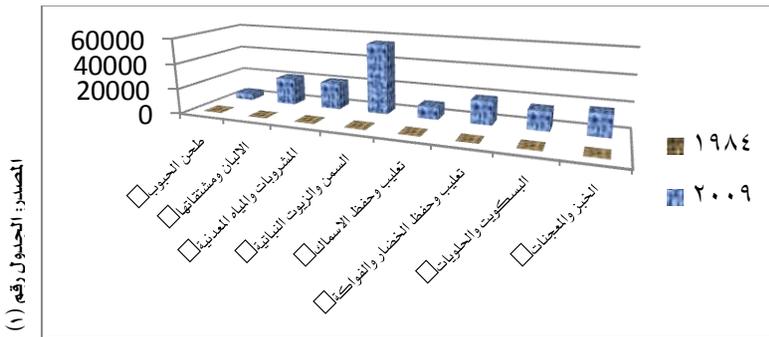
المصدر: العسكري، عمر عوض، التحليل المكاني للصناعات الغذائية في اليمن اطروحة دكتوراه (غير منشورة) جامعة عدن، كلية الآداب، ٢٠٢٠ صفحات متعددة من ١٣٤ - ٢٠٠ .

شكل رقم (١) واقع الصناعات الغذائية في الجمهورية اليمنية بحسب مؤشر عدد المنشآت للمدة من عام ١٩٨٤ - ٢٠٠٩م.



المصدر: الجدول رقم (١)

شكل رقم (٢) واقع الصناعات الغذائية في الجمهورية اليمنية بحسب مؤشر القيمة المضافة للمدة من عام ١٩٨٤ - ٢٠٠٩م



المصدر: الجدول رقم (١)

من خلال نتائج معطيات الجدول أعلاه رقم (١) والشكل (٢، ١) الذي يبين واقع مؤشرات الصناعات الغذائية في الجمهورية اليمنية من ١٩٨٤ - ٢٠٠٩م تبين ما يلي :

(١) هناك تطور كبير في فروع الصناعات الغذائية المختلفة في كل مؤشرات الإنتاج ما بين ١٩٨٤ - ٢٠٠٩م .

(٢) حققت صناعة السمن والزيوت النباتية النسبة الأكبر في تطور مؤشراتها، إذ ارتفعت عدد منشآتها من ٤٣١ منشأة في العام ١٩٨٤م إلى ٤٦٧٥ منشأة عام ٢٠٠٩م، فيما حققت هذه الصناعة أعظم قيمة مضافة بلغت نحو ٣٣.٨٪ مشكلة بذلك ثلث عائدات الدخل للصناعات الغذائية في العام ٢٠٠٩م .

(٣) احتلت صناعة الخبز والمعجنات أهمية خاصة في تطور مؤشرات عدد المنشآت وكذلك الأيدي العاملة، إذ ارتفع عدد منشآتها من ٦٠٢ منشأة عام ١٩٨٤م إلى ٦٧٧٣ منشأة عام ٢٠٠٩م مشكلة نحو ٣٨.٢٪ من عدد منشآت الصناعات الغذائية ونحو ٢٦.٨٪ من عدد الأيدي العاملة للعام نفسه .

أما بالنسبة لتطور الواقع الجغرافي للمؤشرات الإنتاجية لفروع الصناعات الغذائية في محافظة حضرموت فأن الجدول رقم (٢) يعرض هذه المؤشرات للمدة من ١٩٨٤ - ٢٠٠٩م .

جدول رقم (٢) واقع مؤشرات الصناعات الغذائية في محافظة حضرموت للمدة

من ١٩٨٤ - ٢٠٠٩

الرقم	الصناعة	عدد المنشآت	%	عدد العمال	%	قيمة الإنتاج	%	مستلزمات الإنتاج	%	القيمة المضافة	%
٤٧١	طحن الحبوب	١٥	١٥	٦٠	٩.٩	٢٦٤	٢٤.٥	١٨٥	٢٢.٣	٧٩	٣٢.١
	الألبان ومشتقاتها	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
	المشروبات والمياه المعدنية	٨	٨	٤٨	٥.٣	٥٨	٥.٤	٤٠	٤.٨	١٨	٧.٣

٤.٥	١١	٢.٩	٢٤	٣.٢	٣٥	٣.١	١١٥	١٦	١٦	السمن والزيوت النباتية
٤١.٩	١٠٣	٢٩.١	٢٤٢	٣٢.١	٣٤٥	١٤.٨	١١٤	٨	٨	تعليب وحفظ الأسماك
٢.٨	٧	١.٩	١٦	٢.١	٢٣	٢.٥	٥٧	٣	٣	تعليب وحفظ الخضار والفواكه.
٧.٣	١٨	٤.٨	٤٠	٥.٤	٥٨	١٤.٤	٨٨	٢٢	٢٢	البسكويد ت والحلويات
٤.١	١٠	٣٤	٢٨٤	٢٧.٣	٢٩٤	١٧.٦	١٢٧	٢٢	٢٢	الخبز والمعجنات
١٠٠	٢٤٦	١٠٠	٨٣١	١٠٠	١٠٧٧	١٠٠	٦٠٩	١٠٠	١٠٠	المجموع
١٢.٤	٩٤١	١٠.٥	٩٤١	١١.٤	١٨٨٢	٩.٦	٣٢٤	٥.٧	١٠.٨	طحن الحبوب
٢.٢	١٧٠	١.٩	١٦٩	٢	٣٣٩	.٧	٢٤	.٦	١٢	الألبان ومشتقاتها
٣.٣	٢٥٤	٢.٨	٢٥٤	٣.١	٥٠٨	١٥.٧	٥٣٣	١٢.٧	٢٤٠	المشروبات والمياه المعدنية
٣	٢٣٣	٢.٦	٢٣٣	٢.٨	٤٦٦	١٤.٤	٤٨٥	١٤.٥	٢٧٤	السمن والزيوت النباتية
٢٧.٩	٢١٢	٢٣.٧	٢١٢٠	٢٥.٦	٤٢٤٠	٣.٣	١١٢	.٥	١٠	تعليب وحفظ الأسماك
٤.٩	٣٧٣	٤.٢	٣٧٣	٤.٥	٧٤٦	١.٦	٥٣	١.٣	٢٥	تعليب وحفظ الخضار والفواكه

١٩٩٢

٢٢.٣	١٦٩ ٦	١٩	١٦٩٦	٢٠.٥	٣٣٩٢	١٩.٩	٦٧٢	١٧.١	٣٢٤	البسكويد ت والحلويات
٢٣.٩	١٨١ ٣	٣٥.٣	٣١٥٥	٣٠.١	٤٩٦٨	٣٥.١	١١٨ ٧	٤٧.٩	٩٠.٨	الخبز والمعجنات
١٠٠	٧٦٠ ٠	١٠٠	٨٩٤١	١٠٠	١٦٥٤١	١٠٠	٣٣٩ ٠	١٠٠	١٩٠ ١	المجموع
٥.٣	٣٠٣	٤.١	٤٥٣	٤.٥	٧٥٦	٤	١١٢	١.٨	٣٦	طحن الحبوب
٨	٤٥٣	٦.١	٦٨١	٦.٧	١١٣٤	٢.٦	٧٢	٥.٩	١٢٠	الألبان ومشتقاتها
١٤.٤	٨١٦	١١	١٢٢٤	١٢.١	٢٠٤٠	٦.٢	١٧٤	٤.٢	٨٧	المشروبات والمياه المعدنية
٣.٣	١٨٩	٢.٥	٢٨٣	٢.٨	٤٧٢	٤.٩	١٣٥	٢.٤	٥٠	السمن والزيوت النباتية
٣٥.٤	٢٠١ ٠	٢٧.١	٣٠١٦	٢٩.٩	٥٠٢٦	٨.٦	٢٤٠	.٤	٨	تعليب وحفظ الأسماك
٢.١	١١٣	١.٥	١٧٠	١.٧	٢٨٣	٣.٤	٩٥	٢.١	٤٣٠	تعليب وحفظ الخضار والفواكه
١٧.٣	٩٨٣	١٣.٢	١٤٧٤	١٤.٦	٢٤٥٧	٢٥.٢	٧٠٢	١٠.١	٢٠٦	البسكويد ت والحلويات
١٤.٢	٨١٢	٣٤.٥	٣٨٤٠	٢٧.٧	٤٦٥٢	٤٥.١	١٢٥ ٥	٤١.٣	٨٤٥	الخبز والمعجنات
١٠٠	٥٦٧ ٩	١٠٠	١١١٤ ١	١٠٠	١٦٨٢ ٠	١٠٠	٢٧٨ ٥	١٠٠	١٣٩ ٥	المجموع

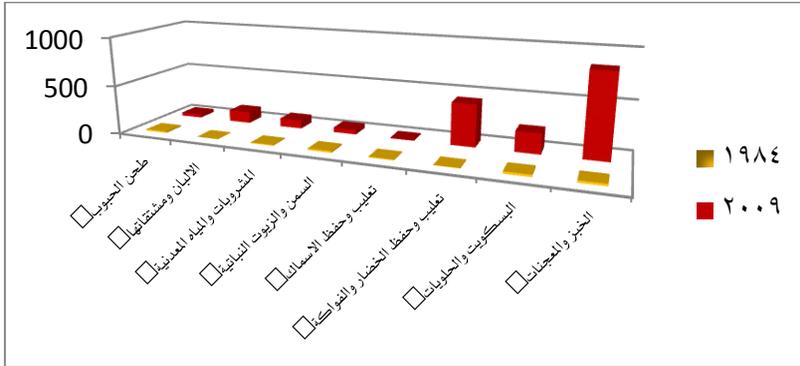
٢٠٠٩

المصدر: العسكري، عمر عوض، التحليل المكاني للصناعات الغذائية في اليمن أطروحة دكتوراه (غير منشورة) جامعة عدن،

كلية الآداب، ٢٠١٢، ص ٢٠٣ - ٢٠٥ .

شكل رقم (٣) واقع الصناعات الغذائية في محافظة حضرموت بحسب مؤشر عدد المنشآت للمدة

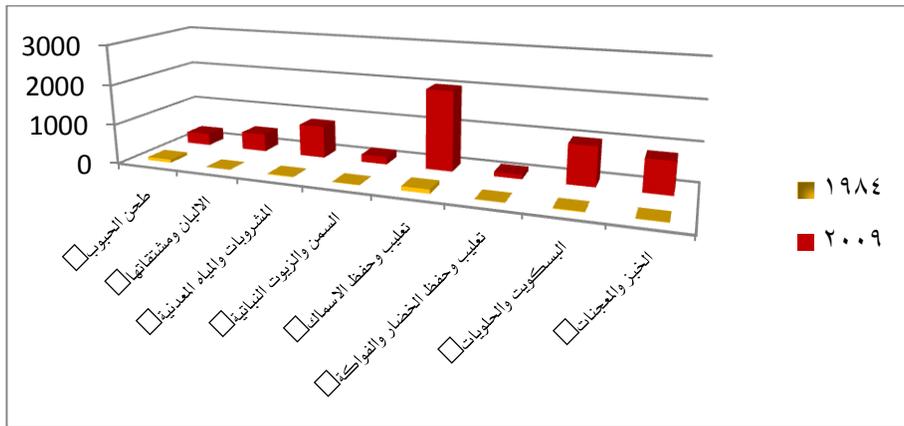
من عام ١٩٨٤ - ٢٠٠٩ م



المصدر: الجدول رقم (٢)

شكل رقم (٤) واقع الصناعات الغذائية في محافظة حضرموت بحسب مؤشر القيمة المضافة

للمدة من عام ١٩٨٤ - ٢٠٠٩ م



المصدر: الجدول رقم (٢)

من خلال استعراضنا للجدول رقم (٢) الذي يبين تطور المؤشرات الإنتاجية للصناعات

الغذائية في محافظة حضرموت للمدة من ١٩٨٤ - ٢٠٠٩ م تبين ما يلي:

(١) التطور الكبير في المؤشرات الإنتاجية لفروع الصناعات الغذائية ما بين عام ١٩٨٤ - ٢٠٠٩ م.

(٢) حققت صناعة تعليب وحفظ الأسماك أعلى مؤشرات القيمة المضافة، إذ تراوحت ما بين ٤١.٩٪ في العام ١٩٨٤م و ٣٥.٤٪ في العام ٢٠٠٩م مما يعكس أهميتها

الاقتصادية بين مختلف فروع الصناعات الغذائية، على الرغم من أن عدد منشآتها لا يتجاوز ثمان منشآت صناعية في هذه المدة .

(٣) حققت صناعة الخبز والمعجنات تطوراً كبيراً في عدد منشآتها، إذ ارتفعت من (٢٢) منشأة عام ١٩٨٤ وبنسبة ٢٢٪ من عدد المنشآت للعام نفسه، إلى (٨٤٥) منشأة صناعية وبنسبة ٤١.٣٪ من عدد المنشآت الصناعية للعام ٢٠٠٩م، كما ارتفعت أعداد العمالة فيها من ١٢٧ عامل إلى نحو ١٢٥٥ عامل وبنسبة ٤٥.١٪ من عدد الأيدي العاملة للعام ٢٠٠٩م .

(٤) احتلت صناعة البسكويت والحلويات مرتبة متقدمة في تطور مؤشرات الإنتاجية ما بين عام ١٩٨٤م إلى عام ٢٠٠٩م؛ إذ ارتفعت عدد منشآتها من ٢٢ منشأة عام ١٩٨٤م إلى (٢٠٦) منشأة صناعية عام ٢٠٠٩م، كما ارتفعت نسبة الأيدي العاملة فيها بنحو ٢٥.٢٪ من نسبة الأيدي العاملة عام ٢٠٠٩م، كما حققت ما نسبته ١٧.٣ من عوائد القيمة المضافة للعام نفسه .

تحليل أثر تغير الهيكل الصناعي للصناعات الغذائية للدولة في تغير هيكل الصناعات الغذائية في محافظة حضرموت للمدتين من ١٩٨٤-١٩٩٦ و ١٩٩٦-٢٠٠٩م

بهدف تحديد مستوى النمو لهيكل الصناعات الغذائية وبيان الفروع الصناعية التي تنمو بمعدلات أعلى أو أقل من المعدلات على مستوى الدولة بتأثير عوامل الإنتاج المختلفة فإن ذلك يتطلب استخدام أسلوب التحول والتناسب^(٤)؛ إذ إن تحول بعض الأنشطة

(٤) يعتمد تحليل هذا الأسلوب على الطريقة الآتية :- (١) حساب النمو الفعلي لعدد العاملين ويرمز له بالرمز (R) حساب النمو الافتراضي المتوقع للعمالة للفروع الصناعية بالمحافظة بفعل تأثير نمو الدولة (N) . حساب تأثير الموقع الصناعي (M) . حساب أثر التحول (S) .

حيث إن : N : عدد العاملين في كل فرع صناعي في المحافظة . M : هيكل الصناعة القائمة في المحافظة . S : عدد العاملين الجدد في المحافظة من خلال معرفة العاملين في سنة الأساس، ويمكن استخدامها بالمعادلة الآتية : $R=Y-X$
حيث إن : R : التغير في عدد العاملين لكل فرع صناعي في الدولة . Y : عدد العاملين لكل فرع صناعي في الدولة في سنة المقارنة .
(٢) حساب النمو الافتراضي المتوقع للعمالة للفروع الصناعية بالمحافظة بفعل تأثير نمو الدولة (N) .
(٣) حساب تأثير الموقع الصناعي (M) .
(٤) حساب أثر التحول (S) .

حيث إن : N : عدد العاملين في كل فرع صناعي في المحافظة . M : هيكل الصناعة القائمة في المحافظة . S : عدد العاملين الجدد في المحافظة من خلال معرفة العاملين في سنة الأساس، ويمكن استخدامها بالمعادلة الآتية : $R=Y-X$

الصناعية من الإقليم وإليه يؤثر على هيكل الاستخدام الصناعي في الإقليم وذلك لتأثره بهيكل العملية الصناعية في الدولة، في حين أن التناسب فهو يعكس التغير في الحصة النسبية للإقليم وذلك من إجمال حجم العمالة لكل فرع صناعي على مستوى الدولة⁽⁶⁾. ويعكس هذا الأسلوب مدى اختبار مدى كفاءة فروع الصناعات الغذائية في المحافظة من أجل تحديد الفروع الصناعية المتوتنة في المحافظة .

إذ إن نمو الفروع الصناعية في المنطقة يكون تحت تأثير العوامل الآتية⁽⁷⁾:

- مدى تأثير النمو القومي للقطاع الصناعي.
- مدى تأثير التركيب الصناعي للإقليم و الدولة .
- مدى إسهام كل إقليم في النمو الصناعي لكل فرع من فروع الصناعة .

ولمعرفة مدى التغير الحاصل في حجم الاستخدام الصناعي لفروع الصناعات الغذائية في محافظة حضرموت فإن ذلك يستدعي معرفة التغير الحاصل في حجم الاستخدام للصناعات الغذائية في الدولة من (١٩٨٤ - ١٩٩٦) و (١٩٩٦ - ٢٠٠٩) ويعكسه الجدول رقم (٣) الذي نستخلص منه ما يلي :

حيث إن :R: التغير في عدد العاملين لكل فرع صناعي في الدولة .Y: عدد العاملين لكل فرع صناعي في الدولة في سنة المقارنة .X: عدد العاملين لكل فرع صناعي في الدولة في سنة الأساس .

ومن خلال ما سبق نستخرج قيمة (N) التي تمثل معدل النمو لكل فرع صناعي في الدولة وفق المعادلة الآتية : $N=R1/X1*100$

N2 تمثل معدل النمو للقطاع الصناعي في الدولة وتستخرج كما يأتي: $N2=R1/X1*100$

أما N فتتمثل المتوقع من النمو الصناعي لكل فرع صناعي في المحافظة ؛ وتستخرج كما يأتي : $N=N2*X/100$

أما M فتستخرج من خلال قيمة D كما يأتي: $M=D *X/100$ و $D=N1-N2$

أما استخراج قيمة S وهي الإسهام الإقليمي في فرص العمل الجديدة كما يأتي $S=R-N-M$

أما نسبة التغير في الفرع الصناعي للمحافظة فتستخرج وفق المعادلة الآتية :R-N: إذ إن R تمثل التغير الفعلي وN تمثل التغير المفترض .

انظر :-

- الحديثي، حسن محمود، تحليل التحول والتناسب الصناعي، محاضرة أعدت لطلبة الدكتوراه للعام الجامعي، ٩٨/٩٧ قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة بغداد.

- ياسين حميد بدع المحمدي، الوطن الصناعي في محافظة نينوى، دراسة في جغرافية الصناعية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة بغداد، ٢٠٠٢م، ص١٥٤ - ١٥٥.

(٨) ياسين حميد بدع المحمدي، الوطن الصناعي في محافظة نينوى، دراسة في جغرافية الصناعية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة بغداد، ٢٠٠٢م، ص١٥٤.

(٩) ياسين حميد بدع المحمدي، الوطن الصناعي في محافظة نينوى، دراسة في جغرافية الصناعية، مرجع سابق، ص ١٥٤.

جدول رقم (٣) تحليل التغير في حجم الاستخدام الصناعي للصناعات الغذائية في الجمهورية اليمنية (١٩٨٤ - ١٩٩٦م) و (١٩٩٦ - ٢٠٠٩م)

معدل الانحراف لكل فرع من معدل نمو القطر $D = N1 - N2$	معدل نمو الفرع الصناعي $N1 = R1 / X1 * 100$	التغير في عدد العاملين $R1 = Y1 - X1$	عدد العاملين في الجمهورية		معدل الانحراف لكل فرع من معدل نمو القطر $D = N1 - N2$	معدل نمو الفرع الصناعي $N1 = R1 / X1 * 100$	عدد العاملين في الجمهورية			المؤثرات الفرع الصناعية
			سنة المقارنة ٢٠٠٩	سنة الاساسي ١٩٩٦			التقرير في عدد العاملين Y1	سنة ١٩٩٦ المقارنة X1	سنة ١٩٨٤ الاساسي	
١٣.٨	٦٧.٤	١٨٣٩	٤٥٦٦	٢٧٢٧	٤٦٤.٤	٦١٧.٦	٣٢٤٧	٣٧٢٧	٣٨٠	طحن الحبوب
٦٦.٨	١٢٠.٤	١٤٣٥	٣٦٣٦	١١٩١	٥٠٠.٥	٦٥٣.٧	١٠٣٣	١١٩١	١٥٨	الألبان ومشتقاتها
٣١.٤ -	٢٢.٢	٨١٢	٤٤٥٨	٣٦٤٦	١٨٨.٧	٣٤١.٩	٢٨٢١	٣٦٤٦	٨٣٥	المشروبات والمياه المعدنية
٥٦.٦	١٠٧.٢	٨١٠٦	١٥٦٦٥	٧٥٥٩	١٥.٢ -	١٣٨	٤٢٨٤	٧٥٥٩	٣١٧٥	السمن والزيت النباتية
٨٥.٣	١٣٨.٩	٤٠٣	٦٩٣	٢٩٠	١٣٣.٨ -	١٩.٤ -	٧٠ -	٢٩٠	٣٦٠	تعليب وحفظ الأسماك
٢٣.٧ -	٢٩.٩	١٩١	٨٢٨	٦٣٧	٣٤.٣ -	١١٨.٩	٣٤٦	٦٣٧	٢٩١	تعليب وحفظ الخضار والفواكه
٢٨.٦	٨٢.٢	٣٢٩٧	٧٥٣٦	٤١٢٩	١١٠.٢ -	٤٣	١٢٤٣	٤١٢٩	٢٨٨٦	البسكويت والحلويات
٤٤.١ -	٩.٥	١١٦٦	١٣٣٢١	١٢١٥٥	٥.٦ -	١٥٨٨	٧٤٦٠	١٢١٥٥	٤٦٩٥	الخبز والمعجنات
	٥٣.٦	١٧٣٤٩	٤٩٦٨٣	٣٣٣٣٤		١٥٣.٢	١٩٥٦٤	٣٣٣٣٤	١٣٧٧٠	المجموع

المصدر : بالاعتماد على الجدول رقم (١) .

(١) أشر حجم الاستخدام الصناعي للمدة من ١٩٨٤ - ١٩٩٦م إلى نمو إيجابي في استخدام العمالة لكل الفروع الصناعية للصناعات الغذائية باستثناء صناعة تعليب وحفظ الأسماك، التي سجلت تغيراً سالباً بلغ (-٧٠) مستخدماً .

(٢) سجلت فروع الصناعات الغذائية لطحن الحبوب والألبان ومشتقاتها والمشروبات والمياه المعدنية والخبز والمعجنات للمدة من ١٩٨٤ - ١٩٩٦م نمواً إيجابياً وبنسب تفوق معدل النمو على مستوى الدولة بلغ (٦١٧,٦٪، و٦٥٣,٧٪، و٣٤١,٩٪، و١٥٨,٨٪ على التوالي) فيما سجلت صناعات السمن والزيت النباتية وتعليب وحفظ الخضار والفواكه والبسكويت والحلويات نمواً إيجابياً وبنسب تقل عن مستوى النمو للصناعات الغذائية للدولة، أما صناعة تعليب وحفظ الأسماك فهي الصناعة الوحيدة التي سجلت نمواً سلبياً في هذه المدة وبنسبة تصل إلى -١٩,٤٪.

(٣) أشر حجم الاستخدام للمدة من ١٩٩٦ - ٢٠٠٩م إلى نمو موجب لكل فروع الصناعات الغذائية وإن كان بنسب تقل عن نسب النمو السابقة، مع نسبة نمو ملحوظة لحجم الاستخدام لصناعة تعليب وحفظ الأسماك بلغ نحو ١٣٨,٩٪ متفوقاً على كل فروع الصناعات الغذائية في الدولة .

ومن خلال مؤشرات حجم الاستخدام على مستوى القطر التي عكسها الجدول رقم (٣) يمكن استعراض تحليل التغير الواقع في حجم الاستخدام الصناعي لفروع الصناعات الغذائية في محافظة حضرموت، كما يعكسها الجدول رقم (٤) الذي يبين أثر تغير الهيكل الصناعي للصناعات الغذائية في المحافظة للمدة بين ١٩٨٤ - ١٩٩٦ والمدة من ١٩٩٦ - ٢٠٠٩، ومنه يمكن استخلاص المؤشرات الآتية :

رقم (٤) تحليل أثر تغير الهيكل الصناعي للدولة في تغير الهيكل الصناعي للصناعات الغذائية في محافظة حضرموت للمدتين بين (١٩٨٤ - ١٩٩٦م) و (١٩٩٦ - ٢٠٠٩م)

القطر الصناعية	المؤثرات	عدد العاملين في حضرموت		مكونات التغير		عدد العاملين في حضرموت		مكونات التغير	
		١٩٨٤	١٩٩٦	التغير النسبي	التغير الهيكلي	١٩٨٤	١٩٩٦	التغير النسبي	التغير الهيكلي
تلميح وحفظ الأسماك	٣١١	١١٢	٣٥.٧	-	١٣٤	١١١	٧٨.١	-	٦.٠
تلميح وحفظ الخضار والفواكه	٥٧	١٥	٢٥.٥	-	٧٨	١٥	١٩.٠	-	٣.٧٨
المسكوكيت والحليات	٧٧	١١٧	١٥١.٦	-	١٩١٥	٢٤٣٣	٢٠.٠	-	١٠٦.٦
الخبز والمعجنات	١٣٧	١٨٧	١٣٦.٠	-	٨٢٧	١١٨١	٧٤.٠	-	١٣٦.٢
الاجموع	٦٠٩	٣٣٠	١٧٨.٦	٣٧٤٣٤	١٣٤٠٤	٣٣٠	٥٠.٦	٨١٧١	١٢١.١
طحين الحبوب	٦٠	٣٤١	٥٦٨.٣	-	١٣٨١	٣٤١	٢٥.٠	-	٢٥.٠
الألبان ومشتقاتها	-	٣٤	٥٣.٣	-	٣٤	٣٤	١٠٠.٠	-	١٠٠.٠
الشروبات واليهب المعدنية	٤٨	١٣٣	٢٧٦.٦	-	١٤١	٣٨١	٢٥.٠	-	١٣٧.١
السمن والزبوت النباتية والمزككة	٥١١	٥٧٣	١١٢.٠	-	٣٥٩١	٥٧٣	١٣.٠	-	١٣.٠
تلميح وحفظ الخضار والفواكه	٣١١	١١٢	٣٥.٧	-	١٣٤	١١١	٧٨.١	-	٦.٠
تلميح وحفظ الخضار والفواكه	٥٧	١٥	٢٥.٥	-	٧٨	١٥	١٩.٠	-	٣.٧٨
المسكوكيت والحليات	٧٧	١١٧	١٥١.٦	-	١٩١٥	٢٤٣٣	٢٠.٠	-	١٠٦.٦
الخبز والمعجنات	١٣٧	١٨٧	١٣٦.٠	-	٨٢٧	١١٨١	٧٤.٠	-	١٣٦.٢
الاجموع	٦٠٩	٣٣٠	١٧٨.٦	٣٧٤٣٤	١٣٤٠٤	٣٣٠	٥٠.٦	٨١٧١	١٢١.١

المصدر: بالاعتماد على الجدول رقم (١) والجدول رقم

(١) سجلت معظم فروع الصناعات الغذائية في محافظة حضرموت أثناء المدة من ١٩٨٤ - ١٩٩٦م تغيراً موجباً في نمو الاستخدام (R) يبلغ أعلى معدل له في صناعة الخبز و المعجنات ب 1060 فرصة عمل، فيما سجلت صناعة تعليب وحفظ الأسماك، وصناعة تعليب وحفظ الخضار والفواكه تغيراً سالباً بلغ -٢، و -٤ على التوالي .

(٢) سجل حجم الاستخدام للصناعات الغذائية في المدة من ١٩٩٦ - ٢٠٠٩م تراجعاً في فرص العمل بلغ نحو -٦٥٥ فرصة عمل، حيث سجلت صناعة طحن الحبوب وصناعة المشروبات و المياه المعدنية وصناعة السمن والزيوت النباتية تراجعاً سلبياً في حجم الاستخدام بلغ (-٢١٢، -٣٥٩، -٣٥٠) فرصة عمل على التوالي .

(٣) إن التغير الإيجابي في حجم الاستخدام على مستوى الدولة للمدتين ١٩٨٤ - ١٩٩٦م و ١٩٩٦ - ٢٠٠٩م لم يؤثر إيجابياً على مستوى الاستخدام لعدد من فروع الصناعات الغذائية في محافظة حضرموت، حيث نجد تراجعاً في حجم الاستخدام لعدد من الصناعات مثل صناعة تعليب وحفظ الخضار والفواكه، وصناعة تعليب وحفظ الأسماك في المدة بين ١٩٨٤ - ١٩٩٦م وكذا صناعات طحن الحبوب، والمشروبات والمياه المعدنية، والسمن والزيوت النباتية في العام ٢٠٠٩م، ويبدو أن ذلك التراجع حدث بتأثير عوامل محلية على مستوى الإقليم .

(٤) يظهر الجدول أن هناك توافقاً إيجابياً بين النمو الفعلي (R) والنمو المفترض (N) حيث سجل النمو المفترض تغيراً إيجابياً في حجم الاستخدام الصناعي لمجموع فروع الصناعات الغذائية للمدة من ١٩٨٤ - ١٩٩٦، بلغ ٩٣٢,٩ فرصة عمل وللمدة من (١٩٩٦ - ٢٠٠٩) ١٨١٧ فرصة عمل، وذلك بتأثير الهيكل الصناعي (M) ومقدار المساهمة الإقليمية (S) إذ إن هذه المتغيرات تؤدي إلى حدوث تغيرات في الهيكل الصناعي (M) الذي أدى إلى حدوث نمو إيجابي في حجم الاستخدام للمدة ١٩٨٤ - ١٩٩٦م حيث ظهرت في صناعة طحن الحبوب، وصناعة المشروبات والمياه المعدنية بلغ (٩٠,٥ و ٢٧٨,٦) فرصة عمل على التوالي :

أما خلال المدة (١٩٩٦ - ٢٠٠٩م) فإن حجم الاستخدام في الهيكل الصناعي سجل تغيراً إيجابياً بلغ (١٨١٧) فرصة عمل، حيث سجلت كل من صناعة طحن

الحبوب وصناعة الألبان ومشتقاتها وصناعة السمن والزيوت النباتية وصناعة تعليب وحفظ الأسماك وصناعة البسكويت والحلويات نمواً موجباً بلغ (٤٤,٧ و ١٦ و ٢٤٥,٤ و ٩٥,٥ و ١٩,٢) فرصة عمل على التوالي، بينما سجلت كل من صناعات المشروبات والمياه المعدنية وتعليب وحفظ الخضار والفواكه والخبز والمعجنات تغيراً سلبياً لهذه المدة بلغ (-١٦,٧٣ و -١٢,٥ و -٤,٥٢٣) فرصة عمل على التوالي .

(٥) أثر الإسهام الإقليمي (S) في الهيكل الصناعي للمحافظة (M) بشكل سلبي في حجم الاستخدام لعدد من الصناعات الغذائية للمدة من (١٩٨٤ - ١٩٩٦م) تمثلت في صناعة السمن و الزيوت النباتية، وصناعة التعليب و حفظ الأسماك، وصناعة تعليب وحفظ الخضار والفواكه، وصناعة البسكويت والحلويات، وصناعة الخبز والمعجنات، حيث سجلت تغيراً سلبياً بلغ (-١٧,٤ و -١٥٢,٥ و -١٩,٥ و -٩٦,٩ و -٧,١) فرصة عمل على التوالي، وكذلك أثر الإسهام الإقليمي في الهيكل الصناعي بشكل سلبي للمدة من ١٩٩٦ - ٢٠٠٩م في صناعة المشروبات والمياه المعدنية، وصناعة تعليب وحفظ الخضار والفواكه، وصناعة الخبز والمعجنات، حيث سجلت تغيراً سلبياً بلغ (-١٦٧,٣ و -١٢,٥ و -٥٢٣,٤) فرصة عمل على التوالي .

(٦) إن الإسهام الإقليمي الذي يعد حصيلة التباين بين مؤشرات التغير في عدد العاملين (R) والنمو القومي المفترض (N) وتأثير الهيكل الصناعي (M)، يشكل مؤشراً مهماً على حجم الاستخدام الصناعي للصناعات الغذائية في المحافظة، حيث شكّل الإسهام الإقليمي (S) نمواً موجباً لإجمال الهيكل الصناعي في المحافظة للمدة بين (١٩٨٤ - ١٩٩٦) بلغ (١٤٤٨,٤) فرصة عمل، بينما سجل مؤشر الإسهام الإقليمي للمدة ١٩٩٦ - ٢٠٠٩ نمواً سلبياً لإجمال الهيكل الصناعي للصناعات الغذائية في المحافظة بلغ (-٢٥٣١,٥) فرصة عمل.

(٧) سجّل التغير النسبي العام للهيكل الصناعي لإجمال فروع الصناعات الغذائية في محافظة حضرموت تغيراً نسبياً موجباً للمدة من (١٩٨٤ - ١٩٩٦) بلغ ١٥٢٤,١، غير أن هذا المؤشر سجّل تغيراً نسبياً سلبياً بلغ -٢٤٢٢ للمدة من ١٩٩٦ - ٢٠٠٩ .

٨) سجّل التغير النسبي الصافي للهيكل الصناعي لفروع الصناعات الغذائية في محافظة حضرموت للمدة من (١٩٨٤ - ١٩٩٦) تغيراً موجباً في كل فروع الصناعات الغذائية باستثناء صناعة تعليب وحفظ الأسماك، وصناعة تعليب وحفظ الخضار والفواكه، حيث سجلنا تغيراً نسبياً سلبياً بلغ - ١٧٦,٦ و - ٩١,٣، بينما نجد تراجعاً في التغير النسبي الصناعي لفروع الصناعات الغذائية في محافظة حضرموت للمدة من (١٩٩٦ - ٢٠٠٩) بلغ - ٢٤٢٢، وذلك بتأثير التغير النسبي الصناعي السلبى في الاستخدام الصناعي لصناعة طحن الحبوب وصناعة المشروبات والمياه المعدنية، وصناعة السمن و الزيوت النباتية، وصناعة البسكويت والحلويات، وصناعة الخبز والمعجنات، حيث بلغ التغير النسبي السلبى لها (- ٣٨٥.٦ ، - ٥٤٨.٧ ، و - ٦٠٩.٩ و - ٣٣٠.١ و - ٥٦٨.٢) على التوالي . وهذا ما بيّن أنه في المدة بين ١٩٩٦ - ٢٠٠٩ حصل تراجع في الاستخدام الصناعي لعدد من فروع الصناعات الغذائية في محافظة حضرموت والتي تمثلت في صناعات طحن الحبوب، صناعة والمشروبات والمياه المعدنية، وصناعة السمن والزيوت النباتية، وصناعة البسكويت والحلويات، وصناعة الخبز والمعجنات.

تحليل مدى التخصص الصناعي لفروع الصناعات الغذائية في الهيكل الصناعي للصناعات الغذائية في محافظة حضرموت

لقياس درجة تخصص إقليم معين بصناعة معينة مقارنة بنفس الفروع الصناعية للدولة، فإن ذلك يتطلب معه استخدام معامل التخصص الصناعي^(٧)، ولعرفة مدى التخصص الصناعي لفروع الصناعات الغذائية في محافظة حضرموت للعام ٢٠٠٩م

(٧) يتم استخدام معامل التخصص الصناعي باستخدام المعادلة الآتية: $\{ (Eir / En) - (Ein / En) \} / 100 = Csr$

حيث أن: Csr = معامل التخصص الصناعي للإقليم، Eir = عدد العاملين في الفرع الصناعي لصناعة معينة في الإقليم، Er = مجموع العاملين في الصناعة المعنية في الإقليم، Ein = عدد العاملين في نفس الفرع الصناعي للصناعة المعنية في الدولة، En = مجموع العاملين في الصناعة المعنية على مستوى الدولة . وتفسر فيه معامل التخصص الصناعي على النحو الآتي:

- إذا كان ناتج المعادلة يساوي (صفر) فهذا يعني أن الإقليم غير متخصص في تلك الصناعة.
- إذا كان ناتج المعادلة يساوي (١) صحيح فيعتبر الإقليم متخصصاً في تلك الصناعة. وهذا يعني أن ناتج المعادلة يتراوح بين (صفر - ١) عدد صحيح.
انظر:

- الحديدي، حسن محمود، محاضرات في الجغرافية الصناعية أقيمت لطلبة الدراسات العليا قسم الجغرافية، كلية الآداب، جامعة بغداد للعام الدراسي ٩٨/٩٧ غير منشورة.

- المحمدي، ياسين حمد بدع، التوطن الصناعي في محافظة نينوى، (رسالة ماجستير غير منشورة) كلية الآداب، جامعة بغداد ٢٠٠٢م، ص ١٦١

الاعتماد على الجدول (1) والجدول (2) وباستخدام مؤشر الأيدي العاملة فإنه يمكننا الحصول على النتائج الآتية :

(1) صناعة طحن الحبوب

$$\text{معامل التخصص الصناعي} = 100 / 1 = (2785/112) - (49683/4566) = 0.05$$

$$0.05 = (0.05) 100 / 1 = (0.09 - 0.04) 100 / 1 =$$

(2) صناعة الألبان ومشتقاتها :

$$\text{معامل التخصص الصناعي} = 100 / 1 = (2785 / 72) - (49683 / -) = 0.003$$

$$0.003 = (0.03) 100 / 1 = (0.05 - 0.02) 100 / 1 =$$

(3) صناعة الألبان ومشتقاتها :

$$\text{معامل التخصص الصناعي} = 100 / 1 = (2785 / 72) - (49683 / -) = 0.003$$

$$0.003 = (0.03) 100 / 1 = (0.05 - 0.02) 100 / 1 =$$

(4) صناعة المشروبات والمياه المعدنية :

$$\text{معامل التخصص الصناعي} = 100 / 1 = (2785 / 174) - (49683 / 4458) = 0.002$$

$$0.002 = (0.02) 100 / 1 = (0.08 - 0.06) 100 / 1 =$$

(5) صناعة السمن والزيوت النباتية :

$$\text{معامل التخصص الصناعي} = 100 / 1 = (2785 / 135) - (49683 / 15665) = 0.02$$

$$0.02 = (0.02) 100 / 1 = (0.3 - 0.04) 100 / 1 =$$

(6) صناعة تعليب وحفظ الأسماك :

$$\text{معامل التخصص الصناعي} = 100 / 1 = (2785 / 240) - (49683 / 693) = 0.007$$

$$0.007 = (0.07) 100 / 1 = (0.10 - 0.08) 100 / 1 =$$

(7) تعليب الخضار والفواكه :

$$\text{معامل التخصص الصناعي} = 100 / 1 = (2785 / 95) - (49683 / 828) = 0.002$$

$$0.002 = (0.02) 100 / 1 = (0.01 - 0.03) 100 / 1 =$$

(8) صناعة البسكويت والحلويات :

$$\text{معامل التخصص الصناعي} = 100 / 1 = (2785 / 702) - (49683 / 7526) = 0.01$$

$$0.01 = (0.1) 100 / 1 = (0.1 - 0.2) 100 / 1 =$$

(٩) صناعة الخبز والمعجنات :

$$\text{معامل التخصص الصناعي} = \frac{1}{100} (2785/1255 - 49683/13321) = 0.02$$

$$0.02 = \frac{1}{100} (2 - 4) = \frac{1}{100} (2 - 4)$$

أظهرت نتائج معامل التخصص في محافظة حضرموت أنه لا توجد فروع صناعية تامة التخصص، وإنما كل الفروع الصناعية مثلت درجة تميل إلى التخصص مع تقدم مؤشرات صناعة الحبوب، وصناعة السمن والزيوت النباتية وصناعة البسكويت والحلويات، وصناعة الخبز والمعجنات على غيرها من الصناعات الأخرى؛ إذ بلغت درجة التخصص بها (٠.٠٥، و٠.٠٢، و٠.٠١، و٠.٠٢) على التوالي .

تحليل واقع التركز الصناعي لفروع الصناعات الغذائية في محافظة حضرموت

إنّ دراسة وتحليل واقع التركز الصناعي لفروع الصناعات الغذائية في محافظة حضرموت يتطلب استخدام معامل التمرکز الصناعي^(٨) الذي يقيس التركز النسبي لصناعة معينة في إقليم أو منطقة معينة بالمقارنة مع أحد المتغيرات الاقتصادية على مستوى الدولة كالاستخدام الصناعي أو السكان أو الدخل^(٩) وتأتي أهمية استخدام معامل التمرکز الصناعي كونه يبين ما هي الصناعات التي يحب تشجيعها وتطويرها في الإقليم، وفي تحليلنا يمكن استخدام معامل التمرکز الصناعي بعد معرفة التوزيع النسبي للعمالة الصناعية في الفروع الصناعية للصناعات الغذائية في محافظة حضرموت، ومقارنته بالتوزيع النسبي لمعيار الاستخدام الصناعي للصناعات الغذائية في الدولة .

(٨) يتم استخراج معامل التمرکز الصناعي باتباع الخطوات الآتية :-

- (١) استخراج النسبة المئوية للعاملين في كل فرع صناعي في الإقليم من إجمالي العاملين في الصناعة في الإقليم نفسه .
 - (٢) استخراج النسبة المئوية للعاملين في كل فرع صناعي في الدولة من إجمالي عدد العاملين في الصناعة في الدولة نفسها .
 - (٣) طرح النسبة المئوية للدولة في الفقرة (٢) من النسبة المئوية للإقليم في الفقرة (١) .
 - (٤) جمع الفروقات ذات العلاقات السالبة والموجبة الناتجة من الفقرة (٣)
 - (٥) تقسيم ناتج الفقرة (٤) على ١٠٠ . وبذلك نحصل على قيمة معامل التمرکز الصناعي .
- إذا كان معامل التمرکز يتراوح بين الصفر والواحد صحيح دلّ ذلك على تركيز النشاط الصناعي في الإقليم .
- إذا كان معامل التمرکز دون الصفر دلّ ذلك على أن الصناعة غير متمركزة في الإقليم وإنما ربما تضطر إلى الانتقال إلى إقليم آخر .
- (٩) المحمدي، ياسين حميد بدع، التوطن الصناعي في محافظة نينوى (رسالة ماجستير غير منشورة) كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٢ ص ١٦٣

كما هو مبين في الجدول رقم (١) والجدول رقم (٢)، ومن ذلك التحليل يمكن تحديد معامل التمرکز الصناعي لفروع الصناعات الغذائية في محافظة حضرموت في الجدول رقم (٥).

جدول (٥) معامل التركز الصناعي لهيكل الصناعات الغذائية في محافظة حضرموت

المؤشرات الفروع الصناعية	نسبة عدد العاملين في محافظة حضرموت ١ %	نسبة عدد العاملين في الجمهورية ٢	الفرق بين ١ - ٢	١٠٠ ÷
طحن الحبوب	٤	٩.١	٥.١ -	٠.٠٥١ -
الألبان ومشتقاتها	٢.٦	٥.٣	٢.٧ -	٠.٠٢٧ -
المشروبات والمياه المعدنية	٦.٢	٩	٢.٨ -	٠.٠٢٨ -
السمن والزيوت النباتية	٤.٩	٣١.٥	٢٦.٦ -	٠.٢٦٦ -
تعليب وحفظ الأسماك	٨.٦	١.٤	٧.٢	٠.٠٧٢ -
تعليب وحفظ الخضار والفواكه	٣.٤	١.٧	١.٧	٠.٠١٧ -
البسكويت والحلويات	٢٥.٢	١٥.٢	١٠	١.
الخبز والمعجنات	٤٥	٢٦.٨	١٨.٢	١٨٢.
المجموع	١٠٠	١٠٠	٠.١ -	١ -

ومن خلال الجدول رقم (٥) نستخلص أن الصناعات الغذائية في محافظة حضرموت سجلت معامل بلغ (١-) وهذا يشير إلى حقيقة أن هذه الصناعات وغير متمركزة في محافظة حضرموت .

تحليل الأهمية الصناعية الغذائية في هيكل الصناعات الغذائية لمحافظة حضرموت

إن معدل الأهمية الصناعية^(١٠) يصلح لقياس درجة التقدم الذي تحققه صناعة معينة في الهيكل الصناعي في المنطقة أو إقليم أو دولة، بمعنى أن هذا المؤشر يعكس حقيقة

(١٠) يستخرج معدل الأهمية الصناعية حسب المعادلة الآتية :- ص = (ق + ع + أ + م) / ٣

حيث أن : ص = معامل الأهمية الصناعية . ق = معامل قوة العمل . ق أ = معامل قيمة الإنتاج . ق م = معامل القيمة المضافة .

ويتم حساب معامل هذه المؤشرات حسب الخطوات الآتية :

الوزن الاقتصادي لهذه الصناعة ومدى أهميتها من حيث توفير التشغيل للعمالة الصناعية والمساهمة في رفع القيمة المضافة في القطاع الصناعي، وتقوم فرضية هذا المقياس على أساس أنه كلما ارتفع معدل الأهمية الصناعية، كلما أصبح لهذه الصناعة وزن اقتصادي أكبر مقارنة بالصناعات الأخرى^(١١).

ويمكن استخدام معدل الأهمية الصناعية لقياس وزن وأهمية فروع الصناعات الغذائية في محافظة حضرموت من خلال مؤشرات الأيدي العاملة وقيمة الإنتاج والقيمة المضافة والتي يعكسها الجدول رقم (٦) ومن هذا نستخلص ما يلي :

جدول رقم (٦) معدل الأهمية الصناعية لهيكل الصناعات الغذائية في محافظة حضرموت

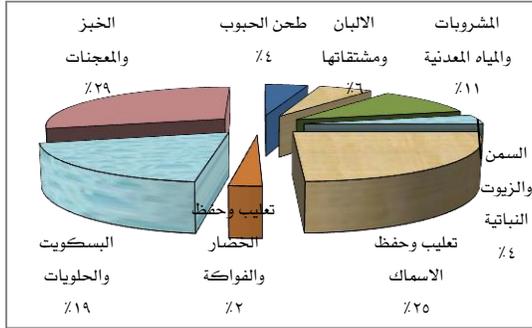
المرتبة	النسبة المئوية %	معدل الأهمية الصناعية	معامل الأهمية الصناعية	القيمة المضافة الصناعية (مليون ريال)	معامل الأهمية الصناعية	قيمة الإنتاج (مليون ريال)	معامل الأهمية الصناعية	عدد العاملين	المؤثرات الفروع الصناعية
٦	٤.٦	٣٧	٤٢.٧	٣٠٢	٣٦	٧٥٦	٣٢.٢	١١٢	طحن الحبوب
٥	٥.٨	٤٦.١	٦٣.٨	٤٥٢	٥٣.٩	١١٣٤	٢٠.٧	٧٢	الألبان ومشتقاتها
٤	١٠.٩	٨٧.٣	١١٤.٩	٨١٦	٩٧	٢٠٤٠	٥٠	١٧٤	المشروبات والمياه المعدنية
٧	٣.٧	٢٩.٣	٢٦.٦	١٨٩	٢٢.٥	٤٧٢	٣٨.٨	١٣٥	السمن والزيوت النباتية
٢	٢٤.٦	١٩٧	٢٨٣.١	٢٠١٠	٢٣٩	٥٠٢٦	٦٨.٩	٢٤٠	تعليب وحفظ الأسماك
٨	٢.٤	١٨.٩	١٥.٩	١١٢	١٣.٥	٢٨٣	٢٧.٣	٩٥	تعليب وحفظ الخضار والفواكه
٣	١٩	١٥٢.٤	١٣٨.٥	٩٨٢	١١٦.٩	٢٤٥٧	٢٠١.٧	٧٠٢	البسكويت والحلويات
١	٢٩	٢٣٢.١	١١٤.٤	٨١٢	٢٢١.٣	٤٦٥٢	٣٦٠.٦	١٢٥٥	الخبز والمعجنات
-	١٠٠	٨٠٠	٨٠٠	٥٦٧٩	٨٠٠	١٦٨٢٠	٨٠٠.٣	٢٧٨٥	المجموع

بالاعتماد على الجدول رقم (٢)

ق ع = (عدد عمال كل صناعة / متوسط عدد عمال الصناعات) × ١٠٠ ، ق أ = (قيمة إنتاج كل صناعة / متوسط قيمة إنتاج الصناعات) × ١٠٠ ، ق م = (القيمة المضافة لكل صناعة / متوسط القيمة المضافة للصناعات) × ١٠٠

انظر: حسن عبد القادر صالح، مدخل إلى جغرافية الصناعة، دار الشروق، عمان، الأردن، ١٩٨٥، ص ١٤٦.
(١١) صالح، حسن عبد القادر، مدخل إلى جغرافية الصناعة، دار الشروق، عمان، الأردن، ١٩٨٥، ص ١٤٦.

شكل رقم (٥) معدل الأهمية الصناعية لهيكل الصناعات الغذائية في محافظة حضرموت



المصدر: الجدول رقم (٢)

(١) جاءت صناعة الخبز والمعجنات في المرتبة الأولى من معدل الأهمية الصناعية بنسبة ٢٩٪، تليها صناعة تعليب وحفظ الأسماك بنسبة ٢٤.٦٪ واحتلت صناعة البسكويت والحلويات المرتبة الثالثة وبنسبة ١٩٪، وبذلك فقد استحوذت هذه الصناعات على نسبته ٧٢.٦٪ من النسبة الكلية لمعدل معامل الأهمية الصناعية للصناعات الغذائية في محافظة حضرموت، بينما شغلت الفروع الأخرى النسبة المتبقية لمعدل معامل الأهمية الصناعية البالغة ٢٧.٤٪.

(٢) إن هذه النسب تدل على حقيقة أن الثقل الاقتصادي للصناعات الغذائية في محافظة حضرموت يتركز في صناعة الخبز والمعجنات وصناعة تعليب وحفظ الأسماك، وصناعة البسكويت والحلويات وهذا ما يشكل خلل في هيكل الصناعات الغذائية في المحافظة حيث أنه يجب أن تنمو كل الصناعات بشكل منتظم بما يحقق متطلبات السوق من السلع والبضائع.

تحليل مستوى التوطن الصناعي لفروع الصناعات الغذائية في محافظة حضرموت

لتحديد ملامح مستوى التوطن الصناعي لفروع الصناعات الغذائية بمحافظات حضرموت ما بين صناعات متوطنة وصناعات غير متوطنة، فإنه قد تم استخدام معامل الموقع الصناعي^(١٢) لتحديد مستوى درجة توطن كل فرع صناعي، وعليه فقد تم اعتماد معدل عدد

(١٢) تم حساب معامل الموقع الصناعي باستخدام المعادلة الآتية :-

(مجموع العاملين في الفرع الصناعي لصناعة معينة في المحافظة / مجموع العاملين في الصناعة المعينة في المحافظة) / (مجموع العاملين في الفرع الصناعي لصناعة معينة في الدولة / مجموع العاملين في الصناعة المعينة في الدولة)

فإذا كانت قيمة المعامل أكبر من (١) عدد صحيح دل ذلك على توطن وتركز ذلك الفرع الصناعي في الإقليم.

- إذا كانت قيمة المعامل أقل من (١) فهذا يعني عدم توطن الصناعة وأن مستوى الفرع الصناعي في الإقليم هو أقل من مستوى الدولة.

من المؤشرات الإنتاجية تمثلت بمؤشرات الأيدي العاملة، وقيمة الإنتاج، والقيمة المضافة كمؤشرات تعكس بدرجة كبيرة وزن هذه الفروع الصناعية حتى يتمكن من الحصول على نتيجة تعكس واقع توطنها في محافظة حضرموت، كما تم حساب مستويات التوطن للعام ١٩٨٤م والعام ٢٠٠٩م للتعرف على إبراز اتجاهات توطن هذه الفروع الصناعية ومدى التغيير في مستوى توطنها أثناء مدة الدراسة .

ومن خلال تحليلنا للجدول رقم (١٩) والجدول رقم (٢) نخلص إلى تحديد مستويات التوطن الصناعي لفروع الصناعات الغذائية في محافظة حضرموت كما تبينه معطيات الجدول رقم (٧) والجدول رقم (٨)

جدول رقم (٧) تحديد معامل توطن فروع الصناعات الغذائية في محافظة حضرموت

٢٠٠٩				١٩٨٤				المؤشر فروع الصناعات الغذائية
معدل معامل الموقع	معامل موقع القيمة المضافة	معامل موقع القيمة الإنتاج	معامل موقع الأيدي العاملة	معدل معامل الموقع	معامل موقع القيمة المضافة	معامل موقع قيمة الإنتاج	معامل موقع الأيدي العاملة	
.٩	١.٧	.٦	.٤	٣.٦	٤.٢	٣.٤	٣.٤	طحن الحبوب
.٥	.٦	.٥	.٥	-	-	-	-	الألبان ومشتقاتها
.٨	١.١	.٨	.٧	.٦	.٤	.٣	١.٢	المشروبات والمياه المعدنية
.٢	.١	.٢	.٢	.٤	.٢	.٢	.٧	السمن والزيت النباتية
٥.٧	٥.٩	٤.٦	٦.٦	٤	٢.٦	٢.٧	٦.٧	تعليب وحفظ الأسماك
.٨	.٢	.١	٢.١	١.٩	١	.٦	٤.٢	تعليب وحفظ الخضار والفواكه
١.٥	١.٩	١.١	١.٦	.٤	.٣	.٤	.٦	البسكويت والحلويات
١.٣	١.٣	٢.٢	١.٧	.٧	.١	١.٤	.٦	الخبز والمعجنات

المصدر : - بالاعتماد على الجدول رقم (١) والجدول رقم (٢) .

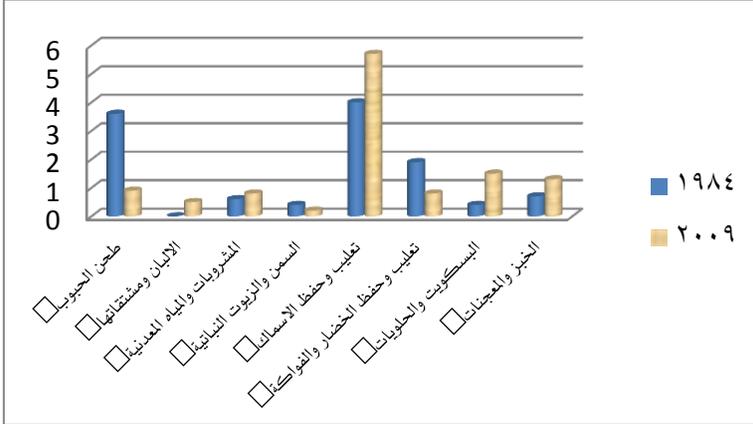
جدول رقم (٨) تحديد مستويات التوطن الصناعي لفروع الصناعات الغذائية

في محافظة حضرموت

٢٠٠٩		١٩٨٤		المؤشر فروع الصناعات الغذائية
صناعات غير متوطن	صناعات عالية التوطن	صناعات غير متوطن	صناعة عالية التوطن	
❖			❖	طحن الحبوب
❖		❖		الألبان ومشتقاتها
❖		❖		المشروبات والمياه المعدنية
❖		❖		السمن والزيت النباتية
	❖		❖	تعليب وحفظ الأسماك
❖			❖	تعليب وحفظ الخضار والفواكه
	❖	❖		البسكويت والحلويات
	❖	❖		الخبز والمعجنات

المصدر : بالاعتماد على الجدول (٧)

شكل رقم (٦) تحديد معامل توطن الصناعات الغذائية في محافظة حضرموت



المصدر: بالاعتماد على الجدول (٧)

من الجداول رقم (٧،٨) والشكل رقم (٦) نستخلص مستويات توطن فروع

الصناعات الغذائية في محافظة حضرموت كما يلي :-

(١) **الصناعات عالية التوطن** : وتتمثل في الصناعات التي يفوق معدل معامل توطنها (١)

عدد صحيح، وخلال العام ١٩٨٤م سجلت ثلاثة فروع صناعية مستوى توطن عال هي صناعة طحن الحبوب وصناعة تعليب وحفظ الأسماك، وصناعة تعليب وحفظ الخضار والفواكه، وبلغ معدل معامل موقعها (٣.٦، و٤، و١.٩) على التوالي، كما أنه في العام ٢٠٠٩م سجلت ثلاثة فروع صناعية مستوى توطن عالي هي صناعة تعليب وحفظ الأسماك، وصناعة البسكويت والحلويات، وصناعة الخبز والمعجنات، وبلغ معدل معامل موقعها (٥.٧، و١.٥، و١.٣) على التوالي .

(٢) **الصناعات غير المتوطنة** : وتتمثل في الصناعات التي يقل معدل معامل توطنها عن (١)

عدد صحيح فخلال العام ١٩٨٤م ظهرت خمس فروع صناعية غير متوطنة هي صناعة الألبان ومشتقاتها، وصناعة المشروبات والمياه المعدنية، وصناعة السمن والزيت النباتية، وصناعة البسكويت والحلويات، وصناعة الخبز والمعجنات، وقد بلغ معدل معامل توطنها (صفر، و٠.٦، و٠.٤، و٠.٤، و٠.٧) على التوالي، كما أنه في العام ٢٠٠٩م ظهرت أيضاً خمس فروع صناعية غير متوطنة تمثلت في صناعة طحن الحبوب، وصناعة الألبان ومشتقاتها، وصناعة المشروبات والمياه المعدنية، وصناعة

السمن والزيوت النباتية، وصناعة تعليب وحفظ الخضار والفواكه، وقد بلغ معدل معامل مواقعها (٠.٩، و٠.٥، و٠.٨، و٠.٢، و٠.٨) على التوالي .

(٣) من خلال معرفة التغير الذي حصل على مستوى توطن فروع الصناعات الغذائية في محافظة حضرموت ما بين ١٩٨٤ و ٢٠٠٩م أتضح في تعزيز صناعة تعليب وحفظ الأسماك لتوطنها إذا ارتفع معدل معامل مواقعها من ٤ إلى ٥.٧، كما حصل تغير إيجابي واضح في توطن صناعة البسكويت والحلويات؛ إذ تغير مستوى توطنها من صناعات غير متوتنة في العام ١٩٨٤م إلى صناعات متوتنة في العام ٢٠٠٩م إذ ارتفع معدل معامل مواقعها من ٠.٤، و٠.٧ إلى ١.٥، و ١.٣ على التوالي .

كما يلاحظ تراجع في مستوى توطن صناعة طحن الحبوب وصناعة تعليب وحفظ الخضار والفواكه من صناعات متوتنة في العام ١٩٨٤م إلى صناعات غير متوتنة في العام ٢٠٠٩م؛ إذ تراجع معدل معامل مواقعها من ٣.٦، و ١.٩ إلى ٠.٩، و ٠.٨ على التوالي، مما يشير إلى عدم استقرار توطن هاتين الصناعتين أثناء هذه المدة .

الخلاصة :

ناقش البحث واقع الهيكل الصناعي للصناعات الغذائية في محافظة حضرموت للمدة من ١٩٨٤م - ٢٠٠٩م من خلال استخدام عدد من أساليب التحليل الكمي بالاعتماد على عدد من المؤشرات الإنتاجية فقد تم الوصول الى تحليل واقع الهيكل الصناعي لفروع الصناعات الغذائية في محافظة حضرموت، تم التوصل إلى عدد من النتائج من أهمها نوجز أهمها في الآتي :

(١) سجلت معظم فروع الصناعات الغذائية في محافظة حضرموت أثناء المدة من ١٩٨٤ - ١٩٩٦م تغيراً موجباً في نمو الاستخدام (R) بلغ أعلى معدل له في صناعة الخبز والمعجنات ب ١٠٦٠ فرصة عمل، فيما سجلت صناعة تعليب وحفظ الأسماك وصناعة تعليب وحفظ الخضار والفواكه تغيراً سالباً بلغ -٢، و -٤ على التوالي، كما سجل حجم الاستخدام للصناعات الغذائية في المدة من ١٩٩٦م - ٢٠٠٩م تراجعاً في فرص العمل بلغ نحو - ٦٠٥ فرصة عمل حيث سجلت صناعة طحن الحبوب وصناعة المشروبات والمياه المعدنية وصناعة السمن والزيوت النباتية تراجعاً سلبياً في حجم الاستخدام بلغ (-٢١٢، -٣٥٩، -٣٥٠) فرصة عمل

على التوالي . وبذلك نجد أن التغير الإيجابي في حجم الاستخدام على مستوى الدولة للمدتين من ١٩٨٤ - ١٩٩٦ ، ١٩٩٦ - ٢٠٠٩م لم يؤثر بشكل إيجابي على مستوى الاستخدام للفروع الصناعية المذكورة آنفاً، ويبدو أن ذلك التراجع حدث بتأثير عوامل محلية على مستوى الإقليم .

(٢) أشار تحليل معامل التمرکز الصناعي إلى أن الصناعات الغذائية في محافظة حضرموت سجلت معامل تمرکز بلغ (١-) وهذا يشير إلى نتيجة أن هذه الصناعة غير متمركزة في محافظة حضرموت .

(٣) بينت تحاليل معدل الأهمية النسبية الى حقيقة أن الثقل الاقتصادي للصناعات الغذائية في محافظة حضرموت يتمثل في صناعة الخبز والمعجنات، وصناعة تعليب وحفظ الأسماك، وصناعة البسكويت والحلويات، حيث سجلت هذه الصناعات مجتمعة ما نسبته ٧٢.٦٪ من النسبة الكلية لمعدل الأهمية النسبية للصناعات الغذائية.

(٤) من تحليلنا لمستويات التوطن لفروع الصناعات الغذائية للمدة من بين ١٩٨٤ - ٢٠٠٩م تبين لنا أن صناعة تعليب وحفظ الأسماك عززت من توطنها إذ ارتفع معامل موقعها من ٤ في العام ١٩٨٤ إلى ٥.٧ في العام ٢٠٠٩، كما حصل تغير إيجابي في توطن صناعة البسكويت والحلويات إذ تغير مستوى توطنها من صناعات غير متوطنة في العام ١٩٨٤ إلى صناعات متوطنة في العام ٢٠٠٩م، كما يلاحظ تراجع مستوى توطن صناعة طحن الحبوب وصناعة تعليب وحفظ الخضار والفواكه من صناعات متوطنة في العام ١٩٨٤ إلى صناعات غير متوطنة في العام ٢٠٠٩ .

المراجع :

- (١) السعيدى، محمد أحمد، استراتيجية التصنيع في اليمن، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٠م .
- (٢) رسول، أحمد حبيب، جغرافية الصناعة، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، ١٩٨٥م .
- (٣) العسكري، عمر عوض، التحليل المكاني لتوطن الصناعات الغذائية في اليمن، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) كلية الآداب جامعة عدن، ٢٠١٢م.
- (٤) المحمدي، ياسين حميد برع، التوطن الصناعي في محافظة نينوى، دراسة في جغرافية الصناعة، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٢م.
- (٥) الحديثي، حسن محمود، محاضرات في الجغرافية الصناعية ألقىت على طلبة الدراسات العليا قسم الجغرافيا كلية الآداب، جامعة بغداد للعام الجامعي ٩٨/٩٧م والعام ٩٨ / ٩٩م (غير منشورة) .
- (٦) صالح، حسن عبد القادر، مدخل إلى جغرافية الصناعة، دار الشروق، عمان، الأردن، ١٩٨٥م.

نفع الناس للناس في ضوء القرآن الكريم

د. رفعت حسين محمد عبورة

الأستاذ المساعد في قسم القرآن الكريم وعلومه .
كلية التربية بجامعة صنعاء .



جامعة الأندلس
للعلوم والتكنولوجيا

Alandalus University For Science & Technology

(AUST)

نفع الناس للناس في ضوء القرآن الكريم

المقدمة:

إن نفع النَّاس من أعظم القربات التي يتقرب بها العبد إلى الله سبحانه وتعالى، وأهم الأعمال الصَّالحة خصوصاً في هذا الزَّمان الذي طغت فيه الأنانية والمصالح الشخصية وحب المنفعة الدَّاتية، وتآثر بعض المسلمين بمبدأ البرجماتية. (١)

ومن هنا ندرك عظمة الإسلام الذي حثَّ على تقديم النفع للنَّاس وجعله من الأعمال الصَّالحة قال الله تعالى ﴿ مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل: ٩٧).

ولقد اعتبر الإسلام نفع الناس، وتحقيق مصالحهم، وتفريغ كربهم، وتقديم الخير والإحسان إليهم، هو المعيار لحب الله ورضاه ولخيرية الإنسان قال رسول الله: "أحبُّ العباد إلى الله تعالى أنفعهم لعياله" (٢).

وقد ورد الأمر بالنفع للناس بطريق مباشر مثل قوله تعالى ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَأَسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (الحج: ٧٧). وقوله تعالى ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ (المنافقون: ١٠)؛ وقوله تعالى ﴿ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ (الحديد: ١٨) وقوله تعالى ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (البقرة: ١٩٥)

كما ورد الأمر بالنفع للناس بطريق غير مباشر مثل قوله تعالى ﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيمًا ﴾ (النساء: ٨٥).

ولهذا فإنَّ هذا البحث يهدف إلى الإجابة عن السؤالات الآتية:

س^١: ما مفهوم النَّفْع للناس ؟

س^٢: ما أهمية تقديم النَّفْع للناس ؟ وهل ورد في القرآن الكريم الترغيب في نفع الناس ؟

س^٣: ما أهم الضوابط عند تقديم النَّفْع للنَّاس ؟

^١ - انظر: قاموس العربية: لمحمد علي الخولي: ص٣٦٣، ن دار العلم للملايين (بيروت - لبنان)، ط (١٩٨٥م).

^٢ صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته: لمحمد ناصر الدين الألباني: ص١٨، رقم الحديث (١٧٢)، وقال: حديث حسن، ن المكتب الإسلامي، ط: بدون تاريخ.

س^٤: ما الحكم الشرعي لتقديم النفع للناس ؟

س^٥: ما أنواع نفع الناس للناس من خلال القرآن الكريم ؟

س^٦: ما أهم الثمار الدنيوية والأخروية التي يجنيها مَنْ يُقَدِّمُ النَّفْعَ لِلنَّاسِ ؟

وستكون الإجابة عن التساؤلات من خلال آيات تحث المسلم على ممارسة أعمال تنفع الناس، سواء كانت تحث المسلم على تقديم النَّفْعِ للناس بأسلوب القرآن الكريم المباشر أم بأسلوبه غير المباشر الذي يُفهم منه الحث على نفع النَّاسِ إِمَّا من خلال سياق الآيات أو التفاسير التي تفسر هذه الآيات .

ومن خلال التأمل في بعض الآيات القرآنية التي تحث على النَّفْعِ وُجِدَ أنَّهَا تضمنت أنواعاً للنفع هي: النفع المادي ، والنفع المعنوي، والنفع الاجتماعي، والنفع الاقتصادي، والنفع السياسي، والنفع الأمني . مما لفت نظر الباحث للتحديث والإفصاح عن تلك الأنواع للنفع وهذا هو الجديد في هذا البحث.

مبشرات البحث : ويمكن حصر مبشرات البحث في الآتي:

- ١ - الأنانية المفرطة التي سادت حياة كثير من المسلمين على اختلاف مكانتهم العلمية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية .
- ٢ - الكثير من المسلمين يزهد في نفع الناس لجهله بالجزاء الدنيوي والأخروي الذي جعله الله لِمَنْ يَنْفَعُ النَّاسَ ويسارع في قضاء حوائجهم وتفتيس كربهم .
- ٣ - ترغيب ذوي الوجاهة والأغنياء وغيرهم في المسارعة إلى تقديم النفع للناس في مجتمعاتهم .

الدراسات السابقة: لم يتطرق أحد من الباحثين إلى هذا الموضوع - حسب ما اطلعت

عليه - ولم يوجد سوى بحثين يقتربان من هذا الموضوع:

أولهما: بعنوان (المنفعة المترتبة على السلوك الإنساني في السُّنَّةِ النبوية) للباحث (عدنان مصطفى خطاطبة) ^(٣)، وثانيهما: بعنوان (مفهوم نفع الآخرين في الإسلام ومدى تمثله لدى طلبة الجامعة الإسلامية بغزة) للباحثين (د/حمدان عبدالله الصويفي،

^٣ منشورات جامعة اليرموك بالاردن، كلية الشريعة، مؤتمر السنة النبوية في الدراسات المعاصرة)، (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).

د / جميل حسن الطهراوي^(٤)، ويلاحظ عليهما أن أولهما تناول السلوك الإنساني في السُّنة النبوية ولم يتطرق إليه من خلال القرآن الكريم .
والبحث الثاني: بحث تربوي ميداني تمَّ تطبيقه على طلبة (الجامعة الإسلامية بغزة) فلسطين .

وقد أفاد البحث الحالي من الباحثين السابقين من حيث إثراء موضوع البحث واختيار العناصر التي تحقق أهدافه، وتميز عنهما من حيث ذكره لأنواع نفع الناس للناس من خلال القرآن الكريم، واستنباط الثمار الدنيوية والأخروية من خلال القرآن الكريم لمن يقدم النفع للناس في الحياة الدنيا .

المنهج المتبع في هذا البحث :

أتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي القائم على التحليل والتفسير ثم الاستنباط من بعض الآيات المتعلقة بكل نوع من أنواع النفع وفقاً للخطوات الآتية:

١ - عرض بعض الآيات التي تناولت الحث على نفع النَّاس؛ لأنَّ الآيات التي تحث على النفع كثيرة جداً ولا يمكن حصرها في مثل هذا المقام، ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

٢ - استنباط أنواع النفع: المادية، والمعنوية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والأمنية المتضمنة في تلك الآيات وإثرائها من خلال كتب التفاسير المعتمدة، ومن السنة النبوية التي لها علاقة بهذا الموضوع .

٣ - عزو الآيات القرآنية إلى سورها، وعزو الأحاديث النبوية الواردة في هذا البحث إلى مصادرها، وعزو أقوال العلماء إلى كتبهم .

خطوات البحث:

يتكون البحث من: مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة .

المقدمة: تحتوي على أهداف البحث، ومبرراته، والدراسات السابقة له، ومنهجيته، وخطواته.

^٤ منشورات جامعة غزة بفلسطين، كلية التربية بقسي أصول التربية وعلم النفس، (رجب ١٤٢٩ هـ - يوليو ٢٠٠٩) .

المبحث الأول: يحتوي على مفهوم النفع وأهميته، والترغيب فيه، وضوابطه وحكمه الشرعي.

المبحث الثاني: ويحتوي على: أنواع نفع الناس للناس في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الثالث: ويحتوي على: ثمار تقديم النفع للناس في الدنيا والآخرة.

أمّا الخاتمة: فقد احتوت على: النتائج ثم التوصيات والمقترحات في ضوء ما استسفر عنه نتائج البحث.

المبحث الأول : مفهوم النفع وأهميته والترغيب فيه وضوابطه وحكمه

تعريف النفع في اللغة:

النفع مصدر؛ يقال: نفعه نفعاً أي: أفاده وأوصل إليه خيراً، فهو نافع ونفّاع إذا كان

ينفع الناس ولا يضرهم، فهو من النفع الثلاثي المتعدي قال الله تعالى ﴿ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ

لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ (النساء: ١١) وقال ﴿وَيَتَعَلَّوْنَ مَا يَصُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾

(البقرة: ١٠٢) و(انتفع) به حصل منه على منفعة، و(استنفع) فلانا طلب نفعه، و(المنفعة)

كل ما ينتفع به، و(الجمع) منافع، قال تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا

إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ (البقرة: ٢١٩) و(منافع الدار) مرافقها،

و(المنافع العامة) ما كانت فوائدها مشتركة بين الناس، و(النافع) اسم من أسماء

الله الحسنى، ونفع غيره نفعه بكذا أفادته أي: صنع له خيراً، عكسه ضرراً، قال

الشاعر: ومن العداوة ما ينالك نفعه ومن الصداقة ما يضر ويؤلم

و(النفع) الخير، وهو ما يتوصل به الإنسان إلى مطلوبه^(٥). ومن خلال ما تقدم

يتضح أنّ النفع له عدة معان في اللغة؛ فهو يقابل الضرر، والفائدة، والإفادة، وتقديم

العون والمساعدة والخير، وما يتوصل به الإنسان إلى مطلوبه في أي مجال من مجالات

الحياة.

^٥ انظر: تاج العروس من جواهر القاموس لأبي الفيض محمد بن عبد الرزاق الحسيني المرتضى اليزيدي: ٢٢ / ٢٦٨ . ٢٧٠ . تحقيق: مجموعة من المحققين، ن: دار الهداية، معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: ٥ / ٤٦٣، تحقيق: عبد السلام محمد مارون، ن: دار الفكر (بيروت)، ط: (١٩٧٩م)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: لأحمد بن محمد المقرمي الفيومي: ٢ / ٦١٨، ن: المكتبة العلمية (بيروت)، ط: بدون تاريخ، المعجم الوسيط: لإبراهيم مصطفى وآخرون: ٢ / ٩٤٢، تحقيق: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ن: دار الدعوة، ط: بدون تاريخ.

تعريف النفع في الاصطلاح :

النَّفْعُ: ما يُستعان به في الوصول إلى الخيرات، وما يتوصل به إلى الخير فهو خير، وضده الضر^(٦).

ويبدو أن هناك تقارباً بين المعنى اللغوي والاصطلاحي لتعريف النفع، وعليه فيمكننا تعريف نفع الناس بأنه: كل نشاط يتولاه فرد أو جماعة بغرض دفع الضر عن الناس أو جلب الخير والمصلحة لهم؛ لإشباع حاجاتهم المادية والمعنوية والاقتصادية، والاجتماعية والسياسية والأمنية، وفقاً لشرع الله تعالى في كل مجالات الحياة المختلفة .

أهمية تقديم النَّفْع للنَّاس :

يُعد تقديم النفع للناس من صفات الأنبياء والرسل؛ لأنه دليل على طيب المنبت، ونقاء الأصل، وصفاء القلب، وحسن السريرة، وقد وصفت أم المؤمنين السيدة خديجة رسول الله مبينة بعض أخلاقه فقالت له تخاطبه بعد نزول الوحي عليه عندما عاد وقال (زملوني): (كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق)^(٧).

إنَّ تقديم النفع للناس يجعل المجتمع الإسلامي متحاباً ومتربطاً ومتكافلاً ومتعاوناً يسوده الحب والوثام والأمان والبهجة والسعادة والسرور؛ لأنَّ كل فرد فيه يتقرب إلى الله بإخلاصه في عمله وتقديم النفع للنَّاس كُلِّ في اختصاصه وفي مجال عمله وفي الأمور التي يقدر على القيام بها كل فرد؛ ولأنَّ تقديم النفع للناس له أهمية كبيرة في إصلاح المجتمعات الإسلامية واستقرارها وسعادتها، فقد أمر الله تعالى به في كثير من الآيات التي تحث على الإنفاق في سبيل الله، و الإنفاق على الفقراء والمساكين واليتامى والأقارب وابن السبيل، والسائلين، والتي تأمر بالزكاة، والعدل، والصدقة،

٦- مفردات غريب ألفاظ القرآن: للحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالرَّاعِب الأصفهاني: ٥٠٢/١، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ن: دار المعرفة للطباعة والنشر (بيروت - لبنان)، ط: بدون تاريخ، التوقيف على مهمات التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي: ٧٠٨/١، تحقيق: د/ محمد رضوان الدَّاية، ن: دار الفكر المعاصر، ط: (١٤١٠هـ).

٧- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: ٤/١ (بده الوحي) حديث رقم ٢٣، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ن: دار ابن كثير، اليمامة (بيروت)، ط: (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)

وإيجاب التكافل، والتعاون والتراحم، والشفاعة الحسنة، والإصلاح بين الناس، وغير ذلك مما فيه نفع للناس. من تلك الآيات على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

قال الله تعالى ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ وَبِالْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوَى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٧)، قال الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٩٠)، وقال تعالى ﴿وَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا نَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة: ٢)، وقال تعالى ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْبِلًا﴾ (النساء: ٨٥)، وقال الله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات: ١٠).

الترغيب في تقديم النفع للناس:

رَغِبَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فِي تَقْدِيمِ النِّعَمِ لِلنَّاسِ وَأَمْرًا بِهِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَةِ الْكَرِيمَةِ مِنْهَا: قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤)، وقال تعالى ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا كُوفُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨)، وقال تعالى ﴿وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهِمُ وَالْمَوْلَافَةَ فُلُوهُمْ فِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٦٠)، وقال تعالى ﴿وَأَتَىٰ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَلَا بُدَّرَ تَبْدِيرًا﴾ (٦١) إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ (الإسراء: ٢٦ - ٢٧)، وقال تعالى ﴿الَّذِينَ إِذَا مَكَتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أقمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا

الزَّكَاةَ وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ (الحج: ٤١)، وقال تعالى ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾ (سبأ: ٣٩).

يتضح من الآيات السابقة أن الله سبحانه وتعالى رَغِبَ في تقديم النفع للناس وأمر به عبر الحث على الإنفاق على الفقراء والمساكين في السراء والضراء، وتقديم الصدقات والزكاة لمستحقيها، وتقديم المعروف للناس والإصلاح بينهم، وحثهم على الوفاء والعهود والمواثيق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإيفاء المكيال والميزان، وإعطاء القربات والمساكين وابن السبيل حقوقهم، والإحسان إلى الناس عموماً، ووعدهم الله لكل من قدم النفع للناس ودفع الضرر عنهم بخيري الدنيا والآخرة. ولقد حثَّ الرسول الكريم على نفع الناس وخدمتهم بإطلاق دون تمييز لأفكارهم أو لأحوالهم؛ إذ الخير في الإسلام عام. فعن عبد الله بن عمر (أن رجلاً جاء إلى رسول الله فقال: يا رسول الله أيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ ؟ فقال: أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُم لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ - عزوجل - سرور تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كَرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ شَهْرًا - يعني مسجد المدينة - وَمَنْ كَظَمَ غِيظَهُ - ولو شاء أَنْ يَمْضِيَهُ أَمْضَاهُ - مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رِضًى، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَقْضِيَهَا لَهُ ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمِيهِ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ)^(٨)، وعن أبي الدرداء أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ (أَلَا أَخْبِرْكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ . قَالُوا: بَلَى . قَالَ: إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ)^(٩)، وقد استنذَن رجل النبي في رقية رجل لدغته عقرب فقال له النبي (من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل)^(١٠) وقال (صدقة السر تطفئ غضب الرب)^(١١).

^٨ - المعجم الكبير: لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني: ٤٥٣/١٢، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم (الموصل - العراق)، ط: ٢، (١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م)، المعجم الأوسط: لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني: ١٣٩/٦، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وآخر معه، تدار الحرمين - القاهرة، ط: ١ (١٤١٥هـ)، والمسلسلة الصحيحة: لمحمد ناصر الدين الألباني: ٥٧٤/٢، برقم (٩٠٦) وقال عنه: حسن، ن: مكتبة المعارف (الرياض - السعودية).

^٩ - سنن أبي داود: لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني: ٤٣٢/٤، برقم (٤٩٢١)، تدار الكتاب العربي (بيروت - لبنان)، ط: بدون تاريخ، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح: لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي: ٩٢/٣، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، تدار المكتبة الإسلامية - (بيروت)، ط: ٣ (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) ^{١٠} - صحيح مسلم: لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري: ١٨/٧ (كتاب السلام)، رقم (٥٨٥٧)، تدار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط: بدون تاريخ.

^{١١} - المسلسلة الصحيحة: لمحمد ناصر الدين الألباني: ٤٠٧/٤، برقم ١٩٠٨ وقال: صحيح بمجموع طرقه وشواهده.

يتضح من الأحاديث السابقة أن النبي رغبَ المؤمنين في تقديم النفع للناس لما لذلك من أثر كبير في تحقيق الأمن والأمان والسعادة والاستقرار في المجتمعات الإنسانية.

ضوابط تقديم النفع للناس:

إنَّ المسلم في نفعه للنَّاس لا بُدُّ له أن ينطلق وفقاً لضوابط تجعل نفعه للناس فيه أثر دنيوي وأجر أخروي ليجمع بين سعادة الدنيا ونعيم الآخرة، ونجمل أهم الضوابط من وجهة نظري فيما يلي:

(١) **الإيمان:** قال الله تعالى ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ (الفرقان: ٢٣)، أي عدم قبول ما عملوا من الحسنات كإطعام المساكين، وصلة الأرحام، وغير ذلك، وأنها لا تتفعهم؛ لأن الإيمان شرط في قبول الأعمال^(١٢)

وقال الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ يَفِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَاقًّا إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (النور: ٣٩)، يقول الشوكاني: "المراد بالأعمال هنا: هي الأعمال التي من أعمال الخير كالصدقة، والصلة، وفك العاني، وعمارة البيت، وسقاية الحاج ... والمعنى: أن الكفار يُعولون على أعمالهم التي يظنونها من الخير ويطمعون في ثوابها، فإذا قدموا على الله سبحانه لم يجدوا منها شيئاً؛ لأن الكفر أحبطها ومحا أثرها."^(١٣)

وقال الله تعالى ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ (النساء: ١٢٤) يقول ابن جزى: "دخلت من للتبويض رفقاً بالعباد؛ لأن الصالحات على الكمال لا يطيقها البشر ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ تقييد باشتراط الإيمان، فإنه لا يُقبل عمل إلا به."^(١٤)

(٢) **الإخلاص:** أن يكون تقديم النفع للناس خالصاً من الرياء ومن الشوائب فلا يصح أن يكون مشروطاً بتحقيق شيء لمن يبذل نفعه للناس أو لغرض شيء، بل لا بُدَّ أن

^{١١} - التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي: ٧٧/٣، ن دار الكتاب العربي (بيروت - لبنان)، ط ٤ (٤٠٣ هـ - ١٩٩٨ م). وانظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: لمحمد بن علي الشوكاني: ٩٢/٤، ن مؤسسة الريان (بيروت، لبنان)، ط: ٣ (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م)، وتيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان: لعبد الرحمان بن ناصر السعدي: ص ٥٢٩، ن مؤسسة الرسالة (بيروت، لبنان)، ط: ١ (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م).

^{١٣} - فتح القدير: للشوكاني: ٥١/٤ (مصدر سابق).

^{١٤} - التسهيل لعلوم التنزيل: لابن جزي الكلبي: ١٥٨/١، وانظر فتح القدير: للشوكاني: (٦١١/١) تحقيق د/عبدالرحمان عميرة، ن دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع (المنصورة)، ط ١، (١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م).

يكون ابتغاء مرضاة الله تعالى، وَحَبًّا فِي إِيصَالِ الْخَيْرِ لِلنَّاسِ وَدَفْعًا لِلضَّرْرِ عَنْهُمْ تحقيقاً لقول الله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف: ١١٠)، قال القرطبي: قال الماوردي، وقال جميع أهل التأويل معنى قوله تعالى ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ "أنه لا يرأى بعمله أحدًا"^(١٥)، ويقدم الخير والنفع للناس عموماً دون تمييز بينهم، ودون أن يشترط عليهم شروطاً (ما) قد تكون مجحفة في حقهم وتضرهم أكثر مما تنفعهم.

٣) **موافقة النفع للكتاب والسنة:** ويتجلى هذا من خلال فهم قوله الله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف: ١١٠) قال ابن كثير: أي: ما كان موافقاً لشرع الله، وهو الذي يُراد به وجه الله وحده لا شريك له، وهذان ركنا العمل المتقبل، لا بد أن يكون خالصاً لله، صواباً على شريعة رسول الله "^(١٦).

فعندما يسعى المؤمن لتقديم النفع للناس ودفع الضرر عنهم ينبغي أن يكون ذلك بالوسائل المشروعة الموافقة للكتاب والسنة، فلا يجوز لإنسان مهما كان جاهه أو عمله أو ماله أو مكانته أن يسعى لنفع إنسان (ما) أو جهة (ما) بتعطيل حدود الله، أو بمخالفة شرع الله في أمر (ما) من أمور الحياة، ولذلك لما جاء أسامة بن زيد - الحبُّ ابن الحبِّ - إلى رسول الله، ليكلمه في شأن إحدى الشريقات، من بني مَخَزُوم، كانت قد سُرقت، وهي فاطمة المخزومية، لِيُسْقَطَ عنها الحدُّ، إكراماً لقومها، وتألُفاً لهم، انطلاقاً من مراعاة الواقع، وعدم إغضاب عُصْبَتِهَا، بل تقريبيهم، فغضب رسول الله حتى احمرَّ - وجهه ثم قال "أتشفع في حد من حدود الله؟! إنما أهلك من كان قبلكم، أنهم كانوا، إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف، أقاموا عليه الحدَّ وأيم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت، لقطعتُ يدها"^(١٧).

^{١٥} - الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي: ٧٠/١١، تحقيق: هشام سليم البخاري، ن: دار عالم الكتب (الرياض - السعودية)، ط١: (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م)، وانظر: معالم التنزيل: لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي: ٢١٣/٥، تحقيق: محمد عبدالله النمر وآخرون، ن: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤: (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

^{١٦} - تفسير القرآن العظيم: لإسماعيل بن عمر بن كثير: ٢٠/٥، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ن: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢: (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

^{١٧} - الجامع لمسند الصحيح: للبخاري: ١٢٨٢/٣، باب ٥٢ حديث رقم (٣٢٨٨).

٤) عدم انتظار المكافأة من البشر: إن المؤمن الحق هو الذي يسعى إلى تقديم النفع للآخرين بقدر الاستطاعة، ودون أن ينتظر من أحد جزاءً ولا شكوراً، تطبيقاً عملياً منه لقول الله تعالى ﴿ إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ۗ ﴿١٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا ۗ ﴿٢٠﴾ (الإنسان: ٩-١٠) لأن هدفه رضا الله والأجر الآخروي، ولذلك فهو لا يُتبع ما يُقدمه من نفع للناس منأً ولا أذى، ولا يُصيبه الإحباط، ولا يقل حماسه إن لم يُشكر من لدن الناس .

٥) المنفعة الرَّاجحة: من ضوابط تقديم النفع للناس ترجيح جانب المنفعة في العمل المراد أدائه لتقديم النفع للآخرين، أما إذا ترجَّح جانب الضرر على جانب النفع فيجب الإقلاع عن هذا العمل والانصراف عنه إلى غيره لقول الله تعالى ﴿ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۗ ﴾ (الحج: ٧٧) أي: "وتحروا ما هو خير وأصلح فيما تأتون وتذرون كنوازل الطاعات وصلة الأرحام ومكارم الأخلاق" (١٨) وحتى لا يتحقق فيه قول الإمام الشافعي رحمه الله:

رام نفعاً فَضَّرَّ من غير قصدٍ ومن الهرِّ ما يكون عقوقاً (١٩)

٦) المبادرة إلى تقديم النفع للناس: إن المبادرة إلى تقديم النفع للناس دليل على كمال الإيمان وقوته بدليل قول النبي: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) (٢٠) فكما أن الإنسان يحب النفع لنفسه ودفع الضرر عنها فعليه أن يحب النفع للناس ودفع الضرر عنهم كما يحب ذلك لنفسه ليكون بذلك قد بلغ كمال الإيمان ووصل إلى قوة الإيمان، ويبدو لي أن هذا الحديث ميزان يزن به الفرد المؤمن قوة إيمانه وكماله، والإنسان أعرف بنفسه من غيره ولذلك قال الله تعالى ﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۗ ﴾ (القيامة: ١٤)، وقد كان النبي أسرع الناس مبادرةً، لتقصي أسباب الخطر، ومصادره، ليدفعه عنهم، فعن أنس بن مالك، قال: كان رسول

^{١٨} - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: محمد بن محمد العمادي أبو السعود: ١٢٢/٦، ن دار احياء التراث العربي (بيروت - لبنان)، ط: (بدون تاريخ).

^{١٩} - ديوان الإمام الشافعي: لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي الحطاب القشيري: ص٨٣، تحقيق: عبدالرحمن المصطاوي، ن دار المعرفة (بيروت - لبنان)، ط: ٢٠٠٥ م.

^{٢٠} - الجامع المسند الصحيح: للبخاري: ١/١٤٠، (كتاب الإيمان) رقم الحديث (١٣) (مصدر سابق).

اللَّهُ، أشجع الناس، وأحسن الناس، وأجود الناس، قال: فزِعَ أهل المدينة ليلة، فانطلق الناس قبل الصوت، فلتقاهم رسول الله وقد سبقهم وهو يقول: (لن تُراعوا) وهو على فرس لأبي طلحة عُرِي^(٢١)، في عُنُقِهِ السيف قال: فجعل يقول للناس (لن تراعوا) وقال: (وجدناه بحراً) (يعني الفرس)^(٢٢).

الحكم الشرعي لتقديم النَّعْمِ للنَّاسِ:

لقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بتقديم النَّعْمِ للناس بصورة مباشرة وغير مباشرة من خلال آيات كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر قول الله تعالى ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الحج: ٧٧)، فقد أمر الله - عزوجل - بتقديم النفع للناس في هذه الآية بصورة مباشرة عَبَّرَ عنها بأمرهم بفعل الخير.

قال ابن عطية، والقرطبي^(٢٣): "ندب فيما عدا الواجبات التي صَحَّ وجوبها من غير هذا الموضع" ويقول الثعالبي: "هذه الآية الكريمة عامة في أنواع الخيرات ومن أعظمها الرأفة والشفقة على خلق الله ومواساة الفقراء وأهل الحاجة." ^(٢٤)

وفي الآية كما قال الألوسي تعميم بعد تخصيص أو مخصوص بالنوافل وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أنه أمر بصلة الأرحام ومكارم الأخلاق^(٢٥)، وقال الشربيني: "أي: كله من القرب كصلة الأرحام، وعيادة المريض، ونحو ذلك من معالي الأخلاق"^(٢٦)، وقال الدكتور محمد سيد طنطاوي: فعل الخير يشمل كل قول وعمل يرضي الله تعالى، كإنفاق المال في وجوه البر، وكصلة الرحم، والإحسان إلى الجار

^{٢١} - لا شُرح عليه.

^{٢٢} - الطبقات الكبرى: لابن سعد: ٣٧٣/١، ن: دار صادر (بيروت - لبنان)، ط: (بدون تاريخ).

^{٢٣} - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي: ١٦٦/٤، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، ن: دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان)، ط: ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٩٨/١٢، تحقيق: هشام سمير البخاري (مصدر سابق).

^{٢٤} - الجواهر الحسان في تفسير القرآن: لعبد الرحمن بن محمد الفعالي: ٨٩/٣، ن: مؤسسة الأعلمي (بيروت - لبنان)، ط: (بدون تاريخ).

^{٢٥} - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: لمحمود بن عبدالله الألوسي: ٢٠٨/١٧، ن: دار إحياء التراث العربي (بيروت - لبنان)، ط: ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).

^{٢٦} - تفسير السراج المنير: لمحمد أحمد الشربيني: ٤٤٧/٢، ن: دار الكتب العلمية (بيروت، لبنان)، ط: (بدون تاريخ).

وغير ذلك من الأفعال التي حضت عليها تعاليم الإسلام^(٢٧). ويأمر الله سبحانه وتعالى بتقديم النفع للناس بصورة غير مباشرة في قوله تعالى ﴿وَعَاوِزُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوِزُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: ٢)، قال القرطبي: هو أمر لجميع الخلق بالتعاون على البر والتقوى، أي ليُعِنَ بعضكم بعضاً، وتحاثوا على ما أمر الله تعالى واعملوا به، وانتهوا عما نهى الله عنه وامتنعوا منه، وهذا موافق لما روي عن النبي أنه قال: (من دلَّ على خير فله مثل أجر فاعله)^(٢٨)، وقال الماوردي: نذب الله - سبحانه - إلى التعاون بالبر وقرنه بالتقوى له؛ لأنَّ في التقوى رضا الله تعالى، وفي البر رضا الناس، ومن جمع بين رضا الله - تعالى - ورضا الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته^(٢٩)، ويقول ابن جزى الكلبي: الفرق بين البرِّ، والتقوى أنَّ البرَّ عام في فعل الواجبات والمندوبات وترك المحرمات، وفي كل ما يُقَرَّبُ إلى الله، والتقوى في الواجبات وترك المحرمات دون فعل المندوبات، فالبرُّ أعم من التقوى^(٣٠).

ومن خلال ما تقدم يظهر لنا جلياً أنَّ الحكم الشرعي لتقديم النفع للناس هو الندب والاستحباب.

المبحث الثاني: أنواع نفع الناس للناس في ضوء القرآن الكريم

يرى الباحث أنَّ جميع الآيات التي تأمر بالعدل والإحسان، والإصلاح بين الناس، والوفاء بالعقود والعهود، والزكاة والصدقة والقرض الحسن وإيجاب التكافل والتعاون على البر والتقوى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفعل الخير وغير ذلك مما فيه نفع للناس، وحل مشاكلهم، وإعانتهم على مواجهة متطلبات الحياة المختلفة، وإدخال الفرح والسرور عليهم، وتحقيق الأمن والاستقرار والرِّفاه للمجتمع كلها تأمر بتقديم النفع للناس بأسلوب مباشر وغير مباشر، ولا يمكن حصر كل الآيات في مثل هذا المقام لكثرتها، وبعد النظر في الكثير من الآيات القرآنية وتفاسيرها ومحاولة

^{٢٧} - التفسير الوسيط: للدكتور محمد سيد طنطاوي: ٢٩٩٥/١، ن دار السعادة (مصر) ط: (بدون تاريخ).

^{٢٨} - صحيح مسلم: لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري: ٤١/٦، كتاب الإمارة: باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله، حديث رقم (١٨٩٣)، (مصدر سابق).

^{٢٩} - الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: ٤٧-٤٦/٦ (مصدر سابق).

^{٣٠} - التسهيل لعلوم التنزيل: لابن جزى الكلبي: ١٦٧/١ (مصدر سابق).

التعمق في فهمها قسم الباحث أنواع نفع الناس للناس في الحياة الدنيا من خلال القرآن الكريم إلى ستة أقسام:

- ١ - النّفع المادي .
- ٢ - النّفع المعنوي .
- ٣ - النّفع الاجتماعي .
- ٤ - النّفع الاقتصادي .
- ٥ - النّفع السياسي .
- ٦ - النّفع الأمني .

أولاً: النّفع المادي في القرآن الكريم

ويشمل نفع الناس للناس بتقديم المال لهم، وبكل متاع يُنتفع به، حيث أمر الله سبحانه وتعالى - بتقديم النفع المادي للناس من خلال كثير من الآيات التي تأمر وتحث القادرين على بذل المال، وعلى أداء الزكاة، والصدقات، والقرض الحسن، وعلى الإنفاق في سبيل الله على الفقراء، والمساكين، واليتامى، والأقارب والمحتاجين، وغير ذلك من وجوه الإنفاق التي يحتاج إليها المجتمع الإنساني، وسنتناول بعض الآيات في هذا المجال؛ لأن المقام لا يتسع لذكرها جميعاً، من ذلك على سبيل المثال:

- قال الله تعالى ﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ بِالْغَيْبِ وَيَفْعَلُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (البقرة: ٣)، الإنفاق هو الإحسان إلى المخلوقين بالنّفع المتعدي إليهم، وأولى الناس بذلك القرابات والأهلون والمماليك، ثم الأجانب. (٣١)، ويقول ابن عاشور في تفسيره: "الإنفاق إعطاء الرزق فيما يعود بالمنفعة على النفس والأهل والعيال ومن يرغب في صلته أو التقرب لله بالنّفع له من طعام أو لباس، وأريد به هنا بثه في نفع الفقراء، وأهل الحاجة، وتسديد نوائب المسلمين بقرينة المدح واقترائه بالإيمان والصلاة فلا شك أنه هنا خصلة من خصال الإيمان الكامل، وما هي إلا الإنفاق في سبيل الخير والمصالح العامة إذ لا يمدح أحد بإنفاقه على نفسه وعياله فذلك مما تدعو إليه الجبلة فلا يعتني الدين بالتحريض عليه؛ فمن الإنفاق ما هو واجب وهو حق على صاحب الرزق، للقرابة وللمحاويج من الأمة ونوائب الأمة كتجهيز الجيوش والزكاة، وبعضه محدد، وبعضه تفرضه المصلحة الشرعية الضرورية أو الحاجة وذلك مفصل في تضاعيف الأحكام الشرعية في كتب الفقه، ومن الإنفاق تطوع وهو ما فيه نفع من دعا الدين إلى نفعه." (٣٢)

^{٣١} - تفسير القرآن العظيم: لابن كثير: ١/١٦٩ (مصدر سابق).

^{٣٢} - التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور: ١/٢٣٥، دار سجنون للنشر والتوزيع، تونس - ١٩٩٧م.

ويقول السعدي: " يدخل فيه النفقات الواجبة كالزكاة والنفقة على الزوجات والأقارب، والماليك، ونحو ذلك، والنفقات المستحبة بجميع طرق الخير، ... وكثيراً ما يجمع الله تعالى بين الصلاة والزكاة في القرآن؛ لأنَّ الصلَاة متضمنة الإخلاص للمعبود، والزكاة والتَّفَقَّة متضمنة الإحسان على عبده، فعنوان سعادة العبد إخلاصه للمعبود وسعيه في نفع الخلق " (٣٣)

ويقول الدكتور محمد سيد طنطاوي: "أي: وممَّا أعطيناهم وملكانهم يتصدقون في وجوه الخير، ويمدون أيديهم بالإحسان إلى الفقير والمسكين ... وقد عنى القرآن الكريم عناية فائقة بالحض على الإنفاق في وجوه الخير، ومدح الذين يفعلون ذلك مدحاً عظيماً في عشرات الآيات، وذلك لأنَّ الأمة التي يكثر فيها المنفقون لأموالهم في وجوه الخير، لا بُد أن تعز كلفتها، وتسلم من كوارث شتى كالجهل، والفقير والمرضى، فيبذل المال تُسَدُّ حاجات البؤساء، وتشاد معاهد التعليم، وتُقام وسائل حفظ الصحة، وتتمو المحبة والمودة بين الأغنياء والفقراء . " (٣٤)

• قال الله تعالى ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِكُمْ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾ (المنافقون: ١٠) " قال ابن عباس: أي: تصدَّقوا. " (٣٥)، وقال الشوكاني: " الظاهر أنَّ المراد الإنفاق في على عمومته " (٣٦)، وقال السعدي: " يدخل في هذا النفقات الواجبة من الزكاة، والكفارات، ونفقة الزوجات، والماليك، ونحو ذلك، والنفقات المستحبة كبذل المال في جميع المصالح ... ليدل ذلك على أنه تعالى لم يكلف العباد من النفقة ما يعنتهم ويشق عليهم، بل أمرهم بإخراج جزء ممَّا رزقهم، ويسره، ويسر أسبابه، فليشكروا الذي أعطاهم بمواساة إخوانهم المحتاجين، وليبادروا بذلك " (٣٧).

• قال الله تعالى ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ (البقرة: ٢٥٤) يعني: تصدقوا قال بعضهم: أراد به الزكاة المفروضة، وقال بعضهم: صدقة التطوع ثم بيَّن لهم أنَّ

^{٣٣} - تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المئان: لعبد الرحمن بن ناصر السعدي: ص٢٤، ن مؤسسة الرسالة (بيروت - لبنان) ط١: (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).

^{٣٤} - التفسير الوسيط: للدكتور محمد سيد طنطاوي: ١٧-١٦/١.

^{٣٥} - صحيفة على بن أبي طلحة في تفسير القرآن الكريم: لابن عباس رضي الله عنهما: ٤٨٩/١، تحقيق: راشد بن عبد المنعم الرِّجَال، ن مكتبة الشُّنَّة (القاهرة - مصر)، ط١: (١٤١١هـ - ١٩٩١م).

^{٣٦} - فتح القدير: للشوكاني: ٢٣١/٥ (مصدر سابق).

^{٣٧} - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المئان: للسعدي: ص ٨٠١ - ٨٠٢، (مصدر سابق).

الدنيا فانية وأنه في الآخرة لا ينفعهم شيء إلا ما قدموا^(٣٨)، ويأمر الله تعالى عباده بالإنفاق ممّا رزقهم في سبيله سبيل الخير ليدخروا ثواب ذلك عند ربهم ومليكمهم وليبادروا إلى ذلك في هذه الحياة الدنيا^(٣٩)، ويقول السعدي عند تفسيره للآية: "يحث الله المؤمنين على النفقات، في جميع طرق الخير."^(٤٠).

• قال الله تعالى ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَلَفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (الحديد: ٧) "يعني: تصدقوا في طاعة الله تعالى."^(٤١) والمراد بالإنفاق المأمور به: الإنفاق الذي يدعو إليه الإيمان بعد حصول الإيمان وهو الإنفاق على الفقير، وتخصيص الإنفاق بالذكر تنويه بشأنه.^(٤٢)، قال الشوكاني: "الظاهر أن معنى الآية الترغيب في الإنفاق في الخير، وما يرضاه الله على العموم"^(٤٣).

• قال الله تعالى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ، وَهُوَ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (الحديد: ١١) "ندب بليغ من الله تعالى إلى الإنفاق في سبيله، بعد الأمر به، والتوبيخ على تركه، وبيان درجات المنفقين."^(٤٤) والقرض الحسن أن يكون المتصدق صادق النية طيب النفس، يبتغي به وجه الله دون الرياء والسمعة، وأن يكون من الحلال.

ومن القرض الحسن ألا يقصد إلى الرديء فيخرجه، وأن يتصدق في حال يأمل الحياة فإن النبي سئل عن أفضل الصدقة ؟ فقال: (أن تعطيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش ولا تمهل حتى إذا بلغت التراقي قلت لفلان كذا ولفلان كذا)^(٤٥)، وأن يخفي صدقته لقوله تعالى ﴿وَلِنْ تَخْفَوْهَا وَتُوْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (البقرة: ٢٧١)، وألا يمنن لقوله تعالى ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ (البقرة: ٢٦٤)، وأن يستحقر كثير ما يُعطي؛

^{٣٨} - بحر العلوم: لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي: ١٩٣/١، تحقيق: د/ محمود مطر، ن: دار الفكر (بيروت - لبنان).

^{٣٩} - تفسير القرآن العظيم: لابن كثير: ٦٧١/١ (مصدر سابق).

^{٤٠} - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي: ص ٩١ (مصدر سابق).

^{٤١} - بحر العلوم: لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي: ٣٨١/٣، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٢٣٨/١٧، واللباب في علوم الكتاب: لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي: ٤٥٧/١٨، ت عادل أحمد عبد الموجود وآخر معه، ن: دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان)، ط: ١ (١٤١٩هـ-١٩٩٨م).

^{٤٢} - التحرير والتنوير: لابن عاشور: ٣٦٨/٢٧.

^{٤٣} - فتح القدير: للشوكاني: ١٦٥/٥ (مصدر سابق).

^{٤٤} - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: محمد بن محمد العمادي أبو السعود: ٢٠٦/٨ (مصدر سابق).

^{٤٥} - الجامع المسند الصحيح: للبغاري: ٥١٥/٢ (كتاب الزكاة) باب: أي الصدقة أفضل، برقم (١٣٥٣).

لأنَّ الدنيا كلها قليلة، وأن يكون من أحب أمواله لقوله تعالى ﴿لَنْ نَأْثُرَ الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آل عمران: ٩٢) ^(٤٦).

• قال الله تعالى ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفَهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ (التغابن: ١٧) يقول ابن عطية الأندلسي: "ذهب بعض العلماء إلى أن هذا الحض هو على أداء الزكاة المفروضة، وذهب آخرون منهم إلى أن الآية في المندوب إليه وهو الأصح إن شاء الله" ^(٤٧).

• قال الله تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَأَسْغَرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المزمل: ٢٠) أمر بأداء الصدقات التي يتطوع بها ^(٤٨)، قال ابن عباس: "يريد ما سوى الزكاة من صلة الرحم، وقرى الضيف" ^(٤٩)، وإقراض الله هو الصدقات غير الواجبة، شبه إعطاء الصدقة للفقير بقرض يُقرضه الله؛ لأنَّ الله وعد على الصدقة بالثواب الجزيل فشابه حال معطي الصدقة مستجيباً رغبة الله فيه بحال مَنْ أقرض مستقرضاً في أنه حقيق بأن يرجع إليه ما أقرضه، وذلك في الثواب الذي يُعطاه يوم الجزاء" ^(٥٠) "القرض الحسن ما قصد به وجه الله تعالى خالصاً من المال الطيب" ^(٥١).

ثانياً: النفع المعنوي في القرآن الكريم

ويشمل نفع النَّاس بالجاه المتمثل في الشفاعة الحسنة، وبالعلم وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالتذكير، وبالنصح والإرشاد، وبتقديم الرؤى العلمية لحل المشاكل وغير ذلك، وقد حثَّ القرآن الكريم على تقديم النفع المعنوي للنَّاس في كثير من الآيات منها:

^{٤٦} - الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي ٢٤٢/١٧-٢٤٣/٢٠. الباب في علوم الكتاب: لابن عادل الدمشقي: ٤٦٧-٤٦٦/١٨، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: محمود بن عبد الله الألويسي: ٣١٧/٢٠ (مصادر سابقة).

^{٤٧} - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية الأندلسي: ٢٩٥/٥ (مصدر سابق).

^{٤٨} - تفسير البحر المحیط: لأبي حيان الأندلسي: ٣٥٩/٨. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وآخر معه، ن: دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان). ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م). والتسهيل لعلوم التنزيل: ١٥٩/٤.

^{٤٩} - معالم التنزيل: للبخاري: ٢٥٨/٨.

^{٥٠} - التحرير والتنوير: لابن عاشور: ٢٨٧/٢٩ (مصدر سابق).

^{٥١} - الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، واللباب في علوم الكتاب: لابن عادل الدمشقي: ٤٨٨/١٩ (مصدران سابقان).

• قال الله تعالى ﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيمًا ﴾ (النساء: ٨٥) "الشفاعة: السعي والوساطة في حصول نفع أو دفع ضرر سواء كانت الوساطة يطلب من المنتفع بها أم كانت بمجرد سعي المتوسط" (٥٢)

قال ابن عباس: الشفاعة الحسنة هي: الإصلاح بين الناس . الشفاعة الحسنة هي: أن يقول قولاً حسناً يُنال به الخير . واعلم أنَّ الإنسان يُوجر على الشفاعة فقد روى أبو موسى الأشعري عن رسول الله أنه قال: (اشفعوا تؤجروا ، ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء) (٥٣) ، واعلم أنَّ الشفاعة مستحبة في كل الحقوق إلا في حدود الله تعالى ، فإنه لا يجوز فيها الشفاعة لترك الحد وقد قال: (مَنْ يَشْفَعُ فِي حَدِّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى فَقَدْ ضَادَّ اللَّهَ فِي مَلَكِهِ) (٥٤) أي: نازعه في ملكه (٥٥) ، وقال مجاهد: إنما هي شفاعة في النَّاسِ بعضهم لبعض يعني يشفع لأخيه المسلم في دفع المظلمة عنه ، وقال الحسن: الشفاعة تجري أجرها لصاحبها ما جرت منفعتها. (٥٦)

وقد تكون الشفاعة غير جائزة ، وذلك فيما كان سعيًا في إثم أو في إسقاط حد بعد وجوبه ، فيكون حينئذ شفاعة سيئة (٥٧) ، "الشفاعة الحسنة هي التي روعي فيها حق مسلم ، ودفع عنه بها شر أو جلب إليه خير وابتغي بها وجه الله ، ولم يؤخذ عليها رشوة ، وكانت في أمر جائز لا في حد من حدود الله ، ولا في حق من الحقوق ، والسيئة ما كان بخلاف ذلك" (٥٨) ، والشفاعة هي التوسط بالقول في وصول الشخص ولو كان أعلى قدرًا من الشفيع إلى منفعة من المنافع الدنيوية أو الأخروية ، أو خلاصه عن مَضَرَّةٍ مَّا (٥٩) . قال السعدي: " المراد بالشفاعة هنا: المعاونة على أمر من الأمور ، فمن شفع غيره

^{٥٢} - التحرير والتنوير: لمحمد الطاهر بن عاشور: ٤٨٦/١ (مصدر سابق) .

^{٥٣} - الجامع المسند الصحيح: للبخاري ٥٢٠/٢ (كتاب الزكاة) ، باب: التحريض على الصدقة ، والشفاعة فيها برقم (١٣٦٥) .

^{٥٤} - صحيح وضعيف سنن أبي داود: للألباني: ٩٧/٨ برقم (٣٥٩٧) بلفظ: من حالت شفاعة دون حد من حدود الله فقد ضاد الله وقال عنه: صحيح .

^{٥٥} - تفسير القرآن: لأبي المظفر منصور بن محمد عبد الجبار السمعاني (ت ٤٨٩ هـ) : ٤٥٥/١ ، تحقيق: ياسر بن إبراهيم ، وآخر معه ، ن: دار الوطن (الرياض - السعودية) ، ط: ١ : ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .

^{٥٦} - بحر العلوم: للسمرقندي: ٣٤٨/١ (مصدر سابق) .

^{٥٧} - أحكام القرآن: لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي: ٤٢٣/٢ ، ن: دار الفكر (بيروت - لبنان) ، ط (٢٠٠٥) .

^{٥٨} - الكشف عن حقائق التنزيل وعبود الأقاويل في وجوه التأويل: لمحمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي: ٥٧٤/١ ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي ، ن: دار إحياء

التراث العربي (بيروت - لبنان) ، ط: (بدون تاريخ) .

^{٥٩} - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: لمحمود بن عبد الله الحسيني الألوسي: ١٥٧/٤ (مصدر سابق) .

وقام معه على أمر من أمور الخير - ومنه الشفاعة للمظلومين لِمَنْ ظلمهم - كان له نصيب من شفاعته بحسب سعيه، وعمله، ونفعه ولا ينقص من أجر الأصيل أو المباشر شيء، وَمَنْ عاون غيره على أمر من الشر، كان عليه كفل من الإثم بحسب ما قام به وعاون عليه " (٦٠)

● قال الله تعالى ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤)، أي: ولتكن منكم جماعة يدعون إلى الصلح والإحسان، ويأمرون بالتوحيد واتباع محمد وسائر الطاعات الواجبة، وينهون عن المنكر والشرك وسائر مالا يعرف في شريعة ولا سنة، وإنما لم يقل: وليكن جميعكم؛ لأنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقي، ويجوز أن يكون المراد بالأمة في هذه الآية العلماء الذين يحسنون ما يدعون إليه، وذهب بعض المفسرين إلى أن المعنى: ولتكونوا كلكم، لكن (من) ها هنا دخلت للتوكيد وتخصيص المخاطبين من سائر الأجناس. " (٦١)

والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان) (٦٢)، وعن حذيفة بن اليمان أن النبي قال: (والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكنَّ الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم) (٦٣) رواه الإمام أحمد، ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث عمرو بن أبي عمرو، وقال الترمذي حديث حسن " (٦٤)

والناس في الأمر بالمعروف وتغيير المنكر على مراتب ففرض العلماء فيه تنبيه الولاة وحملهم على جادة العلم، وفرض الولاة تغييره بقوتهم وسلطانهم ولهم هي اليد، وفرض

^{٦٠}- تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي: ص ١٥٥ (مصدر سابق).

^{٦١}- تفسير الحداد المسعى كشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل: لأبي بكر الحداد البمي: ١١٧/٢، تحقيق: د/ محمد إبراهيم يحيى، نذ دار المدار الإسلامي (بيروت - لبنان)، ط: ١ (٢٠٠٣ م).

^{٦٢}- صحيح مسلم: لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري: ٥٠ / ١، (كتاب الإيمان) برقم (١٨٦).

^{٦٣}- سنن الترمذي: لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي: ٤٦٨/٤ برقم (٢١٦٩)، وقال: هذا حديث حسن.. تحقيق: احمد محمد شاکر وآخرون، نذ دار احياء التراث العربي (بيروت - لبنان)، ط: (بدون تاريخ).

^{٦٤}- تفسير القرآن العظيم: لابن كثير: ٩١/٢ (مصدر سابق).

سائر النَّاس رفعه إلى الولاية والحكام بعد النهي عنه قولاً، وهذا في المنكر الذي له دوام، أما إن رأى أحد نازلة بديهية من المنكر كالسُّبِّ والزُّنَا ونحوه فيغيرها بنفسه بحسب الحال والقدرة.^(٦٥)، والدُّعاء إلى الخير عبارة عن الدُّعاء إلى ما فيه صلاح ديني أو دنيوي فعطف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه مع اندارجهما فيه من باب عطف الخاص على العام، لإظهار فضلها وعلوهما على سائر الخيرات.^(٦٦)، والدُّعاء إلى الخير عام في التكاليف من الأفعال والتروك والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص فجيء بالعام ثم عطف عليه الخاص إيذاناً بفضله^(٦٧).

• قال الله تعالى ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ نَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الذاريات: ٥٥) ذَكَرَ العاصين عقوبتي ليرجعوا عن مخالفة أمري، وَذَكَرَ المطيعين جزيل ثوابي ليزدادوا طاعة وعبادة، وذكر العارفين ما صرفت عنهم من بلائي، ذكر الأغنياء ما أتحَّتْ لهم من إحساني وعطائي، وذكر الفقراء ما أوجبتْ لهم من صرف الدنيا عنهم وأعددتْ لهم من لقائي^(٦٨). والأمر مراد به الدَّوام على التذكير وتجديده، واقتصر في تعليل الأمر بالتذكير على علة واحدة وهي انتفاع المؤمنين بالتذكير؛ لأنَّ فائدة ذلك محققة والنفع الحاصل من الذِّكْر هو رسوخ العلم بإعادة التذكير لما سمعوه، واستفادة علم جديد فيما لم يسمعه أو غفلوا عنه^(٦٩)، " ولظهور حجة المؤمنين على الكافرين يوماً فيوماً ".^(٧٠)، وتضمنت هذه الآية الكريمة واحدة من حكم التذكير وهي رجاء انتفاع المُذَكَّر به من أجل خروج المُذَكَّر من عهدة التكليف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد جمع الله هاتين الحكمتين في قوله: ﴿ قَالُوا مَعذِرَةٌ إِيَّاي رَبِّكَ وَعَلَّامُ بَيْتُونِ ﴾ (الأعراف: ١٦٤) ومن حكم ذلك أيضاً النيابة عن الرسل في إقامة حجة الله على خلقه في أرضه؛ لأن الله

^{٦٥} - الجواهر الحسان في تفسير القرآن: لعبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي: ٢٩٨/١. (مصدر سابق)

^{٦٦} - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: لمحمد بن محمد العمادي أبو السعود: ٦٧/٢ (مصدر سابق).

^{٦٧} - الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل: لمحمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي: ٤٢٧/١ (مصدر سابق).

^{٦٨} - تفسير القرطبي: لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري القرطبي: ٦/٣٥ (ت ٤٦٥ هـ). تحقيق: سعيد قطيفة، ذ المكتبة التوفيقية (القاهرة - مصر)، ط: (بدون تاريخ).

^{٦٩} - التحرير والتنوير: لابن عاشور: ٢٤/٢٧ (مصدر سابق).

^{٧٠} - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المئان: للسعدي: ص ٧٥ (مصدر سابق).

تعالى يقول ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾
(النساء: ١٦٥) (٧١)

● قوله تعالى ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ (الأعلى: ٩) "والذِّكْرَى تنفع لا محالة، ولكن لِمَنْ وفقه الله للاتعاظ بها، أمّا مَنْ كَانَ المعلوم من حاله الكفر والإعراض فهو كما قيل: وما انتفاع أخي الدنيا بمقلته إذا استوت عنده الأنوار والظلم." (٧٢) أي: عظ يا محمد أهل مكة بالقرآن إن نفعت الموعظة والتذكير، والمعنى: إن نفعت أو لم تنفع؛ لأنَّ النبي بُعث مُبَلِّغًا للإعذار والإنذار، فعليه التذكير في كل حال، نفع أو لم ينفع، ولم يذكر الحالة الثانية كقوله ﴿سَرِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ (النحل: ٨١) وأراد: الحر والبرد جميعاً. (٧٣)

ثالثاً: النفع الاجتماعي في القرآن الكريم

إنَّ تقديم النفع للناس قد يكون بإيصال المنفعة إليهم أو بدفع المضرّة عنهم، وقد فطر الله الأنبياء والصّالحين من عباده على تقديم المعروف للناس، ومساعدة مَنْ يحتاج إلى مساعدة في المجتمع، وقد ورد النّفع الاجتماعي في القرآن الكريم في عدة صور منها ما يلي:

(١) الإصلاح بين المتخاصمين في المجتمع الإسلامي: سواء كان الخصام بين الزوج وزوجته، أو بين شخصين، أو بين فئتين أو غير ذلك، ولذلك قال الله تعالى ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا شُورًا أَوْ إِعْرَاصًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ (النساء: ١٢٨) معنى الآية: إباحة الصلح بين الزوجين إذا خافت النشوز أو الإعراض، وكما يجوز الصلح مع الخوف كذلك يجوز بعد وقوع النشوز أو الإعراض... ووجوه الصلح كثيرة منها: أن يعطيها الزوج شيئاً أو تعطيه هي أو تسقط حقها من النفقة أو الاستمتاع أو غير ذلك، وسبب الآية أنَّ سودة بنت زمعة لما كبرت

^{٧١} - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي: ١٨٧/٥، ن: دار إحياء التراث العربي (بيروت - لبنان)، ط ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م).

^{٧٢} - تفسير القرطبي: لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري القرطبي ٢٨٠/٦ (مصدر سابق).

^{٧٣} - الوسيط في تفسير القرآن المجيد: لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري: ٤٧٠/٤، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون معه، ن: دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان)، ط ١: (١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م)، معالم التنزيل: لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي: ٤٠١/٨ (مصدر سابق).

خافت أن يطلقها رسول الله فقالت له: أمسكني في نسائك ولا تقسم لي وقد وهبت

يومي لعائشة ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ لفظ عام يدخل فيه صلح الزوجين وغيرهما. (٧٤)

وقال الله تعالى ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ

بَيْنَ النَّاسِ﴾ (النساء: ١١٤)، قال القشيري عند تفسيره للآية: "أفضل الأعمال ما كانت

بركاته تتعدى صاحبه إلى غيره، فضيلة الصدقة يتعدى نفعها إلى مَنْ تصل إليه،

والفُتُوَّةُ أن يكون سعيك لغيرك ... وكل أصناف الإحسان ينطبق عليه لفظ الصدقة ...

والصدقة على أقسام: صدقتك على نفسك، وصدقتك على غيرك، فأما صدقتك على

نفسك فحملها على أداء حقوقه تعالى، ومنعها عن مخالفة أمره، وقصرُ يدها عن أذية

الخلق، وصون خواطرها وعقائدها عن السوء، وأما صدقتك على الغير فصدقة بالمال

وصدقة بالبدن وصدقة بالقلب، فصدقة بالمال بإنفاق النعمة، وصدقة بالبدن بالقيام

بالخدمة، وصدقة بالقلب بحسن النية وتوكيد الهمة .

والصدقة على الفقراء ظاهرة لا إشكال فيها، أما الصدقة على الأغنياء فتكون

بأن تجود عليهم بهم، فتقطع رجاءك عنهم فلا تطمع فيهم . وأما المعروف: فكلُّ حَسَنٍ

في الشَّرْع فهو معروف، ومن ذلك إنجاد المسلمين وإسعادهم فيما لهم فيه قرابة إلى الله،

وزلفى عنده، وإعلاء التواصي بالطاعة. (٧٥).

ومعنى الآية: لا خير في كثير من نجوى الناس جميعاً مما يدبرونه بينهم إلا مَنْ أمر

بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس فالاستثناء يكون متصلاً، والظاهر أن المراد

بالصدقة: صدقة التطوع، والمعروف: لفظ عام يشمل جميع أنواع البر، وهو كل ما أمر

الله به أو ندب إليه من أعمال البر والخير كالقرض أو إغاثة ملهوف أو كل جميل،

ومنه قوله (كل معروف صدقة) (٧٦).

وإصلاح ذات البين هو الإصلاح بين المتباينين أو المختصمين بما أباح الله الإصلاح

بينهما، ليتراجعا إلى ما فيه الألفة واجتماع الكلمة على ما أذن الله وأمر به، وهو عام

^{٧٤} - التسهيل لعلوم التنزيل: لابن جزي: ٣١٠/١ (مصدر سابق).

^{٧٥} - تفسير القشيري: لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري القشيري: ٥٢-٥١/٢ (مصدر سابق)

^{٧٦} - الأدب المفرد: لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري: ٨٨/، برقم (٢٢٤)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ن: دار البشائر الإسلامية (بيروت - لبنان)، ط: ٣.

(١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)، وستن أبي داود: لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني: ٤٤٢/٤، برقم (٤٩٤٩)، ن: دار الكتاب العربي (بيروت - لبنان)، ط:

(بدون تاريخ)، قال الألباني: صحيح

في الدماء والأموال والأعراض، وفي كل شيء يقع التداعي والاختلاف فيه بين المسلمين، وفي كل كلام يُرادُ به وجه الله تعالى^(٧٧).

وقال الله تعالى ﴿وإن طائفتان من المؤمنين أقتلتوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقتلوا التي تبغى حتى نفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾ (١٠-٩) (الحجرات: ١٠-٩)

قال الشوكاني: "المعنى: أنه إذا قتلت فريقان من المسلمين فعلى المسلمين أن يسعوا بالصلح بينهم، ويدعوهم إلى حكم الله، فإن حصل بعد ذلك التعدي من إحدى الطائفتين على الأخرى، ولم تقبل الصلح، ولا دخلت فيه، كان على المسلمين أن يقاتلوا هذه الطائفة الباغية حتى ترجع إلى أمر الله وحكمه، فإن رجعت تلك الطائفة الباغية عن بغيتها وأجابت الدعوة إلى كتاب الله وحكمه، فعلى المسلمين أن يعدلوا بين الطائفتين في الحكم ويتحرروا الصواب المطابق لحكم الله، ويأخذوا على يد الطائفة الظالمة حتى تخرج من الظلم، وتؤدي ما يجب عليها للأخرى، ثم أمر الله سبحانه المسلمين أن يعدلوا في كل أمورهم .

وفي هذه الآية دليل على قتال الفئة الباغية إذا تقرّر بغيتها على الإمام، أو على أحد من المسلمين وعلى فساد قول مَنْ قال بعدم الجواز مستدلاً بقوله: (قتال المسلم كفر)^(٧٨) فإنّ المراد بهذا الحديث وما ورد في معناه قتال المسلم الذي لم يبيغ، قال ابن جرير: لو كان الواجب في كل اختلاف يكون بين فريقين من المسلمين الهرب منه ولزوم المنازل لما أقيم حقّ، ولا أبطل باطل ولوجد أهل النفاق والفجور سبباً إلى استحلال كل ما حرّم الله عليهم من أموال المسلمين وسبي نساءهم وسفك دمائهم بأن يتحزبوا عليهم، ولكفّ المسلمين أيديهم عنهم، وذلك مخالف لقوله: (خذوا على أيدي سفهائكم)^(٧٩).

^{٧٧} -الأدب المفرد: للبخاري: ١٤٢/١، برقم (٣٩١)، سنن أبي داود: لأبي داود: ٤٣٢/٤ برقم (٤٩٢١) وقال الألباني: صحيح .

^{٧٨} - مسند الإمام أحمد بن حنبل: لأحمد بن حنبل: ١١٧/٣، برقم (١٥٣٧) تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، نا مؤسسة الرسالة، ط: ٢، (١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م)، والسلسلة الصحيحة: للألباني: ٣٧٦/٥ برقم (٢٢٩٨) (مصدر سابق).

^{٧٩} - شعب الإيمان: لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخشزرجي الخراساني، أبو بكر البهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، ٦٥/١٠ برقم (٧١٧٠)، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، نا مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية بيومباي بالهند، ط: ١ (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م)، وقال عنه الألباني ضعيف في كتابه: صحيح وضعيف الجامع الصغير: ٣٦٣/١٤ برقم (٦٥٦٦).

قال ابن العربي: هذه الآية أصل في قتال المسلمين، وعمدة في حرب المتأولين، وعليها عوّل الصحابة، وإليها لجأ الأعيان من أهل الملة، وإياها عنى النبي بقوله: (تقتل عمّاراً الفئة الباغية) (٨٠). " (٨١).

(٢) الحث على الزواج ليكون المجتمع الإسلامي مجتمعاً نظيفاً مترابطاً متماسكاً يسوده العفاف والفضيلة وتكاد تختفي منه الرذيلة، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْزِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور: ٣٢) والمعنى: وزوّجوا أيها المؤمنون من لا زوج له من أحرار رجالكم ونسائكم، ومن أهل الصلاح من عبيدكم ومماليككم. (٨٢)

(٣) تقديم العون والمساعدة لمن يحتاج إلى ذلك كما فعل موسى مع فتاتي مدين . قال الله تعالى ﴿وَلَمَّا رَدَّ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ (٢٣) فسقن لهما ثم تولّج إلى الظل فقال ربّ إني لما أنزلت إني من خير فقير ﴿ (القصص: ٢٣-٢٤)

قال الزمخشري: " إنّما فعل هذا رغبة في المعروف وإغاثة للملهوف . والمعنى: أنه وصل إلى ذلك الماء وقد ازدحمت عليه أمة من أناس مختلفة متكاثفة العدد، ورأى الضعيفتين من ورائهم مع غنيمتها مترقبتين لفراغهم، فما أخطأت همته في دين الله تلك الفرصة، مع ما كان به من النصب وسقوط خف القدم والجوع، ولكنه رحمهما فأغاثهما، وكفاهما أمر السقي في مثل تلك الزحمة بقوة قلبه وقوة ساعده، وما آتاه الله من الفضل في متانة الفطرة ورسانة الجيلة وفيه مع إرادة اقتصاص أمره وما أوتي من البطش والقوة وما لم يغفل عنه، على ما كان به من انتهاز فرصة الاحتساب، ترغيب في الخير، وانتهاز فرصه، وبعث على الاقتداء في ذلك بالصالحين والأخذ بسيرهم ومذاهبهم. " (٨٣)

^{٨٠} - صحيح مسلم: لأبي الحسين مسلم: (١٨٦/٨). كتاب: الفتن وأشرط الساعة برقم (٧٥٠٨) (مصدر سابق).

^{٨١} - فتح القدير: للشوكاني: ٦٤-٦٥/٥. والجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: ٣١٧/١٦. وانظر: جامع البيان في تأويل القرآن: لمحمد بن جرير الطبري: ٢٩٢/٢٢، ٢٩٧، ٢٩٦. تفسير القرآن العظيم: لابن كثير: ٣٧٤/٧ - ٣٧٦. (مصادر سابقة).

^{٨٢} - جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري: ١٦٥/١٩ (مصدر سابق)

^{٨٣} - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لمحمد بن عمر الزمخشري: ٤٠٥/٣ (مصدر سابق).

٤) الصَّدْعُ بالقول السَّديد الصَّائب والوقوف مع الحق بالعدل يحقق النفع الاجتماعي للمجتمع الإسلامي، ويحفظ للضعفاء والأيتام حقوقهم، ولذلك قال الله تعالى ﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ضِعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (النساء: ٩)، قال ابن عاشور عند تفسيره للآية: "موعظة لكل من أمر أو نُهي أو حُذر أو رُغب في الآية السابقة، في شأن أموال اليتامى وأموال الضعاف من النساء والصبيان، فابتدئت الموعظة بالأمر بخشية الله تعالى أي خشية عذابه، ثم أعقب بإثارة شفقة الآباء على ذريتهم بأن يُنزّلوا أنفسهم منزلة الموروثين، الذين اعتدوا هم على أموالهم، ويُنزّلوا ذرياتهم منزلة الذرية الذين أكلوا هم حقوقهم، وهذه الموعظة مبنية على قياس قول النبي (لا يؤمن أحدكم حتى يُحب لأخيه ما يحب لنفسه)^(٨٤).

وقال الله تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠-٧١)، قال ابن كثير: "يقول تعالى أمرا عباده المؤمنين بتقواه، وأن يعبدوه عبادة من كأنه يراه، وأن يقولوا ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ أي: مستقيما لا اعوجاج فيه ولا انحراف، ووعدهم أنهم إذا فعلوا ذلك، أثابهم عليه بأن يصلح لهم أعمالهم، أي: يوفقهم للأعمال الصالحة، وأن يغفر لهم الذنوب الماضية، وما قد يقع منهم في المستقبل يُلهمهم التوبة منها. ... قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن عَوْن، حدثنا خالد، عن لَيْث، عن أَبِي بُرْدَةَ، عن أَبِي موسى الأشعري قال: صلى بنا رسول الله صلاة الظهر، فلما انصرف أومأ إلينا بيده فجلسنا، فقال: (إن الله أمرني أن أمركم، أن تتقوا الله وتقولوا قولا سديدا، ثم أتى النساء فقال: إن الله أمرني أن أمركن: أن تتقين الله وتقلن قولا سديدا) (٨٥)".^(٨٦)

٥) التعاون على البر والتقوى: اشترط الإسلام أن يكون التعاون بين الناس تعاونا على الخير والمنفعة العامة، ونهى عن التعاون على الشر وإيقاع الأذى والظلم على الآخرين

^{٨٤} - الجامع المسند الصحيح المختصر: للبخاري: ١٤/١، (كتاب الإيمان)، رقم الحديث (١٣).

^{٨٥} - مسند أحمد بن حنبل: لأحمد بن حنبل: ٣٩١/٤، برقم (١٩٥٠٦)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، نشر: مؤسسة الرسالة (الفاخرة - مصر)، ط٢:

(١٤٢٠ - ١٩٩٩م) قال شعيب الأرنؤوط: صحيح.

^{٨٦} - تفسير القرآن العظيم: لابن كثير: ٤٨٧/٦ (مصدر سابق).

فقال الله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة: ٢)، "قال الماوردي: ندب الله سبحانه إلى التعاون بالبر وقرنه بالتقوى له؛ لأنَّ في التقوى رضا الله تعالى، وفي البر رضا النَّاس، وَمَنْ جمع بين رضا الله تعالى ورضا الناس فقد تَمَّتْ سعادته وَعَمَّتْ نعمته .

والتعاون على البر والتقوى لها وجوه منها:

العالم يعين الناس بعلمه فيعلمهم، ويعينهم الغني بماله، والشجاع بشجاعته في سبيل الله" (٨٧)، وقال السَّعْدِيُّ: أي: ليعن بعضكم بعضاً على البر، وهو اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال الظاهرة والباطنة من حقوق الله وحقوق الآدميين، والتقوى في هذا الموضع: اسم جامع لترك كل ما يكرهه الله ورسوله من الأعمال الظاهرة والباطنة، وكل خصلة من خصال الخير المأمور بفعلها، أو خصلة من خصال الشر المأمور بتركها، فإنَّ العبد مأمور بفعلها بنفسه، وبمعاونة غيره عليها من إخوانه المؤمنين بكل قول يبعث عليها، وينشط لها، وبكل فعل كذلك". (٨٨)

والتعاون على البر والتقوى قمة في ضبط النفس البشرية، ولكن ليس فيه تعنت للنفس، ولا يحملها فوق طاقتها، وجعل الله - عز وجل - تعاون الأمة المؤمنة في البر والتقوى، لا في الإثم والعدوان، وخوفها عقاب الله، وأمرها بتقواه لتستعين بهذه المشاعر على الكبت وال ضبط، وعلى التسامح والتسامح، تقوى لله، وطلباً لرضاه. (٨٩)

رابعاً: النُّفْعُ الاقتصادي في القرآن الكريم

حَثَّ القرآن الكريم على تقديم النُّفْع الاقتصادي للناس من خلال أمور كثيرة منها:

(١) تحريم كنز الذهب والفضة وسائر الأموال، وتحريم تجميدها وعدم تقديمها وتحريكها والعمل بها من أجل أن تبقى العجلة الاقتصادية في المجتمع في حالة حركة مستمرة قال الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُفْقِدُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٣٤) يَوْمَ يُخْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُوهُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿ (التوبة: ٣٤ - ٣٥)،

^{٨٧} - الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي: ٤٧/٦ (مصدر سابق).

^{٨٨} - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المُنَّان: للسَّعْدِيُّ: ص ١٨٢ (مصدر سابق)

^{٨٩} - في ظلال القرآن: لسيد قطب: ٦٤٦/٢، ن دار إحياء التراث العربي (بيروت - لبنان)، ط: (١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م).

قال الشوكاني: قيل هم المتقدم ذكرهم من الأبحار والرهبان، وأنهم كانوا يصنعون هذا الصنع، وقيل: هم مَنْ يفعل ذلك من المسلمين، والأولى حمل الآية على عموم اللفظ فهو أوسع من ذلك.^(٩٠)

والنفقات الواجبة: إماً وجوباً مستمراً كالزكاة، وإماً وجوباً عارضاً كالنفقة في الحج الواجب، والنفقة في نوائب المسلمين مما يدعو الناس إليه ولأه العدل ... والوعيد منوط بالكنز وعدم الإنفاق^(٩١)، قال الشعراوي: "الحق سبحانه وتعالى في الآية الكريمة أراد أن يلفتنا إلى أن الذهب والفضة هما أساس التعامل في تسيير حركة العالم الاقتصادية، وأن هذا التعامل يقتضي الحركة الدائمة للمال؛ لأن وظيفة المال هي الانتفاع به في عمارة الأرض، ولو أنك لم تحرك مالك وكنت مؤمناً، فإنه ينقص كل عام بنسبة ٢.٥٪ وهي قيمة الزكاة، ولذلك يفنى هذا المال في أربعين سنة، فإن أراد المؤمن أن يُبقي على ماله، فيجب أن يديره في حركة الحياة ليستثمره ويُعْمِيه ولا يكنزه حتى لا تأكله الزكاة، وهي نسبة قليلة تُدْفَعُ من المال، ولكن إذا أدار صاحب المال ما يملكه في حركة الحياة، فسينتفع به الناس وإن لم يقصد أن ينفعهم به"^(٩٢)

قال الثعالبي يخاطب سبحانه وتعالى الأنصار لأنه لم يكن في المهاجرين في ذلك الوقت غني والمعنى: "كي لا يتداول ذلك المال الأغنياء بتصرفاتهم ويبقى المساكين بلا شيء"^(٩٣)، وقال الدكتور محمد سيد طنطاوي: "بيان لحكمة هذا التشريع الذي شرعه - سبحانه - بالنسبة للأموال التي أتت عن طريق الفئ ... والمعنى: شرعنا لكم هذه الأحكام المتعلقة بتقسيم الفئ، كي لا يكون المال الناجم عنه، متداولاً بين أيدي أغنيائكم دون فقرائكم."^(٩٤)

(٢) أمر الله - عز وجل - بالسعي في الأرض والانتشار فيها والتمتع بالطيبات فقال الله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك: ١٥) "أي: هو - سبحانه - الذي جعل لكم، لفضله ورحمته، الأرض المتسعة الأرجاء،

^{٩٠} - فتح القدير: لمحمد بن علي الشوكاني: ٣٧٥/٢ (مصدر سابق).

^{٩١} - التحرير والتنوير: لمحمد الطاهر بن عاشور: ١٧٧/١٠، وانظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: ١٢٨/٨، (مصدران سابقان)

^{٩٢} - تفسير الشعراوي: لمحمد متولي الشعراوي: ٥٠٦٦/٨، ن: مطابع أخبار اليوم (القاهره)، ط: (بدون تاريخ).

^{٩٣} - الجواهر الحسان في تفسير القرآن الكريم: لعبد الرحمن بن محمد مخلوف الثعالبي: ٢٨٣/٤ (مصدر سابق).

^{٩٤} - التفسير الوسيط: لمحمد سيد طنطاوي: ٢٩٤/١٤ (مصدر سابق).

مذلة مسخرة لكم، لتتمكنوا من الانتفاع بها عن طريق المشي عليها أو البناء فوقها، أو غرس النبات فيه، وما دام الأمر كذلك فامشوا في جوانبها وأطرافها وفجاجها ملتصمين رزق ربكم فيها وداوموا على ذلك، فالآية الكريمة دعوة للمسلمين لكي ينتفعوا بما في الأرض من كنوز، فيستغنوا عن غيرهم في مطعمهم ومشربهم وملبسهم وسائر أمور معاشهم فإنه بقدر تقصيرهم في استخراج كنوزها تكون حاجتهم لغيرهم .

وقال تعالى ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (الجمعة: ١٠)، "يعني إذا فرغتم من الصلاة فاطلبوا الرزق من الله تعالى بالتجارة والكسب، اللفظ لفظ الأمر والمراد به الرخصة" (٩٥).

٣) أوجب الله - عز وجل - الزكاة، والخمس، والكفارات ورغب في الإنفاق في سبيل الله تعالى، وأمر بالقرض الحسن من خلال الآيات المثبوتة في القرآن الكريم قال الله تعالى ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ وَمَا تُقْرِضُوا اللَّهَ مِنْ خَيْرٍ يُجِدْهُ عِنْدَ اللَّهِ هَوًى حَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾ (الزمل: ٢٠) وقال تعالى ﴿ إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (التغابن: ١٧) وقال تعالى ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ، وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ (الأنفال: ٤١) وقال تعالى ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوقِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَدِيرِ مِنَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة: ٦٠) وقال تعالى ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ؛ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴾ (المائدة: ٨٩) وقال الله تعالى ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ (الذاريات: ١٩) قال الألوسي: "أي: نصيب وافر يستوجبونه على أنفسهم تقرباً إلى الله عز وجل وإشفاقاً على الناس فهو غير الزكاة كما قال ابن عباس، ومجاهد وغيرهما." (٩٦)

^{٩٥} - بحر العلوم: للسمرقندي: ٤٢٦/٣.. واللباب في علوم الكتاب: لابن عادل الدمشقي الحنبلي: ٩١/١٩.. ومعالم التنزيل: للبيوي: ١٢٣/٨ (مصادر سابقة).

^{٩٦} - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للألوسي: ٩/٢٧ (مصدر سابق).

٤) حَرَّمَ اللَّهُ - عز وجل - الإسراف في الاستهلاك ونهى عنه فقال الله تعالى ﴿وَكُلُوا﴾
 وَأَشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿الاعراف: ٣١﴾ "والنهي عن الإسراف يدل على
 التحريم"^(٩٧)، ويرجع الفخر الرأزي في تفسيره حرمة الإسراف في الاستهلاك؛ لأنه
 استكثار ممّا لا ينبغي حيث يقول ما نصه: "وأما قوله تعالى ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ ففيه
 قولان:

القول الأول: أن يأكل ويشرب بحيث لا يتعدى إلى الحرام، ولا يكثر الإنفاق المستقب
 ولا يتناول مقداراً كثيراً يضره ولا يحتاج إليه ... واعلم أن حمل لفظ الإسراف على
 الاستكثار ممّالا ينبغي أولى ... ثم قال تعالى ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ وهذا نهاية التهديد؛
 لأنّ كل ما لا يحبه الله تعالى بقي محروماً عن الثواب؛ لأن معنى محبة الله تعالى العبد
 إيصال الثواب إليه، فعدم هذه المحبة عبارة عن عدم حصول الثواب، ومتى لم يحصل
 الثواب، فقد حصل العقاب، لانعقاد الإجماع على أنه ليس في الوجود مكلف، لا يثاب
 ولا يعاقب"^(٩٨)

وقال الشوكاني: "أمر الله سبحانه عباده بالأكل والشرب، ونهاهم عن الإسراف
 فلا زهد في ترك مطعم ولا مشرب، وتاركه بالمرة قاتل لنفسه، وهو من أهل النار
 كما صحَّ في الأحاديث الصحيحة والمقل من على وجه يضعف به بدنه، ويعجز عن
 القيام بما يجب عليه القيام به من طاعة أو سعي على نفسه، وعلى من يعول مخالفاً لما
 أمر الله به وأرشد إليه، والمسرف في إنفاقه على وجه لا يفعله إلا أهل السفه والتبذير
 مخالف لما شرعه الله لعباده واقع في النهي القرآني، وهكذا من حرم حلالاً أو حلل
 حراماً فإنه يدخل في المسرفين ويخرج عن المقتصدین، ومن الإسراف: الأكل لا حاجة
 وفي وقت شبع."^(٩٩)

٥) حَرَّمَ اللَّهُ - عزوجل - الربا ونهى عنه لما فيه من أضرار اقتصادية على الأفراد
 والمجتمعات فقال الله تعالى ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ (البقرة: ٢٧٥)

^{٩٧} - تفسير البحر المحيط: لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي: ٢٩٢/٤ (مصدر سابق).

^{٩٨} - تفسير الفخر الرازي: لمحمد بن عمر بن الحسين الرازي: ٢٠/٢٩١، ن دار إحياء التراث العربي ٢٣٢/١٤، ن دار إحياء التراث العربي (بيروت - لبنان ط:
 بدون تاريخ).

^{٩٩} - فتح القدير: لمحمد بن علي الشوكاني: ٢٠٧/٢ (مصدر سابق).

قال أبو حيان: "ظاهره أنه من كلام الله تعالى لا من كلامهم، وفي ذلك ردٌ عليهم إذ ساووا بينهما، والحكم في الأشياء إنما هو إلى الله تعالى، لا يُعارض في حكمه ولا يخالف في أمره، وفي هذه الآية دلالة على أن القياس في مقابلة النص لا يصح، إذ جعل الدليل في إبطال قولهم هو: أن الله أحل البيع وحرم الربا، وقال بعض العلماء: قياسهم فاسد؛ لأن البيع عوض ومعوض لا غبن فيه، والربا فيه التغابن وأكل المال الباطل؛ لأن الزيادة لا مقابل لها من جنسها، بخلاف البيع، فإن الثمن مقابل بالمشتمل"^(١٠٠)

أمر الله - تعالى - بالإنفاق في جميع الأمور بوسطية واعتدال فقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (الإسراء: ٢٩) فهذه الآية تأمر بترشيد الاستهلاك، ولذلك قال الشوكاني " المراد: النهي للإنسان بأن يمسك إمساكاً يصير به مضيقاً على نفسه وعلى أهله، ولا يوسع في الإنفاق توسيعاً لاجابة إليه، بحيث يكون به مسرفاً، فهو نهى عن جانبي الإفراط والتقريط، ويتحصل من ذلك مشروعية التوسط، وهو العدل الذي ندب الله إليه"^(١٠١).

إن الاعتدال في الاستهلاك سمة بارزة من سمات المجتمع المسلم، وقد امتدح تعالى عباده المؤمنين بأنهم معتدلون في إنفاقهم، وأنهم يُرشدون في استهلاكهم فقال الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان: ٦٧). قال أبو جعفر الطبري بعد أن ذكر أقوال المفسرين في الآية: " والصواب من القول في ذلك قول من قال: الإسراف في النفقة الذي عناه الله في هذا الموضع: ما جاوز الحد الذي أباحه الله لعباده إلى ما فوقه، والإقتار: ما قصر عما أمر الله به، والقوام بين ذلك"^(١٠٢).

وإن القرآن الكريم قد قدم لنا نموذجاً لتقديم النفع الاقتصادي للناس من خلال ما حكاه لنا عن سيدنا يوسف، عليه السلام، حين قال لعزيز مصر ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَصِيظٌ عَلَيْكُمْ﴾ (يوسف: ٥٥) إن يوسف أراد هذا المنصب لينفع الناس اقتصادياً في السنين العجاف، وليحمل على عاتقه مسؤولية توزيع المواد الغذائية للناس بالعدل فلا يُظلم أحد، ولا يحرم أحد، ولا يموت من الجوع أحد، ولذلك قال ابن كثير

^{١٠٠} - تفسير البحر المحيط: لأبي حيان الأندلسي: ٣٤٨/٢ (مصدر سابق).

^{١٠١} - فتح القدير: للشوكاني: ٢٢٧/٣ (مصدر سابق).

^{١٠٢} - جامع البيان في تأويل القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري: ٣٠٠/١٩ (مصدر سابق).

في هذه الآية: "سأل العمل لعلمه بقدرته عليه، ولما فيه من المصالح للناس، وإنما سألته أن يجعله على خزائن الأرض التي يُجمعُ فيها الغلات لما يستقبلونه من السنين التي أخبرهم بشأنها، فيتصرف لهم على الوجه الأحوط، والأصلح، والأرشد." (١٠٣)

خامساً: النفع السياسي في القرآن الكريم

حثَّ القرآن الكريم على تقديم النفع السياسي للناس بذكره للمعاهدات، وأمره بالوفاء بالعقود والعهود سواء بين المسلمين مع بعضهم أو بين المسلمين وغيرهم ممن لا يدينون بدينهم فقال الله تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (المائدة: ١) وقال الله تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٤)، وحذَّر من اتخاذ العهود وسيلة للانقضاض على الطرف الآخر فقال الله تعالى ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَخَذُونَ ءِيمَتَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِٓ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (النحل: ٩٢) وحرمَّ الخيانة أثناء المعاهدة، وأمر بإتمامها فقال تعالى ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مَدِينِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة: ٤) ووجه المسلمين إذا أحسوا ببوادر الغدر والخيانة من الطرف الآخر أن يبلغوهم القرار بإنهاء المعاهدة فقال الله تعالى ﴿وَإِنَّمَا تَخَافُونَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانذِرْ لَهُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ﴾ (الأنفال: ٥٨)، وكذلك عرض القرآن الكريم لنماذج يُحتذى بها قدموا النفع السياسي لأمتهم من ذلك على سبيل المثال ما يلي:

- قصة بلقيس ملكة سبأ مع سليمان يحكي لنا القرآن الكريم أن الملكة بلقيس لم تكن مستبدة بالرأي، وأنها كانت مُنقِذة لمبدأ الشورى في الحكم في حياتها السياسية، وتجلّى ذلك واضحاً في قولها وسياستها وحكمها عندما جمعت رجال دولتها وأهل مشورتها الوزراء والأعوان، وأطلعتهم على الكتاب الذي ألقى إليها من سليمان، وما فيه من الخطاب الشديد وطلبت منهم الرأي والمشورة قال الله تعالى ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّ إِلَهِكَ كَتَبَ كَرِيمٌ ﴿٢١﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢٢﴾ أَلَّا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُمْ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ

^{١٠٣} - تفسير القرآن العظيم: لابن كثير: ٤٨٢/٢ (مصدر سابق).

شَهْدُونَ ﴿النمل: ٢٩ - ٣٢﴾، قال القشيري: " أخذت المشاورة كما تقتضيه الحال في الأمور العظام؛ فإنَّ الملك لا ينبغي أن يكون مُستَبدًّا برأيه، ويجب أن يكون له قوم من أهل الرأي والبصيرة " (١٠٤).

فما كان من المملأ إلا أن أخذتهم العزّة بالإثم، وقالوا لها ما حكاها القرآن عنهم ﴿قَالُوا مَن أَوْلَا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسِئِرٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ (النمل: ٣٣) إنها حماسة وشجاعة وطاعة للملكة، واستعداد قوي وجاهزية كاملة للقتال، ومواجهة الأمور بقوة وصلابة وشجاعة في كل الظروف والأحوال، وهنا وفي هذا الموقف الصَّعب لم تتأثر الملكة بذلك، وإنما ظهر منها الرأي السَّديد المتصف بالعقلانية والذكاء والدَّهاء السياسي، والأسلوب الرائع في الإقناع لرأيها الذي أظهرته حيث قالت لهم كما حكى ذلك القرآن عنها: قال الله تعالى ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ (النمل: ٣٤ - ٣٥). والمعنى: " قالت محذرة لهم من مواجهة سليمان بالعداوة، ومُبيِّنة لهم سوء مَعَبَّة القتال: إنَّ الملوك إذا دخلوا بجيوشهم قرية عُتُوَّ وقهراً خَرَّبُوهَا وصَيَّرُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً، وقتلوا وأسروا، وهذه عادتهم المستمرة الثابتة لحمل الناس على أن يهابوهم، وإني مرسله إلى سليمان وقومه بهدية مشتملة على نفائس الأموال أصانعه بها، ومنتظرة ما يرجع به الرسل " (١٠٥). الذين أرسلتهم وقد اختارتهم من الدَّهَاء لياتوها بالأخبار عن قوة سليمان وملكه، وبعد ذلك تُقَرِّر ما تفضله.

يقول الشيخ عبد الوهاب النجار في كتابه (قصص الأنبياء) ما نصَّه: " والظاهر أنها كانت تريد من إرسال الهدية أن يقف رسلها على أحوال هذا الملك الذي أرسل يتهددها على غير جريرة ويطلب حضورها إليه خاضعة بلا تردد، ثمَّ يعودون إليها بالتقرير الوافي عن حقيقته، وقوته في ملكه، ومبلغ ما يمكن أن يقدر عليه من المكيدة إذا لم تخضع لأمره، لتكون على بيئته مما تأتي وتدع، وتكون على رأس أمرها حتى إذا فعلت أمراً فعلته بعد تقدير عواقبه، فلما جاءت رسلها إلى سليمان

^{١٠٤} - تفسير القشيري: لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري القشيري: ٤٠/٥ (مصدر سابق).

^{١٠٥} - التفسير الميسر: لنبذة من العلماء ص ٣٧٩. ند وزارة الأوقاف السعودية.، بإشراف د/ عبدالله بن عبد المحسن التركي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالملكة العربية السعودية، ط ١: (١٤١٩هـ).

بالبهدية لم يقبلها، وأظهر أنه ليس في حاجة إلى أموالهم، وأنه في حال حسنة، وانفساح ثروة أكثر مما فيه الملكة وقومها وتوعدهم وملكتهم بأن يرسل إلى بلادهم بجنود لا قبل لهم بها (أي لا قدرة لهم على قتالها) وأن عاقبة ذلك إخراجهم من بلادهم أذلة صاغرين".^(١٠٦)

قال الله تعالى موضعاً لنا موقف سليمان من هدية الملكة ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ يَهْدِيْتُمْ كُرْهًا فَقَرِحُوا﴾^(٣٦) أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُودٍ لَا قَبْلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (النمل: ٣٦-٣٧)، وعندما رجع الرسل إلى الملكة، ووصفوا لها ما شاهدوه من عظمة ملك سليمان وكثرة جنده، وقوة بأسه وأخبروها بأنه ردَّ الهدايا إليها، ولم يرض المصانعة وأنه مصمم على غزو البلاد بجيش عرمرم فعزمت الملكة على الاستسلام والانقياد وشدَّت رحالها وأحمالها، وسارت مع جماعتها إلى سليمان^(١٠٧)

• رسول الله في صلح الحديبية قدّم أنموذجاً فريداً للنفع السياسي لأُمَّته وللمسلمين جميعاً إلى يوم القيامة يُحتذى به في تقديم النفع السياسي للمسلمين، بإبرامه المعاهدات مع الطرف الآخر (كفار قريش) ولمدة محدودة حتى تقوى شوكة المسلمين، ويصبحون رقماً صعباً أمام الأعداء، ورغم بنود الصلح المعروفة والتي كانت في الظاهر لمصلحة كفار قريش إلا أن الله عز وجل قد ذكر ذلك الصلح المسمى صلح الحديبية بالفتح سَمَاءُ فَتْحاً للمسلمين فقال الله تعالى مؤيداً لنبية وممتناً عليه ومبشراً له بأنه فتح له فقال الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ (الفتح: ١)

يعني صلح الحديبية كان فتحاً بغير قتال. قال الفراء: الفتح قد يكون صلحاً. ومعنى الفتح في اللغة فتح المنغلق، والصلح الذي حصل مع المشركين بالحديبية كان مسدوداً متعذراً حتى فتحه الله. وقال الزهري: لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية، وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم، فتمكن

^{١٠٦} - قصص الأنبياء: لعبد الوهاب النجار: ص ٣٣٤، ن دار إحياء التراث العربي (بيروت - لبنان)، ط ١: (بدون تاريخ).

^{١٠٧} - انظر: تفسير القشيري: لعبد الكريم القشيري: ٤٢/٥، النبوة والأنبياء: لمحمد على الصابوني: ص ٣٣٢، ن دار القلم (دمشق - سوريا)، ط ٤: (١٩٨٩م).

الإسلام في قلوبهم، وأسلم في ثلاث سنين خلق كثير، وكثر بهم سواد الإسلام." (١٠٨)

وقال ابن كثير: "أي بيناً ظاهراً، والمراد به صلح الحديبية فإنه حصل بسببه خير جليل، وآمن الناس، واجتمع بعضهم ببعض، وتكلم المؤمن مع الكافر، وانتشر العلم النافع والإيمان." (١٠٩)

سادساً: النفع الأمني في القرآن الكريم

حثَّ القرآن الكريم على تقديم النفع الأمني للناس من خلال التشريعات السماوية التي توجب الحفاظ على الضروريات الخمس وهي: الدين، والعقل، والنفس، والعرض، والمال، وتؤدب المجرمين، وتردع وتزجر المجتمع من ممارسة الاختلالات الأمنية، وذلك من خلال فرض القصاص على القاتل العمد حيث قال الله تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ أُنْزِلَ بِالْحَرْ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَبْيَعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ كَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾

ولَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿البقرة: ١٧٨ - ١٧٩﴾، وكذلك من خلال محاربة الذين يسعون في الأرض فساداً، والحث على إقامة حدِّ الحرابة عليهم قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿المائدة: ٣٣﴾، وكذلك يُحقق الأمن للمجتمع من خلال تشريعه لقطع يد السارق قال الله تعالى ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿المائدة: ٣٨﴾ .

ومن خلال تلك التشريعات السماوية وغيرها يتحقق النفع الأمني في المجتمع، ولقد ساهم النبي في تحقيق النفع الأمني للمجتمعات الإسلامية عندما نهى النبي المسلمين

^{١٠٨} - الوسيط في تفسير القرآن المجيد: لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي: ١٣٣/٤، وانظر: تفسير مقاتل بن سليمان البلخي: لمقاتل بن سليمان البلخي: ٢٤٤/٣، تحقيق: أحمد فريد، ند دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان)، ط١: (١٤١٢هـ - ٢٠٠٣م)، معالم التنزيل: للبيهقي: ٢٩٦/٧، زاد المسير في علم التفسير: لعبد الرحمان بن علي بن محمد الجوزي: ٤١٩/٧، ند المكتب الإسلامي (بيروت - لبنان)، ط٣: (١٤٠٤هـ)، والبحر المحيط: لأبي حيان الأندلسي: ٩٠/٨، فتح القدير: للشوكاني: ٤٦/٥.

^{١٠٩} - تفسير لقرآن العظيم لابن كثير، ٣٢٨/٧، وانظر التسهيل لابن جزي: ٥١/٤، والتحرير والتنوير لابن عاشور: ١٤٥/٢٦ (مصادر سابقة).

من أن يتسبب أحدهم إلى فعل يؤدي إلى المساس بالأمن والاستقرار فقال : (لا يحلُّ لمسلم أن يُروِّعَ مُسْلِمًا)^(١١٠) وقال : (لا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ إِلَى أَخِيهِ بِالسَّلَاحِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي لَعْلَ الشَّيْطَانِ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ فَيَقَعُ فِي حَفْرَةٍ مِنَ النَّارِ)^(١١١)، ويقول: (إذا مرَّ أَحَدُكُمْ فِي مَسَاجِدِنَا أَوْ أَسْوَاقِنَا وَمَعَهُ نَبْلٌ فَلْيَمْسِكْ عَلَى نَصَالِهَا أَنْ يُصِيبَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا بِشَيْءٍ)^(١١٢)، كل تلك التوجيهات جاءت لتحقيق النفع الأمني للناس في مجتمعاتهم من أجل أن يأمنوا على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم، وحتى يعيش المجتمع الإسلامي في أمن وهدوء واستقرار ومحبة ووثام وسلام.

ولم يكتف بذلك بل قدّم لنا نموذجاً رائعاً لتحقيق النفع الأمني للناس بالمدينة حيث قام رسول الله بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وكتب كتاباً نُظِمَ فيه الحياة بين جميع سكان المدينة من مسلمين وأهل كتاب ومشركين ليسود بينهم الأمن والاستقرار، وليأمن الجميع دون استثناء على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم، وسأذكر بعضاً من مبادئ ذلك الكتاب كما يلي:

- ١ - أن ذمّة الله واحدة، يجير عليهم أديانهم، وأنّ المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس .
- ٢ - وأنّ المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بغى منهم، أو ابتغى دسيعة ظلم، أو إثماً، أو عدواناً، أو فساداً بين المؤمنين، وأنّ أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم .
- ٣ - ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولا يُنصر كافر على مؤمن .
- ٤ - وأنه من تبع المؤمنين من يهود فإنّ له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصر عليهم.
- ٥ - وأنه لا يجير مشرك مאלاً لقريش ولا نفساً، ولا يحول دونه على مؤمن .

^{١١٠} - المعجم الأوسط: للطبراني: ١٨٧/ ٢ برقم (١٦٧٣)، مسند أحمد: لأحمد بن حنبل: ٣٨/ ١٦٣ برقم (٢٣٠٦٤).

^{١١١} - صحيح مسلم: لأبي الحسين مسلم: ٣٤/٨ برقم (٦٨٣٤) ..

^{١١٢} - صحيح مسلم: لأبي الحسين مسلم: ٣٣/٨ برقم (٦٨٣١) .

- ٦ - وأنه لا يحل لمؤمن أقرَّ بما في هذا الكتاب (هذه الصحيفة)، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً أو يؤويه، وأنَّ مَنْ نصره أو آواه فإنَّ عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل .
- ٧ - وأنَّ اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين .
- ٨ - وأنه لا يخرج منهم أحد إلاَّ بإذن محمد .
- ٩ - وأنَّ على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأنَّ بينهم النصر على مَنْ حارب أهل هذه الصحيفة، وأنَّ بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم .
- ١٠ - وأنَّ بينهم النَّصر على مَنْ دهم يثرب .
- ١١ - وأنَّ يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة .
- ١٢ - وأنَّ الجار كالنفس غير مضار ولا آثم .
- ١٣ - وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يُخاف فساده فإنَّ مَرَدَّهُ إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله .
- ١٤ - وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وأنه مَنْ خرج آمن، ومَنْ قعد آمن بالمدينة، إلاَّ مَنْ ظلم وآثم، وأنَّ الله جار لمن برَّ واتقى، ومحمد رسول الله .^(١١٣)
- وبالجملة ففي هذا الكتاب تحقيق النفع الأمني لمجتمع المدينة سواء كانوا مسلمين أو أهل كتاب أو مشركين، وبذلك أمن الجميع على دينهم، وعلى أنفسهم وأعراضهم وأموالهم . وقد قدَّم لنا القرآن الكريم نماذج سعوا لتقديم النَّفع الأمني للنَّاس منها ما يلي:

(١) الرَّجُلَ الَّذِي قَدَّمَ النَّفْعَ الْأَمْنِيَّ لِمُوسَى وَذَلِكَ عِنْدَمَا أَسْرَعَ فِي مَشِيهِ إِلَى مُوسَى وَسَلَكَ الطَّرِيقَ الْمُخْتَصِرَ إِلَيْهِ مُحَدِّثاً لَهُ وَمُبَيِّناً لَهُ أَنَّ فِرْعَوْنَ وَجَمَاعَتَهُ قَدْ أَمَرُوا بِقَتْلِهِ، وَنَاصِحاً لَهُ بِسُرْعَةِ الْفِرَارِ مِنَ الْقَتْلِ، حَتَّى لَا يَدْرِكُوهُ وَيَقْتُلُوهُ، وَقَدْ حَكَى اللَّهُ ذَلِكَ عَنْهُ فَقَالَ: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِيَّيْكَ مِنَ النَّصِيحِينَ﴾ (الفصص: ٢٠) قال أكثر أهل التفسير هذا الرجل هو حزقييل بن

^{١١٣} -تهذيب سيرة ابن هشام: لعبد السلام هارون: ص ١٤٠-١٤٣.. ن مؤسسة الرسالة (بيروت - لبنان)، دار البحوث العلمية بالكويت، ط: (بدون تاريخ)، وانظر فقه السيرة: لجمد الغزالي: ص ١٩٦-١٩٧.. ن دار الكتب الحديثة (مصر)، ط: ١٩٧٦م)، والرحيق المختوم: لصفي الرحمن المباركفوري: ص ١٦٨-١٦٩، ١٧٣-١٧٤، ن دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان)، ط ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٩٨ م)، والسيرة النبوية: لعلي الصَّلَابي: ١/٥٤٧-٥٥١، ن مكتبة الصحابة (الإمارات - الشارقة)، ط: (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م).

صبوراً مؤمناً آل فرعون ، وروي أن فرعون أمر بقتل موسى فسبق ذلك الرجل بالخبر" (١١٤) ، وقال ابن كثير: " وصفه بالرجولية لأنه خالف الطريق ، فسلك طريقاً أقرب من طريق الذين بُعثوا وراءه - أي وراء موسى - فسبق إلى موسى" (١١٥) .

(٢) داود وإلانة الله له الحديد ، وتعليمه له لصناعة الدروع الحربية لدرء خطر الحرب وتحقيق النفع الأمني للناس ، فقال تعالى مُمْتَنّاً عَلَيْهِ ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ (سبأ: ١٠) "أي: لأن الله له الحديد فكان بين يديه كالعجين يفتله بيده لا يحتاج إلى نار ولا مطرقة يُشكِّله ويتصرف فيه كيف يشاء. ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَدِغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرِّ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (سبأ: ١١) أي: أن اعمل دروعاً تامّات واسعات وقدر المسامير في حلق الدروع ، فلا تعمل الحلقة صغيرة فتضعف ، فلا تقوى الدروع على الدفاع ، ولا تجعلها كبيرة فتثقل على لابسها" (١١٦)

ويقول سيد قطب: " والسَّابِغَاتُ الدروع ، روي أنها كانت تعمل قبل داود صفائح ، الدرع صفيحة واحدة ، فكانت تصلب الجسم وتثقله ، فألهم الله داود أن يصنعها رقائق متداخلة متموجة لينة يسهل تشكيّلها وتحريكها بحركة الجسم ، وأمر بتضييق تداخل هذه الرقائق لتكون محكمة لا تنفذ منها الرَّمْح ، وهو التقدير في السرد ، وكان الأمر كله إلهاماً وتعليماً من الله. " (١١٧)

وقال الله - عز وجل - مُمْتَنّاً عَلَيْهِ وَعَلَى قَوْمِهِ الْمُنْتَفِعِينَ أَمْنِيّاً بِذَلِكَ ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُؤْسٍ لَكُمْ لِيُنْحَصِنَكُمْ مِنْ بِأْسِكُمْ ۗ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ (الأنبياء: ٨٠) ، قال ابن عطية الأندلسي: " عَلَّمَ اللهُ داود صنعة الدروع فكان يصنعها أحكم صنعة لتكون وقاية من الحرب وسبب نجاة من العدو ، واللبوس في اللغة السلاح فمنه الدرع والسيّف والرّمح وغير ذلك. " (١١٨) ، وقال ابن عاشور: " وامتن الله بصنعة علمها داود فانتفع بها الناس وهي صنعة الدروع ، أي دروع السرد ، قيل: كانت الدروع من قبل داود ذات حراشف من

^{١١٤} - الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: ٢٦٦/١٣ (مصدر سابق)

^{١١٥} - تفسير القرآن العظيم: لابن كثير: ٢٢٦/٦ (مصدر سابق).

^{١١٦} - التفسير الميسر: لمجموعة من العلماء: ص ٢٩ ، وانظر: الكشاف: للزمخشري: ٥٨١/٣ ، واللباب في علوم الكتاب: لابن عادل الدمشقي الحنبلي: ٢٣/١٦ .
مصادر سابقة)

^{١١٧} - في ظلال القرآن: لسيد قطب: ٦٣٥/٦ .

^{١١٨} - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية الأندلسي: ١١٢/٤ ، (مصدر سابق)

الحديد، فكانت تثقل على الكُماة إذا لبسوها فألهم الله داود صُنعَ دروع الحلق الدقيقة فهي أخف محملاً وأحسن وقاية" (١١٩)

المبحث الثالث: ثمار تقديم النفع للناس في الدنيا والآخرة

إنَّ المسلم الذي يقدم النفع للناس يعود ذلك عليه في الدنيا والآخرة، في الدنيا باستمرار النعمة عليه، والتوفيق له في جميع أعماله، وحبِّ الناس له، وثناء الناس عليه في حياته وبعد موته وغير ذلك من الخير الكثير الذي يعود عليه في الدنيا، وفي الآخرة ينال دخول الجنة والنعيم المقيم فيها، ومن أهم الثمار التي يجنيها مَنْ يبذل نفعه للناس ما يأتي:

أولاً: الثمار الدنيوية لتقديم النفع للناس:

وسوف أتناولها من خلال مضامين الآيات القرآنية الآتية:

(١) قال الله تعالى ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ ﴾ (سبأ: ٣٩)

"أي: ما أنفقتم من مال في غير إسراف ولا تقتير فهو يخلفه في الدنيا بالعوض، وفي الآخرة بالحسنات والدرجات، عن سعيد بن يسار قال: قال رسول الله: (ما من يوم يصبح العباد إلاَّ ومكان يناديان أحدهما يقول: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً) (١٢٠).

ومما لا شك فيه أنَّ الله يُخلف على المنفق مادياً ومعنوياً، والإخلاف المادي أن يبده ما لا خيراً من ماله الذي أنفقه، والإخلاف المعنوي يتجلى في الانشراح للصدر والسكينة والطمأنينة في القلب والسرور والسعادة التي يشعر بها كل مَنْ يُقدِّم النُّع للناس ويحقق لهم المنافع المشروعة ويُدخل عليهم السرور يوضح لنا ذلك الشهيد سيد قطب رحمه الله في رسالته لأخته أمينة بعنوان (أفراح الروح) حيث قال: " بالتجربة عرفت أنه لا شيء في هذه الحياة يعدل ذلك الفرح الروحي الشفيف الذي نجده عندما نستطيع أن ندخل العزاء أو الرضا، الثقة أو الأمل أو الفرح إلى نفوس الآخرين ! إنها لذة سماوية عجيبة ليست في شيء من هذه الأرض، إنها

^{١١٩} - التحرير والتنوير: لابن عاشور: ١٢١/١٧ (مصدر سابق)

^{١٢٠} - الجامع المسند الصحيح: للبخاري: ٥٢٢/٢ في كتاب الزكاة برقم (١٣٧٤)، وصحيح مسلم: لأبي الحسين مسلم: ٨٢/٣، كتاب الزكاة باب في المنفق والممسك برقم (٢٣٨٣) (مصدران سابقان).

تجاوب العنصر السَّمَاوي الخالص في طبيعتنا، إنها لا تطلب لها جزءاً خارجياً، لأن جزءها كامن فيها!... إنَّ هذا لهو الفرح النقي الخالص الذي ينبع من نفوسنا ويرتد إليها بدون حاجة إلى أي عناصر خارجية عن ذاتنا، إنه يحمل جزاءه كاملاً؛ لأنَّ جزاءه كامن فيه" (١٢١).

٢) قال الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (النحل: ١٢٨) "أي: بالنصر والمعونة والتأييد" (١٢٢)، وهذه المعية بالعون والفضل والرحمة يعني أن أردت أيها الإنسان أن أكون معك بالعون والفضل والرحمة، فكن من المتقين المحسنين، وفي هذا إشارة إلى التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله، وذلك يدلُّ على أن كمال سعادة الإنسان في التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله" (١٢٣).

وقال الله تعالى ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: ٦٩) "أي: بالنصر والمعونة في دنياهم، وبالثواب والمغفرة في عقابهم في الآخرة وثوابهم الجنة" (١٢٤)، وقال رسول الله: (والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) (١٢٥)، وتقتضي معية الله سبحانه وتعالى للعبد الذي يقدم النفع للناس والإحسان إليهم استمرار هذه المعية التي تتجلى في استمرار هذه النعم على العبد الذي ينفع الناس ما لم يقابل هذه النعم بالمعاصي والذنوب والاستكبار على الناس والمن عليهم ومنع تقديم النفع لهم، فإنَّ الله قد ينزعها منه في الدنيا ويحرم أجرها في الآخرة قال: (إنَّ لله أقواماً يختصُّهم بالنعم لمنافع العباد، ويُقرِّههم فيها ما بذلوا، فإذا منعوها نزعها منهم، فحولها إلى غيرهم) (١٢٦)، وعن ابن

^{١٢١} - أفراح الروح: لسيد قطب ص ٢٦ - ٢٧، نة الجيل الجديد (صنعاء، اليمن)، ط: ٢٠٠٩م.

^{١٢٢} - الكشف والبيان المعروف بـ (تفسير الثعلبي): لأبي إسحاق أحمد الثعلبي (ت ٤٢٧هـ): ٥٣/٦، تحقيق: محمد بن عاشور، نة دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان)، ط: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م)، والمحرم الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية الأندلسي: ٤٤٠/٣، تفسير البحر المحيط: لأبي حنَّان الأندلسي: ٥٣١/٥ (مصادر سابقة).

^{١٢٣} - لباب التأويل في معاني التنزيل: لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن: ١٢٦-١٢٧، نة دار الفكر (بيروت - لبنان)، ط: (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، تفسير الفخر الرازي: لمحمد بن عمر بن الحسين الرازي: ٢٩١/٢٠، نة دار إحياء التراث العربي (بيروت - لبنان)، ط: (بدون تاريخ)، اللباب في علوم الكتاب: لابن عادل الدمشقي: ١٩٢/١٢، وانظر: تفسير السراج المنير: لمحمد بن أحمد الشربيني: ٣٠٤/٢، نة دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان)، ط: (بدون تاريخ).

^{١٢٤} - الكشف والبيان: للثعلبي: ٢٩٠/٧، لباب التأويل في معاني التنزيل: للخازن: ٢٠٠/٥، واللباب في علوم الكتاب: لابن عادل الدمشقي: ٣٨٠/١٥، وتفسير السراج المنير: للشربيني: ٢٠٩/٣.

^{١٢٥} - صحيح مسلم: لأبي الحسين مسلم: ٧١/٨ برقم (٧٠٢٨).

^{١٢٦} - المعجم الأوسط: للطبراني: ٢٢٨/٥ برقم (٥١٢٢)، شعب الإيمان: للبيهقي: ١١٧/١٠ برقم (٧٢٥٦)، والسلسلة الصحيحة: للألباني: ٢٦٤/٤ برقم (١٦٩٢) وقال عنه: حسن.

عباس قال: قال رسول الله: (ما من عبد أنعم الله عليه نعمة فأسبغها عليه ، ثم جعل من حوائج الناس إليه فتبّرّم فقد عرّض تلك النعمة للزوال)^(١٢٧).

٣) قال الله تعالى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل: ٩٧) قوله تعالى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا ﴾ أي: عملاً صالحاً، أي عمل كان وهذا شروع في تحريض كافة المؤمنين على كل عمل صالح "^(١٢٨) قوله تعالى ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ﴾ "أن ذلك في الدنيا وهو قول الجمهور، ويدل عليه قوله ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ ﴾ يعني في الآخرة....."^(١٢٩) والحياة الطيبة تشمل الرزق الحلال، والقناعة، والرضا بما قسم الله، وحلاوة الطاعة، والسعادة "^(١٣٠).

٤) قال الله تعالى ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوٰتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾^(١٣١) الَّذِينَ يُفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبْطِ مِثْلَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤) أي: يرضى على المحسنين إلى الناس ويرضى عملهم "^(١٣١) ويحب كل محسن لعباده وخصوصاً المذكورين في هذه الآية فإن من أنواع الإنفاق، الإنفاق بالعلم والتسبب في إيصال الخير والنفع إلى الغير "^(١٣٢). وقوله تعالى ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة: ٩٣) قال السعدي: "فإن الله يحب المحسنين في عبادة الخالق، المحسنين في نفع العبيد "^(١٣٣)

^{١٢٧} - المعجم الأوسط: للطبراني: ٢٩٢/٧ برقم (٧٥٢٩) وقال: إسناده جيد، صحيح الترغيب والترهيب: للألباني: ٣٥٨/٢ برقم (٢٦١٨) وقال عنه: حسن، ند مكتبة المعارف - الرياض، ط ٥ (بدون تاريخ).

^{١٢٨} - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: لأبي السعود: ١٣٩/٥ (مصدر سابق).

^{١٢٩} - تفسير البحر المحيط: لأبي حيان لأندلسي: ٥١٦/٥.

^{١٣٠} - الكشف والبيان: للثعلبي: ٤٠/٦ (بتصرف).

^{١٣١} - تفسير الحداد: المسى (كشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل): لأبي بكر الحداد البهني: ١٤١/٢.

^{١٣٢} - الفتوحات الربانية في تفسير ما ورد في القرآن من الأوامر والنواهي الإلهية: لمحمد عبد العزيز عبد الحكيم: ص ١٣١، ند المكتبة التجارية الكبرى بشارع عابدين (القاهرة - مصر): ط ٢ (بدون تاريخ).

^{١٣٣} - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المئان: للسعدي: ص ٢٠٦ (مصدر سابق).

٥) قال الله تعالى عن نوح: ﴿وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (الصافات: ٧٨ - ٨٠) قال السعدي "جعل له ثناءً حسناً مستمراً إلى وقت الآخريين، وذلك لأنه محسن في عبادة الخالق، محسن إلى الخلق، وهذه سنته تعالى في المحسنين أن ينشر لهم من الثناء على حسب إحسانهم" (١٣٤) وقال الشاعر (الحطيئة):

مَنْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ لَا يُعَدُّ جَوَازِيهَ لَا يَذْهَبُ الْعَرَفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ .

قال الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (مريم: ٩٦)، والمعنى أن الذين آمنوا بالله واتبعوا رسله وعملوا الصالحات وفق شرعه، سيجعل لهم الرحمان محبة ومودة في قلوب عباده. (١٣٥)

ولذلك من يقدم النفع للناس يحبه الناس ويثنون عليه في حياته وبعد موته، بل يحزنون عليه عند فراقه ويترحمون عليه، ويدعون له بالخير، ويذكرون أعماله التي كان ينفع بها الناس .

٦) قال الله تعالى ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ (الدخان: ٢٩) أي: أنهم لم يكونوا يعملون على الأرض عملاً صالحاً تبكي عليهم، ولم يصعد لهم إلى السماء من كلامهم ولا من عملهم كلام طيب ولا عمل صالح فيفقدهم ويبكي عليهم وهذا قول جماعة المفسرين (١٣٦)، والمعنى أنه لم يصب بفقدهم وهلاكهم أحد من أهل السماء، ولا من أهل الأرض، وكانت العرب تقول عند موت السيد منهم: بكت له السماء والأرض أي: عمت مصيبته ... وقال الحسن: في الكلام مضاف محذوف، أي: ما بكى عليهم أهل السماء والأرض من الملائكة والناس، وقال مجاهد: إن السماء والأرض تبكيان على المؤمن أربعين صباحاً. (١٣٧) .

^{١٣٤} - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المثنان: للسعدي: ص ٦١٥ (مصدر سابق) .

^{١٣٥} - التفسير الميسر: إعداد نخبة من العلماء: ص ٣١٢ .

^{١٣٦} - الوسيط في تفسير القرآن المجيد: لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري: ٩/٤ .

^{١٣٧} - فتح القدير: للشوكاني: ٥٥٢/٤ .

ثانياً: الثمار الأخروية لمن يُقدِّم النفع للناس:

وسوف أتناول أهم تلك الثمار من خلال مضامين الآيات الآتية:

(١) قال الله تعالى ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ فِيهَا شَيْئاً ﴾ (النساء: ١٢٤)، دخلت (من) للتبويض؛ إذ الصالحات على الكمال مما لا يطيقه البشر ففي هذا رفق بالعباد، لكن في هذا البعض الفرائض وما أمكن من المندوب إليه، ثم قيد الأمر بالإيمان إذ لا ينفع عمل دونه، والتفسير النكته التي في ظهر النواة ومنه تثبت " (١٣٨)، وقال السعدي: دخل في ذلك سائر الأعمال القلبية والبدنية، ودخل أيضاً كل عامل من إنس أو جن، صغير، أو كبير، ذكر، أو أنثى " (١٣٩).

فالذين آمنوا وعملوا الصالحات من الواجبات والمستحبات كان جزاؤهم الأخروي الجنة، ومن الأعمال الصالحة المستحبة تقديم النفع للناس في الحياة الدنيا، ولذلك قال الله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ (٣٠) ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَبَّحَتِ الْوَوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (الكهف: ٣٠ - ٣١) وقال الله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ (١٧) ﴿ خَلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ (الكهف: ١٠٧ - ١٠٨) ومن الأعمال الصالحة إزالة الأذى والضَّرر عن المسلمين. (١٤٠).

(٢) قال تعالى ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ ﴾ (البقرة: ٢٦١) وهذا المثل يتضمن التحريض على الإنفاق في سبيل الله لجميع ما هو طاعة، وعائد نفعه على المسلمين، وأعظمها وأغناها الجهاد لإعلاء كلمة الله، وظاهر الإنفاق في سبيل الله يقتضي الفرض والنفل، ويقتضي الإنفاق على نفسه في الجهاد وغيره، والإنفاق على غيره ليتقوى به على طاعة من جهاد أو غيره. (١٤١)، قال

^{١٣٨} - الجواهر الحسان في تفسير القرآن: للنفعالي: ٤١٧/١.

^{١٣٩} - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المثلان: للسعدي: ص ١٦٩ (مصدر سابق).

^{١٤٠} - صحيح مسلم: لأبي الحسين مسلم النيسابوري: ٣٤/٨ برقم (٦٨٢٧).

^{١٤١} - تفسير البحر المحيط: لأبي حيان الأندلسي: ٣١٥/٢.

الزمخشري: أي يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت أحوال المنفقين" (١٤٢)

(٣) قال الله تعالى ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُدُودِهَا وَيَسْكِنُونَ فِي بُيُوتِهِمْ وَأَسِيرًا ۗ ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ۗ ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا ۗ ﴿١٠﴾ فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ سَرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَصْرَةً وَسُرُورًا ۗ ﴿١١﴾ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ۗ ﴿١٢﴾ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْبَابِ لَا يَرُونَ فِيهَا سُمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۗ ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَطْرُفُهَا نَدِيلًا ۗ ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَيْنَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ ۗ قَوَارِيرًا ۗ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَرُهَا نَقِيرًا ۗ ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ۗ ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ۗ ﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّشْرُورًا ۗ ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۗ ﴿٢٠﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُوسٌ خُضَرٌ مُّسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعًا مُّسَوَّرًا مِّنْ فِضَّةٍ وَسَقَنَهُمُ رَبُّهُمْ سُرَابًا طَهُورًا ۗ ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا ۗ ﴿٢٢﴾ (الإنسان: ٨ - ٢٢) قال مجاهد: الأسير هو المحبوس، أي يطعمون لهؤلاء الطعام وهم يشتهونه ويحبونه، وقال مجاهد وسعيد بن جبیر: أما والله ما قالوه بألسنتهم، ولكن علم الله به من قلوبهم، فأثى عليهم به ليرغب في ذلك راغب، أي: إنما نفعنا هذا لعل الله أن يرحمنا ويتلقانا بلطفه، في اليوم العبوس القمطير وهذه كقولته تعالى ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفَرَةٌ ۗ ﴿٣٨﴾ ضَاكَّةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۗ ﴿٣٩﴾ ﴾، وذلك أن القلب إذا سرَّ استتار الوجه. (١٤٣)، والمعنى الإجمالي أن الله وقاهم من شدائد ذلك اليوم، وأعطاهم حسناً ونوراً في وجوههم، وبهجة وفرحاً في قلوبهم، وأثابهم بصبرهم في الدنيا على الطاعة جنة عظيمة يأكلون منها ما شاؤوا" (١٤٤).

(٤) قال الله تعالى ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مِمَّا آفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۗ ﴿٢٦٢﴾ ﴾ (البقرة: ٢٦٢) تشمل كل أوجه الإنفاق في الخير والنفع للناس، ولذلك ذكر القرطبي: أن الإنفاق في سبيل الله على العموم" (١٤٥)، وسبيل الله كثيرة وهي جميع ما هو طاعة وعائد بمنفعة على المسلمين

^{١٤٢} - الكشاف: للزمخشري: ٣٣٨/١.

^{١٤٣} - تفسير القرآن العظيم: لابن كثير: ٢٨٩/٨.

^{١٤٤} - التفسير الميسر: إعداد نخبة من العلماء: ص ٥٩٧.

^{١٤٥} - الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: ٣٠٧/٣.

والملة^(١٤٦)، وقال ابن كثير: أي: على ما خلفوه من الأولاد وما فاتهم من الحياة الدنيا وزهرتها لا يأسفون عليها؛ لأنهم قد صاروا إلى ما هو خير لهم من ذلك.^(١٤٧)

قوله تعالى ﴿وَلَا حَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن إنفاقهم في سبيل الله لا يضيع، بل يجدونه يوم القيامة، فلا يخافون فقده، ولا يحزنون بسبب ألا يوجد، ونظيره ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ (طه: ١١٢)

الثاني: أنهم يوم القيامة لا يخافون العذاب ألبته، ونظيره ﴿وَهُمْ مِنْ فِرْعَ بَوْمِيذٍ ءَامِنُونَ﴾ (النمل: ٨٩) وقال: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفِرْعُ الْأَكْبَرُ﴾ (الأنبياء: ١٠٣) ^(١٤٨)

الخاتمة: وتتضمن النتائج والتوصيات والمقترحات في ضوء تلك النتائج وهي كما يأتي:

(١) يتضح من الآيات التي وردت في الحث على تقديم النفع للناس أن بعضها كان يحث على تقديم النفع للناس بطريقة مباشرة، وبعضها بطريقة غير مباشرة لذا فإن الباحث يوصي بالقيام ببحث يحصر جميع الآيات التي وردت في القرآن الكريم وتحت على النفع للناس بالطريقتين المباشرة، وغير المباشرة .

(٢) تحدث الباحث وفقاً للآيات التي تحث على تقديم النفع للناس عن أنواع النفع للناس واستتبط الباحث من خلال فهمه للآيات واستنطاقه للنصوص القرآنية وتأمله في تفسير الآيات أن أنواع النفع للناس هي: النفع المادي، والنفع المعنوي، والنفع الاجتماعي والنفع الاقتصادي، والنفع السياسي، والنفع الأمني .

وقام الباحث بتناول بعض الآيات على سبيل المثال لا الحصر لكل نوع من تلك الأنواع؛ لأنَّ المقام لا يتسع للحصر ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق، ولذا يوصي الباحث بإجراء بحث يستقصى ويحصر جميع الآيات لكل نوع من تلك الأنواع.

(٣) استتبط الباحث أهم الثمار الدنيوية والأخروية التي ينالها من يقدم النفع للناس في الحياة الدنيا من بعض الآيات على سبيل المثال لا الحصر، لذا يوصي الباحث بالقيام ببحث آخر يتناول جميع الثمار الدنيوية والأخروية من جميع آيات القرآن الكريم .

^{١٤٦} - المحرر الوجيز: لابن عطية الأندلسي: ٣٥١/١ .

^{١٤٧} - تفسير القرآن العظيم: لابن كثير: ٦٩٣/١ .

^{١٤٨} - اللباب في علوم الكتاب: لابن عادل الدمشقي: ٣٨٥/٤ .

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم .

- ١) أحكام القرآن: لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، ن: دار الفكر (بيروت - لبنان)، ط: (٢٠٠٥).
- ٢) الأدب المفرد: لمحمد بن إسماعيل البخاري، ن: دار البشائر الإسلامية (بيروت - لبنان)، ط: ٣: (١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م).
- ٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، ن: دار إحياء التراث العربي (بيروت - لبنان)، ط: (بدون تاريخ).
- ٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الشنقيطي، ن: دار الفكر (بيروت - لبنان)، ط: (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م).
- ٥) أفراح الروح: لسيد قطب، ن: الجيل الجديد (صنعاء، اليمن)، ط: ٢: (٢٠٠٩ م).
- ٦) بحر العلوم: لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق: د. محمود مطرجي، ن: دار الفكر (بيروت - لبنان)، ط: (بدون تاريخ).
- ٧) تاج العروس من جواهر القاموس: لأبي الفيض محمد بن عبد الرزاق الحسيني مرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، ن: دار الهداية .
- ٨) تفسير البحر المحيط: لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ن: دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان) ط: ١: (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م)
- ٩) التحرير والتبوير لمحمد الطاهر بن عاشور، ن: دار سحنون للنشر والتوزيع، (تونس) ط: (١٩٩٧ م).
- ١٠) التسهيل لعلوم التنزيل: لابن جزي الكلبي، ن: دار الكتاب العربي (بيروت - لبنان) ط: ٤: (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م).
- ١١) تفسير الحداد المسّمى كشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل: لأبي بكر الحداد اليمني، تحقيق: د/ محمد إبراهيم يحيى، ن: دار المدار الإسلامي (بيروت - لبنان)، ط: ١: (٢٠٠٣ م).

- ١٢) تفسير السراج المنير: لمحمد أحمد الشربيني، ن: دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان)، ط: (بدون تاريخ).
- ١٣) تفسير الشعراوي: لمحمد متولي الشعراوي، ن: مطابع أخبار اليوم (القاهرة)، ط: (بدون تاريخ).
- ١٤) تفسير الفخر الرازي: لمحمد بن عمر بن الحسين الرازي، ن: دار إحياء التراث العربي (بيروت - لبنان)، ط: (بدون تاريخ).
- ١٥) تفسير القرآن: لأبي المظفر منصور بن محمد عبد الجبار السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وآخر معه، ن: دار الوطن (الرياض - السعودية)، ط: ١: (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)
- ١٦) تفسير القرآن: لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي، تحقيق: د. عبد الله إبراهيم الوهبي، ن: دار ابن حزام (بيروت - لبنان)، ط: ١: (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).
- ١٧) تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ن: دار طيبة للنشر والتوزيع (السعودية)، ط: ٢: (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)
- ١٨) تفسير القشيري: لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري القشيري، تحقيق سعيد قطيفة، ن: المكتبة التوفيقية (القاهرة - مصر)، ط: (بدون تاريخ)
- ١٩) تفسير النسفي: لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تحقيق مروان محمد الشاعر، ن: دار الفنائس (بيروت - لبنان)، ط: (٢٠٠٥ م).
- ٢٠) تفسير مقاتل بن سليمان البلخي: لمقاتل بن سليمان البلخي تحقيق: أحمد فريد، ن: دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان)، ط: ١: (١٤١٢هـ - ٢٠٠٣م).
- ٢١) التفسير الميسر: لنخبة من العلماء، بإشراف د / عبد الله بن عبد المحسن التركي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالملكة العربية السعودية، ن: وزارة الأوقاف السعودية، ط: (١٤١٩هـ).
- ٢٢) التفسير الوسيط: لمحمد سيد طنطاوي، ن: دار السعادة (مصر)، ط: (بدون تاريخ)
- ٢٣) التوقيف على مهمات التعاريف: لمحمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د / محمد رضوان الداية، ن: (دار الفكر المعاصر)، ط: ١: (١٤١٠هـ).

- ٢٤) تهذيب سيرة ابن هشام : لعبد السلام هارون، ن: مؤسسة الرسالة (بيروت - لبنان)، ط: (بدون تاريخ) .
- ٢٥) تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان: لعبد الرحمان بن ناصر السعدي، ن: مؤسسة الرسالة (بيروت - لبنان)، ط: (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م) .
- ٢٦) جامع البيان في تأويل القرآن: لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ن: مؤسسة الرسالة (بيروت - لبنان)، ط: (١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م) .
- ٢٧) الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري، ن: دار عالم الكتب (الرياض - السعودية)، ط: (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م) .
- ٢٨) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ن: دار ابن كثير (اليمامة - بيروت)، ط: (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م) .
- ٢٩) الجواهر الحسان في تفسير القرآن: لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، ن: مؤسسة الأعلمي للطبوعات (بيروت - لبنان)، ط: (بدون تاريخ) .
- ٣٠) ديوان الإمام الشافعي: لمحمد بن ادريس الشافعي، تحقيق: عبد الرحمان المصطاوي، ن: دار المعرفة (بيروت - لبنان)، ط: (٢٠٠٥ م) .
- ٣١) الرحيق المختوم: لصفي الرحمن المباركفوري، ن: دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان)، ط: (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م) .
- ٣٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: لمحمود بن عبد الله الألوسي، ن: دار إحياء التراث العربي (بيروت - لبنان)، ط: (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) .
- ٣٣) زاد المسير في علم التفسير: لعبد الرحمان بن علي بن محمد الجوزي، ن: المكتب الإسلامي (بيروت - لبنان)، ط: (١٤٠٤ هـ) .
- ٣٤) سنن أبي داود: لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ن: دار الكتاب (بيروت - لبنان)، ط: (بدون تاريخ) .
- ٣٥) سنن الترمذي: لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، ن: دار إحياء التراث العربي (بيروت - لبنان) .

- (٣٦) السلسلة الصحيحة: لمحمد ناصر الدين الألباني، ن: مكتبة المعارف (الرياض)، ط: (بدون تاريخ).
- (٣٧) السيرة النبوية: لعلي الصّلابي، ن: مكتبة الصحابة (الإمارات - الشارقة)، ط: (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
- (٣٨) شعب الإيمان: لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجْردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، ن: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط: (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م).
- (٣٩) صحيح الترهيب والترهيب: لمحمد ناصر الدين الألباني، ن: مكتبة المعارف (الرياض)، ط: (بدون تاريخ).
- (٤٠) صحيح مسلم: لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، ن: دار الجيل + دار الآفاق الجديدة (بيروت - لبنان)، ط: (بدون تاريخ).
- (٤١) صحيح وضعيف سنن أبي داود: لمحمد ناصر الدين الألباني، ن: دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان)، ط: (بدون تاريخ).
- (٤٢) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادة: لمحمد ناصر الدين الألباني، ن: المكتب الإسلامي (بيروت - لبنان)، ط: (بدون تاريخ).
- (٤٣) صحيفة على بن أبي طلحة في تفسير القرآن الكريم: لعبد الله بن عباس، تحقيق: راشد بن عبد المنعم الرّجّال، ن: مكتبة السنّة (القاهرة - مصر)، ط: (١٤١١هـ - ١٩٩١م).
- (٤٤) الطبقات الكبرى: لمحمد بن سعد بن منيع البصري الزهري، ن: دار صادر (بيروت - لبنان)، ط: (بدون تاريخ).
- (٤٥) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير: لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة، ن: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع (المنصورة)، ط: (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).
- (٤٦) الفتوحات الربانية في تفسير ما ورد في القرآن من الأوامر والنواهي الإلهية: لمحمد عبد العزيز عبد الحكيم، ن: المكتبة التجارية الكبرى بشارع عابدين (القاهرة - مصر)، ط: (بدون تاريخ).

- ٤٧) فقه السيرة : لمحمد الغزالي، ن: دار الكتب الحديثة (مصر)، ط٧: (١٩٧٦م)
- ٤٨) في ظلال القرآن: لسيد قطب، ن: دار إحياء التراث العربي (بيروت - لبنان)، ط٧: (١٣٩١هـ - ١٩٧١م) .
- ٤٩) قصص الأنبياء: لعبد الوهاب النجار، ن: المكتب الإسلامي (بيروت - لبنان)، ط: (بدون تاريخ).
- ٥٠) الكشف والبيان في تفسير القرآن: لأبي إسحاق أحمد بن محمد إبراهيم الثعلبي النيسابوري، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، ن: دار إحياء التراث العربي (بيروت - لبنان)، ط١ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م) .
- ٥١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لمحمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ن: دار إحياء التراث العربي (بيروت - لبنان)، ط: (بدون تاريخ).
- ٥٢) لباب التأويل في معاني التنزيل: لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، ن: دار الفكر (بيروت - لبنان)، ط: (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) .
- ٥٣) اللباب في علوم الكتاب: لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ن: دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان)، ط١: (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)
- ٥٤) المعجم الأوسط: لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، ن: (دار الحرمين - القاهرة)، ط: (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)
- ٥٥) المعجم الكبير: لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ن: مكتبة العلوم والحكم - الموصل، ط٢: (١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م) .
- ٥٦) معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ن: دار الفكر (بيروت - لبنان)، ط: (١٩٧٩م) .
- ٥٧) المعجم الوسيط: لإبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية: دار الدعوة

- ٥٨) مفردات ألفاظ غريب القرآن: للحسين بن محمد بن محمد بن المفضل المعروف بالرأغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ن: دار المعرفة للطباعة والنشر (بيروت - لبنان)، ط: (بدون تاريخ)
- ٥٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام الشافعي محمد، ن: دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان)، ط: (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).
- ٦٠) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: لأحمد بن محمد المقرمي الفيومي، ن: المكتبة العلمية (بيروت - لبنان)، ط: (بدون تاريخ).
- ٦١) مشكاة المصابيح: لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ن: المكتبة الإسلامية (بيروت - لبنان)، ط: (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).
- ٦٢) معالم التنزيل: لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، ن: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
- ٦٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل: لأحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ن: مؤسسة الرسالة، ط: (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).
- ٦٤) النبوة والأنبياء: لمحمد بن علي الصابوني، ن: دار القلم (دمشق - سوريا)، ط: (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م).
- ٦٥) الوسيط في تفسير القرآن المجيد: لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ن: دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان)، ط: (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)

**الكفايات التدريسية لمعلمي اللغة الإنجليزية كما
يعكسها تقويم الأداء الصفّي لمعلمي هذه المرحلة**

د. انتصار علي باصرة

أستاذ المناهج وطرائق التدريس المساعد/ قسم رياض الاطفال/كلية البنات/جامعة حضرموت



جامعة الأندلس
للعلوم والتكنولوجيا

Alandalus University For Science & Technology

(AUST)

الكفايات التدريسية لمعلمي اللغة الإنجليزية كما يعكسها تقويم الأداء الصفّي لمعلمي هذه المرحلة

الملخص:

٥) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين أداء المؤهلين وغير المؤهلين تربوياً في جميع مجالات الكفايات التدريسية.

٦) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين مجالات كفايات التدريس حسب متغير الجنس ولصالح المعلمات.

٧) لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين مجالات الكفايات التدريسية جميعها حسب متغير سنوات الخبرة.

وفي ضوء تلك النتائج أوصت الدراسة بعدد من التوصيات ومن أهمها:

١) إعطاء الكفايات التدريسية أهمية كبيرة من قبل المؤسسات التربوية التي تعنى بإعداد معلمي اللغة الإنجليزية.

٢) إعطاء اهتمام لمنهاج اللغة الإنجليزية لتحقيق الأهداف التعليمية بعيدة وقصيرة المدى.

٣) إقامة دورات تدريبية مستمرة أثناء الخدمة لمعلمي اللغة الإنجليزية ضمن خطة علمية مدروسة.

هدفت الدراسة إلى التعرف على الكفايات التدريسية لمعلمي اللغة الإنجليزية كما يعكسها تقويم الأداء الصفّي لمعلمي هذه المرحلة، وقد تألفت عينة الدراسة من معلمي المدارس الإعدادية والبالغ عددهم (١٢٠) معلم ومعلمة، وطورت استبانة تتكون من أربعة مجالات (مجال التخطيط للدرس، ومجال التنفيذ، ومجال الإدارة الصفية، ومجال شخصية المعلم)، وأظهرت الدراسة النتائج الآتية:

١) إن كفايات التخطيط للدرس لدى معلمي اللغة الإنجليزية أظهرت نقص في خبرة المعلمين في التخطيط لخبرات تتناسب وخصائص المرحلة الإعدادية.

٢) هناك ضعف عند معلمي اللغة الإنجليزية للمرحلة الإعدادية لمهارة الأسئلة التوعوية وارتباطها بأهداف الدرس.

٣) هناك ضعف في كفايات تنفيذ خطة الدرس ومتطلباتها من قبل معلمي اللغة الإنجليزية.

٤) كفايات الإدارة الصفية احتلت المرتبة الأولى عند معلمي اللغة الإنجليزية للمرحلة الإعدادية.

Abstract :

The study aimed to identify the competencies teaching of English teachers as reflected in classroom performance evaluation for teachers of this stage. The study sample consisted of (120) teachers in junior high schools , a questionnaire was developed as study tool, it consists from four fields (the field of lesson planning, the field of implementation, field of classroom management, and the field of teacher personality) . The study showed many results:

- 1) The competencies of lesson planning with English language teachers showed a lack of experienced teachers in the planning of experiences to suit the characteristics of the preparatory stage.
- 2) There is a weakness with English teachers for the preparatory phase about skill and awareness questions relate to the objectives of the lesson.
- 3) There is a weakness in competencies of the lesson plan implementation and requirements by English teachers.
- 4) competencies of classroom management was ranked first in the English language

teachers for the preparatory phase.

- 5) there were no statistically significant differences at the level (05,0) between the performance of qualified and non-qualified educators in all fields of teaching skills.
- 6) there were statistically significant differences at the level (05,0) between the level of teaching competencies based on the sex variable and for the benefits of female
- 7) There are no statistically significant differences at the level of (05,0) between the level of teaching competencies based on the years of experience variable.

In light of these findings the study recommended a number of recommendations:

- 1) give the teaching competencies more attention in the programmes of English teachers preparation by the educational institution.
- 2) give attention for the English language curriculum to achieve long-term and short educational goals.
- 3) work to establish workshops for teacher during service through a scientific plan.

المقدمة :

يتسم العصر الراهن بالانفجار المعرفي والتقدم العلمي والتكنولوجي في جميع المجالات وفي شتى المعارف والعلوم، وتبعاً لذلك فقد تطورت العلوم التربوية والنفسية وخطت خطوات واضحة جريئة استطاعت من خلالها أن تواكب مجريات العصر، أثر ذلك في إعداد المعلم وتهيئته ليقوم بواجبه التربوي وفق معايير تربوية تقوم على أسس علمية راسخة، فالمعلم له دور مهم وفعال في تعليم الأجيال وتشكيل اتجاهاتهم وتنمية عقولهم، ومع كل هذا التطور في مصادر وتقنيات التعليم، فإن المعلم كان وما زال يقوم بدور أساسي في العملية التعليمية؛ إذ يقع على عاتقه تحقيق الأهداف التربوية والمضي قدماً في سبيل إنجاح المنظومة التربوية.

فالأنظمة التربوية المعاصرة تركز اهتمامها على المعلم باعتباره إحدى الدعائم الأساسية للعملية التربوية الشاملة القائمة على التعليم الفعال الذي يرتكز على نشاط المتعلم ومشاركته الفاعلة مع معلمة لتحقيق التعلم الهادف، وهذا يتطلب الإعداد الجيد والمتكامل للمعلم وفقاً للاتجاهات والأساليب الحديثة في بناء برامج إعداد وتأهيل المعلمين قبل الخدمة، ثم الاستمرار في تدريبهم وتقويم عملهم في أثناء الخدمة تلبية لتحديات ومتطلبات العصر الحالي الذي يتصف بالتغيير الدائم الذي يفرضه التقدم العلمي والتكنولوجي في مؤسسات التربية والتعليم والتنمية والتي حققت نجاحات كبيرة في فهم آلية عمل العقل البشري في التفكير والتحليل وكيفية تفعيله للوصول إلى نتائج مجدية حول طبيعة التعلم البشري وتكوين النشاط الفكري الهادف عند الإنسان لخدمة البشرية وتقدم مجتمعاتها (مراد، ١٩٨٢، ص ١٢).

ويعد إعداد المعلم على أساس الكفاية التعليمية من الاتجاهات السائدة في برامج إعداد وتدريب المعلمين، وهو يعكس أهدافاً تربوية محددة فرضها عامل الالتزام والمسؤولية بتحقيق الأهداف، وتأكيد ملائمة البرامج لحاجات المعلمين وقد اكتسبت برامج تربية المعلمين القائمة على الكفاية أهمية خاصة منذ بداية السبعينات كمدخل بديل للتعليم، حيث تحدد هذه البرامج السلوك والمعارف والاتجاهات التي يحتاج إليها المعلمون سلفاً كما تحدد الشروط التي تظهر فيها هذه الكفايات ومستوى الأداء الذي

يجب الوصول إلى (الفرا، ١٩٨٥، ص٢٨٢). لذلك زاد الاهتمام بعملية التقويم المستمر لأداء للمعلم أثناء الخدمة وأصبحت تشكل الخطوة الأساسية في طريق رسم المعالم الأساسية لمدرسة المستقبل لكونها تشخص بصورة موضوعية مختلف الصعوبات والمشكلات التي تواجه العملية التربوية وللكشف عن خصائصها ومتطلباتها، وبذلك تمكن من إصدار الحكم على كفاءة النظام التعليمي مما يساعد في وضع تصورات ورؤى مستقبلية دقيقة لمهمة التجديد النوعي لهذا النظام وضمان عدم طغيان التوسع الكمي الكبير في إعداد المتعلمين على حساب انخفاض نوعية التعليم كما يساعد على تلبية متطلبات التنمية الشاملة ومواجهة تحديات المستقبل (محمد وصبري، ٢٠٠٢، ص١٧٧-١٩١). وتحتاج الأنظمة التربوية التي تتحمل مسؤولية إعداد الناشئة إلى مراجعة مستمرة من أجل تحسين كفاياتها الداخلية باختيار أفضل المدخلات المنسجمة مع الواقع التربوي حتى تلبى مخرجات الأنظمة مستوى طموح مجتمعاتها، ومن هنا تأتي ضرورة رفع كفايات المعلم الأساسية، لذلك اتجهت الجهود في أغلب بلدان العالم إلى تمهين التعليم نتيجة للتغيرات التي مست طبيعة العملية التعليمية، وفي ضوء الأهداف العامة لبرامج إعداد المعلم يتوقع أن يملك المعلمون العديد من الكفايات التدريسية الأدائية؛ لأن مهنة التعليم نظام يتكون من أربعة عناصر رئيسية متفاعلة معا تتمثل في التخطيط، والمنهاج والتنفيذ والتقويم (خزعلي ومومني، ٢٠١٠). وذكر عويدات (٢٠٠٦) ما أشارت له دراسات عديدة حول الكفايات المهنية للمعلم، حيث توصل عبد الغفار (٢٠٠٣) إلى قائمة من الكفايات المهنية من أهمها: كفايات الفلسفة التربوية، والكفايات العلمية والنمو المهني، وكفاية تخطيط الدرس وتنفيذه، وكفايات النظام والعلاقات الإنسانية وكفايات التخطيط. أما التويجري (٢٠٠٠) فقد توصل إلى ضرورة أن تتوافر كفايات لدى المعلم في مجالات التخطيط للدرس وتنفيذه وتقويم الطلاب في المراحل التعليمية المختلفة، ولكل المقررات الدراسية (عويدات، ٢٠٠٦).

ولأن مستقبل الأمة يعتمد على نوعية التربية المقدمة لأبنائها لاعلى تنمية المعلومات ومحتواها، إذا ما أريد لأبناء هذه الأمة أن يكونوا أعضاء فاعلين منتجين في صنع المستقبل، مع الأخذ بعين الاعتبار المتغيرات العالمية والانفجار المعرفي والتكنولوجي والديموغرافي، ومن المعروف أن هذا كله لا يتأتى إلا من خلال الاهتمام بالمعلمين

الذين يُعدون المفتاح الرئيس وحجر الأساس لنجاح العملية التربوية؛ لذلك فلا بد من الاهتمام بالمعلم وبالكفايات الخاصة به، ويكتسب تقويم الأداء الصفي لشريحة من معلمي اللغة الإنجليزية أهمية كبيرة لكونها من أكثر المواد الدراسية ارتباطاً بالفرد والمجتمع والعالم ومعنية أكثر من غيرها باكتساب المتعلم القيم والاتجاهات التي تساعده في إتباع السلوك القويم والمنتج في مجتمعة (عويدات، ٢٠٠٦).

ويشير بيتر إيدي (Better Eddy) الوارد في شلبي (١٩٨٩) إلى أن هذه الكفايات لها أهمية لمعلمي اللغة الإنجليزية؛ لأنها تساعدهم على تنوع الأساليب التدريسية المستخدمة حسب ما تقتضيه الحاجة أثناء التدريس، فكلما كان المدرس متمكناً في اللغة ازدادت ثقته بنفسه بحيث يستطيع استخدام أمثله وأساليب تسهل فهم التلاميذ للمادة (شلبي، ١٩٨٩، ص ٧٥-٩٥).

فتقييم الكفاءات اللغوية لها أهمية كبيرة في قياس أداء المدرس ومقدرته على مقارنة اللغة الإنجليزية باللغة الأم التي يتكلمها الطالب. ومن هنا تبرز أهمية إعداد المعلم بصفة عامة ومعلم اللغة الإنجليزية بصفة خاصة قبل الخدمة وأثنائها، حتى يتمكن من القيام بكل المهام المناطة به على أكمل وجه.

مشكلة البحث:

بالرغم من الجهود التي تبذلها مؤسسات التأهيل والتدريب في بلادنا لإعداد معلمي اللغة الإنجليزية لالتحاقهم بالعمل بمهنة التدريس، إلا إن واقع تدريس اللغة الإنجليزية كلفة أجنبية من حيث كفايته الإنتاجية يواجه العديد من المشكلات والصعوبات التي لا تقتصر على تعليمها سواء في نظام التعلم العام أو الجامعي، بل وعلى صعيد تعليمها كلفة أجنبية بشكل عام في الوطن العربي والعالم، ولعل من أهم المشكلات ضعف كفايات معلم اللغة الإنجليزية، حيث أكد (Eddy) الوارد في (شلبي، ١٩٨٨، ص ٧٥) على ضعف معلم اللغة الإنجليزية في بعض الكفايات التدريسية، وظهرت هذه المشكلة أيضاً في نتائج العديد من الدراسات والبحوث والندوات والمؤتمرات وورش العمل، فقد أشارت ورشة العمل الوطنية اليمنية لموجهي اللغة الإنجليزية المنعقد في ديسمبر ١٩٩٨ في صنعاء إلى الصعوبات التي تواجه المعلمين في تدريس اللغة الإنجليزية ومنها عدم توفر

الوسائل التعليمية السمعية والبصرية ومحدودية الدورات التدريبية أثناء الخدمة... الخ (وثائق الورشة، وزارة التربية والتعليم، صنعاء ١٩٩٨ ص١٣).

كذلك فانه من خلال ملاحظة تحصيل طلابنا في مادة اللغة الإنجليزية نجد أن هناك ضعفاً في تحصيل طلابنا في مادة اللغة الإنجليزية، وهذا قد يعود إلى عدم وجود المعلم المؤهل تأهيلاً تربوياً بالإضافة إلى ضعف عملية تقويم أداء معلمي اللغة الإنجليزية أثناء الخدمة وعدم تحقيقها لأهدافها، حيث يجب أن يشمل التقويم مختلف جوانب العملية التعليمية والتعلمية بصورة متوازنة ومتكاملة (مراد، ١٩٩١) (أبو غريب وفاطمة، ١٩٩١)، كما تفتقر عملية التقويم إلى وجود أداة تقويم موضوعية وصادقة. كذلك فإن إعداد المعلم على أساس الكفايات يعتبر من الاتجاهات العالمية الحديثة في مجال التربية، حيث اتجهت الكثير من المؤسسات التعليمية إلى التحول نحو البرامج التربوية القائمة على الكفاية، لذلك جاءت الدراسة الحالية للإجابة على السؤال الرئيس الآتي:

ما الكفايات التدريسية لدى معلمي اللغة الإنجليزية في المرحلة الإعدادية كما يعكسها تقويم الأداء الصفي؟

وستتفرع عنه الأسئلة الآتية:

(١) ما ترتيب الكفايات التدريسية لمعلمي اللغة الإنجليزية في المرحلة الإعدادية كما

يعكسها تقويم الأداء الصفي لمعلمي هذه المرحلة؟

(٢) هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسطات درجات أداء

معلمي اللغة الإنجليزية في المرحلة الإعدادية للمؤهلين تربوياً وغير المؤهلين تربوياً

على بطاقة الأداء الصفي؟

(٣) هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسطات درجات أداء

معلمي ومعلمات اللغة الإنجليزية في المرحلة الإعدادية حسب متغير الجنس؟

(٤) هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسطات درجات أداء

معلمي ومعلمات اللغة الإنجليزية في المرحلة الإعدادية حسب متغير الخبرة؟

أهداف البحث: يهدف البحث الحالي إلى التعرف على الكفايات التدريسية لمعلمي

اللغة الإنجليزية كما يعكسها تقويم الأداء الصفي لمعلمي هذه المرحلة.

أهمية البحث : تكمن أهمية البحث في الآتي :

- الكشف عن أهم الكفايات التدريسية لمعلمي اللغة الإنجليزية كما يعكسها تقويم الأداء الصفي للمعلمين .
- إلقاء الضوء على ترتيب وتصنيف الكفايات التدريسية لمعلمي اللغة الإنجليزية كما يعكسها تقويم الأداء الصفي مما يسهل تطوير العملية التعليمية.
- تطوير أداة تقويم شاملة لمختلف الكفايات التدريسية لمعلمي اللغة الإنجليزية يمكن من خلالها إعطاء صورة واقعية لمردود العملية التربوية .
- يفيد البحث المؤسسات التربوية لتحسين نوعية النظام التعليمي ورفع كفايته الداخلية والخارجية ليلبي متطلبات التنمية الشاملة.
- يرسم ملامح مدرسه المستقبل التي تسعى إلى إكساب المتعلم السلوك الرشيد والفاعل والمعرفة العلمية المتطورة لمواجهة تحديات العصر ومتغيراته المتسارعة.
- تساعد نتائج الدراسة في تطوير أساليب إعداد معلمي اللغة الإنجليزية وتدريبهم وتوجيههم نحو تحقيق فهم أفضل للكفايات التدريسية.
- تفيد معلم اللغة الإنجليزية في عملية تقويمه الذاتي لعمله.

حدود البحث:

يقتصر البحث على: معلمي اللغة الإنجليزية في المدارس الإعدادية في مدينة المكلا في

العام الدراسي ٢٠١٣/٢٠١٤.

تعريف مصطلحات البحث: وردت في هذا البحث مجموعة من المصطلحات، ستعرف

أولاً اصطلاحاً ثم بدلالة البحث الحالي.

(١) الكفاية: ورد في لسان العرب كفى يكفي كفاية: إذا قام ويقال استكفيته

أمراً فكفانيه، ويقال كفك هذا الأمر أي حسبك، وكفك هذا الشيء، وكفاه

ما أهمه كناية، وكفاه مؤونته كفاية، وكفك الشيء يكفيك واكتفيت به،

ورجل كافٍ وكفيّ: مثل سالم وسليم (ابن منظور ١٩٩٠ ص٢٢٥).

وقد عرفها حماد على أنها أنواع من المعارف والمعلومات والمهارات والقدرات التي يتوقع أن يكون الطالب قد حصل عليها خلال إعداده كمعلم وأصبح قادراً على تطبيقها (حماد ١٩٩٢ ص٩٨).

أما التعريف الإجرائي للكفايات التدريسية فهي أربعة أنواع من الكفايات تم تضمينها في أداة الدراسة، هي كفاية مجال التخطيط للدرس، وكفاية مجال التنفيذ، وكفاية مجال الإدارة الصفية، وكفاية مجال شخصية المعلم.

٢) تقويم الأداء الصفي :

أ) التقويم: نقصد بالتقويم العملية التي نحكم بها على قدرة معلم اللغة الإنجليزية على استخدام المهارات التدريسية التي اكتسبها خلال إعداده المهني، وفي أثناء ممارسته لمهنة التدريس بهدف تشخيص نواحي القوة والضعف في مستوى أدائه التدريسي داخل غرفة الصف (جامعة الملك فيصل، دليل التربية العملية، ١٩٩٦). وعرف أيضاً بأنه الحكم على كفاءة عمليات التدريس التحضيرية والتنفيذية ومدى تحقيقها للأهداف التربوية المنشودة لدى المعلمين.

ب) الأداء الصفي: ويعني مجمل العمليات التدريسية الفعلية التي يمارسها معلم اللغة الإنجليزية في المواقف التعليمية التي يتفاعل بها مع طلابه داخل غرفة الصف (مصباح وعبد الكريم ١٩٨٧ ص٧١).

أما التعريف الإجرائي لتقويم الأداء الصفي فهي الدرجة التي يحصل عليها المستجيب على مقياس الكفايات بناء على استجابته على كل فقرة من فقرات المجالات الأربعة.

الإطار النظري :

أصبحت عملية إعداد المعلم وتدريبه من أهم القضايا التي تركز عليها الدول المتقدمة والنامية على حد سواء؛ إيماناً منها بأن المعلم يمثل العنصر الرئيس في العملية التعليمية؛ فالظروف الاقتصادية والاجتماعية والعلمية فرضت بمتغيراتها المتنوعة والمتجددة أحياناً صيغة جديدة لإعداد المعلم تسعى إلى بلوغها النظم التعليمية (الكلز، ١٢٣، ١٩٨٩).

وهذا التطور لن تصل إليه إلا إذا ارتفعت كفاءة معلمها وتطورت قدراتهم كي يتمكنوا من تحقيق آمالها في التقدم والتطور الذي تنشده هذه الأمة، ومن هنا كانت

مكانة المعلم لدى الأمم مكانة رفيعة جدا ، ولعل أرفع ما وصلت إليه هذه المكانة هو ما قررته الثقافة العربية الإسلامية عبر تاريخها الطويل تجاه المعلم، فقد احتل المعلم في التراث العربي الإسلامي مكانة عظيمة وهذا ما تضمنته العقيدة والقيم الدينية التي تنتمي إليها الأمة العربية وتفتخر بها بصفاتها قيما إنسانية حضارية لا تقتصر على عرف أو جنس أو لون (صقيل، ٢٠٠١، ص٢٥).

إن المعلم الكفو المعد إعدادا أكاديميا ومهنيا هو الذي يؤدي إلى نجاح العملية التربوية ويوجه مساره؛ لذا اهتمت جميع دول العالم بإعداد المعلم وتأهيله وتدريبه للعمل في مختلف مستويات التعليم (مراد، ١٩٨٢، ص٣٩).

ولكي يتمكن المعلم من أداء مهامه ومسؤولياته بوصفه منظما للتعلم وميسرا ومعززا ومرشدا لعملياته وخبراته، يحتاج إلى العديد من الكفايات الأدائية وهي: الكفايات المرتبطة مباشرة بتنظيم التعلم ولها علاقة بالأهداف والمحتوى والأنشطة والتقييم والكفايات المساندة أو الكفايات غير التعليمية (جامعة القدس المفتوحة، ١٩٩٥ ص٤١٨).

وهذه الكفايات التي يطمح التربويون في أن تتوفر لدى المعلم الجيد ويمكن ملاحظتها أو قياسها، وتجعله قادر على تحقيق أهدافه التعليمية أو التربوية على أفضل صورة ممكنة، والتي يظهرها في أدائه الصفي والذي هو محصلة لمجموعة السلوكيات والمهارات التي يظهرها المعلم داخل الصف الدراسي (السعيد والسيد، ١٩٩٢، ص٢٤٥).

وفي ضوء الأهداف العامة لتربية المعلمين فمن المتوقع أن يمتلك المعلمون العديد من الكفايات التعليمية الأدائية، على اعتبار أن مهنة التعليم تشكل نظاما يتكون من أربعة عناصر رئيسة، ولكل عنصر وظيفة وتفاعلات مع بقية العناصر، والعناصر هي التخطيط في ضوء فلسفة التربية وأهدافها، والمنهاج الذي هو مجموعة من الخبرات، وتنفيذ المنهاج وتقييم نتائج التعلم (مرعي وآخرون ١٩٨٦، ص٣٦-٤٠).

وهناك تصنيف كاري (cary, 1980, p6-8) للكفايات اللازمة للمعلم وصنفت

إلى ثلاثة أنواع هي:

(١) الكفايات المعرفية knowledge competencies وهي التي تشير إلى السلوكيات التدريسية كما تؤدي فعلا في حجرة الدراسة، أي أنها تحدد المهارات والعمليات التدريسية التي يتوقع أن يظهرها المعلم، ونظرا لأن الكفايات الأدائية تعالج العمليات التي تمارس في حجرة الدراسة، فإن أسلوب القياس الملائم لها هو ملاحظة ما يحدث من المعلم داخل حجرة الدراسة.

(٢) الكفايات الإنتاجية consequence competencies وهي التي تشير إلى مخرجات التلميذ (تحصيله، مهاراته، اتجاهاته) التي تنتج من خلال استخدام المعلم لعدد كبير من الكفايات المعرفية والأدائية ويمكن أن تكون على شكل سلوكيات محتوى أو عمليات، ويتم قياسها عادة باستخدام الاختبارات التحصيلية المقننة، أما تلك الكفايات التي تتضمن عمليات فإنها تثير أحاسيس التلاميذ واتجاهاتهم التي سببها المعلم، ويتم قياس الكفايات الإنتاجية المرتبطة بالعمليات من خلال ملاحظة سلوكيات التلاميذ في حجرة الدراسة.

ويتشابه معلم اللغة الإنجليزية مع غيره من المعلمين في الكفايات العامة اللازمة به حتى يستطيع القيام بعمله، ويحقق تحديد هذه الكفايات فائدة للمعلم وللمشرفين عليه، أما الفائدة للمعلم فتأتي من حيث أن الكفايات تشكل المعايير التي تحدد مدى إتقان المعلم لعمله وتساعد على تقويم نفسه ذاتيا، أما الفائدة بالنسبة للمشرفين فإنها تحدد لهم المعارف والمهارات والاتجاهات التي ينبغي أن يتم تدريب المعلم عليها في مرحلة الإعداد الأولي للمهنة قبل الخدمة والذي يحتاج إلى مزيد من المعرفة والتدريب فيها أثناء الخدمة مما يساعدهم على تقييم برنامج إعداد المعلمين.

وأشارت (جامعة القدس المفتوحة، ١٩٩٥، ص ٤٢٢-٤٢٩) على الكفايات المهنية الخاصة بالمعلم وهي :

- الكفايات المهنية في المجال المعرفي (المادة الدراسية).
- الكفايات المهنية للمعلم في مجال التخطيط :
- تحليل الأهداف العامة للمقرر.
- تحديد الأهداف والتوفيق بينهما وبين أساليب التدريس والتقويم .
- تحديد الحقائق والمفاهيم والتعميمات والمهارات والاتجاهات

- تحديد الوسائل والأساليب التي يتطلبها المقرر، وكذلك الأنشطة التربوية.
 - تقسيم الدرس إلى أقسام مع المحافظة على وحدة الدرس وربط كل قسم بخبرات التلاميذ من خلال عملية التقويم المستمرة.
- ٣) الكفايات المهنية في مجال أساليب التدريس:
- القدرة على اختيار الطريقة الملائمة لكل موقف تعليمي.
 - القدرة على تطبيق أساليب البحث العلمي المناسبة.
 - القدرة على ربط الموضوعات بحياة التلاميذ.
 - القدرة على تدريب التلاميذ على العمل الجماعي في المدرسة والبيئة المحلية.
 - القدرة على تدريب التلاميذ على مهارات القراءة والفهم والاستماع والمناقشة والنقد وقراءة الإشكال والرسوم البيانية والخرائط.
- ٤) الكفايات المهنية في مجال التقويم:
- الربط بين التقويم وأهداف الدرس.
 - بناء الاتجاهات والقيم لدى التلاميذ.
 - تقويم المهارات الخاصة مثل القراءة والاستماع ... ومهارات التفكير مثل النقد والاستنتاج وإدراك العلاقات
 - إعداد الاختبارات التي تتفق مع طبيعة الموضوعات بالإضافة إلى اختيار أساليب التقويم الملائمة مثل الملاحظة والمقابلة والاختبارات بأنواعها.
 - تقويم المناهج والكتب الدراسية الخاصة بالموضوعات، ويؤكد (الزهراني، ١٤١٥هـ ص ٣٨٩-٣٩٠) على ثلاثة مجالات لعملية تقويم التدريس:
 - مدخلات عملية التدريس: وتشمل المعلم والتلاميذ والإدارة المدرسية والمنهج والبيئة الصفية والبيئة المدرسية، والخدمات والمواد المساعدة.
 - عمليات التدريس: وتشمل العمليات التحضيرية مثل اختيار وتحديد الأهداف، وتحضير أنشطة التعليم والتعلم وتحضير الوسائل التعليمية، وتحضير الطرق والإجراءات للدرس وتحضير واختيار أساليب التقويم كما تشمل العمليات التنفيذية مثل استخدام أنشطه التعليم والتعلم، واستخدام

الوسائل والمواد التعليمية وتوجيه التلاميذ وضبطهم وإدارة الصف وتقويم التعلم.

- نتائج التدريس ومخرجاته: وتشمل تقويم نتائج عملية التدريس بجوانبها المختلفة المعرفية والمهارية والوجدانية.

الدراسات السابقة :

دراسة مبارك ١٩٩٠:

هدفت إلى تحديد الكفايات المتعلقة بإنتاج الوسائل التعليمية واختيارها واستخدامها والواجب توفرها لدى الطلاب المعلمين في تخصصي التاريخ والجغرافية بكلية التربية جامعة الأزهر، والكشف عن الفروق الإحصائية في أداء أفراد العينة لكفايات إنتاج الوسائل واختيارها واستخدامها، وقد توصلت الدراسة إلى تحديد الكفايات العامة لإنتاج الوسائل التعليمية واختيارها، وتحديد الخطوات اللازمة لتنفيذ مخطط إنتاج الوسيلة واستخدامها في الموقف التعليمي، وأن يراعي المعلم في اختيار الوسيلة مناسبتها للمستوى العمري والعلمي للتلاميذ وسهولة الاستخدام ومراعاة الزمن ومكان العرض، وعدد التلاميذ في الصف، كما يتطلب من المعلم إشراك التلاميذ في استخدام الوسيلة وتشجيعهم على المناقشة والنشاط الهادف أثناء عرض الوسيلة واستخدامها كما أشارت النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي أداء أفراد العينة من الطلاب المعلمين في شعبي التاريخ والجغرافية لصالح طلاب الجغرافية، وقد أوصت الدراسة بضرورة استخدام التقنيات الحديثة مثل التدريس المصغر وأجهزة الفيديو لتدريب الطلاب المعلمين على الكفايات المتعلقة باستخدام الوسائل التعليمية.

دراسة الديني ١٩٩٦

هدفت الدراسة إلى بناء استمارة لتقويم أداء الطلاب المعلمين في التربية العملية لبرنامج بكالوريوس التربية الرياضية بجامعة البحرين وقد توصلت الباحثة إلى بناء استمارة تقويم تحتوي على مجموعة متنوعة من المهارات التدريسية موزعة على سبعة محاور رئيسية وهي:

- التخطيط للتدريس ويسهم في قياس ٢٠٪ من الدرجة الكلية للتقويم.
- تنفيذ خطة الدرس ويسهم في ٢٠٪ من الدرجة الكلية للتقويم .
- الكفاءة والإتقان في تدريس أجزاء الدرس ويسهم في ٢٥٪.
- أداء الموقف التعليمي العلمي ويسهم في ١٠٪.
- تقويم التعلم ويسهم في ١٠٪.
- شخصية الطالب المعلم والمامة العلمي ويسهم في ١٠٪.
- التفاعل مع البيئة المدرسية ويسهم في ٥٪.

وبعد تجريب الأداة على عينة البحث تبين إن محور الكفاءة والإتقان احتل المرتبة الأولى في الأهمية النسبية لتقويم الطالب المعلم بنسبة مقدارها ١٠٠٪ يليه في المرتبة الثانية محور تنفيذ الخطة والتدريس في الموقف التعليمي ٩٨,٩٪ ثم إدارة الموقف التعليمي ٩٨٪ واحتل التخطيط المرتبة الرابعة ٩٧٪ يليه تقويم التعلم ٩٦٪ ثم شخصية الطالب المعلم ٩٤٪ واحتل المرتبة الأخيرة محور التفاعل مع البيئة المدرسية، واعتبر البحث إن جميع النسب السابقة ذات أهمية عالية وتشير إلى اعتماد هذه المحاور كدعائم أساسية في عملية تقويم الطالب المعلم في التربية العملية.

دراسة النجاري ١٩٩٦

هدفت الدراسة إلى التعرف على كفايات التدريس المطلوب توافرها لدى معلمي التربية الفنية بالمرحلة الإعدادية، وقد تألف مجتمع الدراسة من معلمي التربية الفنية بالمرحلة الإعدادية بمدينة الرياض البالغ عددهم (١٣٠) وموجهي التربية الفنية البالغ عددهم (٨) موجهين واستخدمت النسب المئوية والتكرارات والمتوسطات الحسابية واختبار (T-test) لحساب الفروق والمقارنة بين عينتين، وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- يوجد اتفاق بين أفراد العينة في تحديد أهمية أكثر من ٥٠٪ من الكفايات التدريسية.
- يوجد اتفاق بين أفراد العينة بان معظم الكفايات التدريسية مهمة وأساسية لمعلم التربية الفنية.

- توجد فروق ذات دلالة إحصائية لوجهات نظر أفراد العينة بالنسبة لمتغير الوظيفة مع أربعة محاور هي الكفايات الأكاديمية، وكفايات التخطيط والإعداد وكفايات التنفيذ وكفايات ثقافية.

دراسة برديسي ١٩٩٦م

هدفت إلى تحديد الكفايات التربوية والتعليمية اللازمة لمعلمة اللغة الإنجليزية بالمرحلة المتوسطة بالمملكة العربية السعودية وتحديد الفروق في وجهات النظر بين المشرفات والمعلمات للغة الإنجليزية في الكفايات التي يتم تحديدها وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- تقديم المادة الجيدة للدرس من حيث صحة ووضوح الدرس وتدعيم معاني الكلمات بالوسائل.
- استخدام الوسائل التعليمية المناسبة وتنويعها لتناسب وموضوع الدرس.
- إعطاء التلاميذ فرصة لاستخدام المادة الجديدة بعد شرحها فرديا أو في جماعات وتنويع الأنشطة من خلال العمل الثنائي واستخدام الألعاب.
- تخطيط الدرس بشكل سليم وتحقيق أهدافه.
- القدرة على إدارة الفصل.
- استخدام اللغة الإنجليزية استخداما سليما من حيث صحة النطق والتمكن من قواعد اللغة.
- ضرورة تحديد المقررات الخاصة ببرامج الإعداد التربوي ومقررات اللغة الإنجليزية وطرق تدريسها تحديدا إجرائيا حتى نضع أساسا علميا لاختيار مفردات المقررات وأساليب التدريس والتدريب وبناء وسائل التقييم الموضوعي.
- الاهتمام بمعامل اللغة لتنمية المهارات اللغوية.

دراسة هاني ٢٠٠٠م :

هدفت الدراسة إلى الكشف عن صعوبات تدريس اللغة الإنجليزية في المدارس الحكومية بالأردن من وجهة نظر المعلمين تكونت عينة الدراسة من (١٨٢) معلما ومعلمة وتكونت الأداة من استبانة تتكون من (٥٧) فقرة مقسمة إلى مجالين هم الكتب المدرسية وتحتوي (٤٠) فقرة والنشاطات تحتوي على (١٧) فقرة ، وبعد تطبيق

الأداة أظهرت النتائج أن اهتمام المتعلم ببيئته لم تؤخذ بعين الاعتبار عند تأليف الكتب المدرسية والصفوف التي بها أعداد كبيرة من الطلاب أيضا لم تؤخذ بعين الاعتبار.

دراسة محمد وصبري ٢٠٠٠

هدفت الدراسة للتعرف على مستوى أداء خريجي كلية المعلمين بالباحة قبل وبعد ممارستهم لمهنة التدريس واتجاهاتهم نحو المهنة، وقد اقتصرنا على عينة من خريجي كلية المعلمين الذين يعملون بالتدريس واستخدمت بطاقة ملاحظة لقياس مهارات التدريس لدى طلاب قبل التخرج أعدها القسم لقياس أداء المتدرب في تحضير الدرس وتنفيذها كما استخدم مقياس لقياس الاتجاه نحو مهنة التدريس أعده الباحثان، وأشارت النتائج عن فروق ذات دلالة إحصائية بين اتجاه خريجي كلية المعلمين بالباحة قبل وبعد التخرج لصالح المعلمين بعد ممارستهم لمهنة التدريس، بينما لم توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أداء الطلاب والدارسين قبل وبعد التخرج كما لم تشير النتائج إلى وجود فروق دالة إحصائية بين أداء معلمي التخصصات العلمية ومعلمي التخصصات الأدبية قبل وبعد التخرج.

دراسة الكبير وآخرون ٢٠٠٢

هدفت إلى بناء قائمة بالكفايات التخصصية لمعلم اللغة الإنجليزية في مرحلة التعليم الأساسي والتعرف على درجة ممارسة معلمي ومعلمات اللغة الإنجليزية لهذه الكفايات وتحديد الفروق وفقاً لمتغيرات الجنس والخبرة والمؤهل الدراسي، وتكونت عينة الدراسة من (٢٧٠) معلم ومعلمة في الجمهورية اليمنية. ودلت نتائج الدراسة أن:

- تقدير معلمي ومعلمات اللغة الإنجليزية لخمس كفايات من بين (٥٢) كفاية كانت بدرجة عالية.
- وجود فروق ذات دلالة إحصائية في تقديرات معلمي ومعلمات اللغة الإنجليزية لدرجة ممارسة الكفايات لصالح الذكور.
- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في التقديرات تعزى للمنطقة والخبرة والمؤهل الدراسي.

دراسة المطوع ٢٠٠٣

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على آراء المعلمين حول الصعوبات التي تواجه تطبيق الطريقة التواصلية في تدريس اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية في مدارس دولة الكويت وتكونت العينة من (٤٤٠) من معلمي الابتدائية والمتوسطة والثانوية، تم اختيارهم عشوائياً واستخدم الاستبيان كأداة للدراسة مكونة من ٣١ فقرة مقسمة على أربعة مجالات، وتوصلت الدراسة إلى النتائج التي تؤكد أن الغالبية يرون صعوبة في اتباع الطريقة المذكورة وأنهم يرون عدم مناسبتها في ظل الإمكانيات المتوافرة وطبيعة العملية التعليمية والتعلمية، كما وجدت فروق جوهرية تتعلق بجنسية المعلم والمرحلة التي يتم التدريس فيها.

دراسة خزعلي ومومني ٢٠١٠ :

هدفت الدراسة لمعرفة مدى امتلاك معلمات المرحلة الأساسية الدنيا في المدارس الخاصة لمنطقة إربد بالأردن للكفايات التدريسية من وجهة نظرهن في ضوء متغيرات المؤهل العلمي وسنوات الخبرة والتخصص، ولتحقيق هدف الدراسة تم اختيار عينة مكونة من (١٦٨) معلمة. وقد أظهرت نتائج الدراسة أن:

- أبرز الكفايات التدريسية التي تمتلكها المعلمات هي: استغلال وقت الحصة بفاعلية واستخدام الأسلوب التدريسي الملائم للموقف التعليمي وصياغة الأسئلة التقويمية بطريقة واضحة ومحددة وجذب انتباه الطلبة والمحافظة على استمراريته.
- عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في درجة امتلاك المعلمات للكفايات التدريسية تعزى لمتغير المؤهل العلمي والتخصص.
- توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة امتلاك المعلمات للكفايات التدريسية تعزى لسنوات الخبرة ولصالح المعلمات ذوات الخبرة التي تزيد عن (٦ سنوات).

الدراسات الأجنبية :

دراسة فراנקل (1995, fraenkel) :

هدفت إلى ملاحظة الأداء التدريسي لعينة من معلمي الدراسات الاجتماعية داخل صفوف المرحلة الثانوية في خمس دول مختارة هي أستراليا وكوريا ونيوزيلندا وبولندا، حيث تم تحديد أهم الصفات الشخصية المميزة للمعلمين ذات التأثير على مستوى تحصيل الطلاب ونشاطهم داخل الصف ومدى انضباطهم وحبهم أو كرههم للدرس وقد توصلت الدراسة إلى وضع قائمة بالصفات الشخصية المميزة للمعلم مثل القدرة على شرح الأفكار بوضوح ودقة استخدام طرائق تدريس وأنشطة متنوعة وحث التلاميذ على التفكير والتعبير عن أفكارهم بحرية.

دراسة كارين وآخرون (1993, caryn,et.al) :

هدفت الدراسة إلى تقييم تعلم الطلبة في مختلف الجوانب داخل الصفوف بجنوب كارولينا وذلك باستخدام أدوات متنوعة، مثل بطاقة ملاحظة وقوائم الاختبارات والقصص الشيقة ونماذج من أعمال وعروض التلاميذ وقد أشارت الدراسة إلى الاستقبال الإيجابي من قبل المعلمين لطرائق تقييم التعلم المفتوحة في الدراسة بعد أن قاموا بأنفسهم باختيار فاعلية هذه الاستراتيجيات في التقييم من خلال سلم تقدير الدرجات المرفق منها.

دراسة اودري وآخرون (1992, Audry,et.al) :

هدفت إلى تقييم الأداء التدريسي وعملية التعلم -دعوة للنقاش - فقد نوقشت في هذه الدراسة إشكال وصيغ متعددة لتقييم مخرجات النظام حيث اتضح من خلالها أهمية التقييم في تطوير عملية التعلم عن طريق تقديم قاعدة من المعلومات للمعلمين الذين يخططون لعملية التعلم وكذلك إلى أولياء التلاميذ ورأسمي السياسات التربوية، وقد توصلت الدراسة إلى وضع مجموعة من النماذج تتضمن استراتيجيات لتقييم الأداء التدريسي وعملية التعلم باستخدام تقنية الفيديو والكمبيوتر التي تعتمد على التقييم الذاتي للتدريبات الحركية والمهارات المختلفة مثل القراءة والكتابة والرسم وتقييم التعلم في الموضوعات ذات الاختصاصات المتداخلة كما في الدراسات الاجتماعية والعلوم.

دراسة تومالا (Tomala, et.al,1991) :

هدفت الدراسة إلى تقييم أداء المعلمين في مركز التدريب بمدينة كوتكيتكوت الأمريكية، وقد صممت أداة مطورة لتقييم انجاز المعلمين تعتمد على تحديد المهارات التدريسية الملاحظة والمدونة من قبل المعلمين نتيجة للخبرات التي اكتسبها داخل الصف، وقد أوضحت نتائج الدراسة أن مستوى إنجاز المعلمين للمهارات التدريسية يتحسن نتيجة لزيادة الخبرات التي يكتسبونها داخل الصف.

تعقيب على الدراسات السابقة:

يتضح من خلال العرض السابق للدراسات والبحوث أنها تناولت مجالين هما: المجال الأول: البحوث والدراسات التي اهتمت بتحديد وتشخيص الكفايات التدريسية الأساسية في إعداد وتدريب المعلمين والاتجاهات الحديثة في هذا المجال، ومن أهم ما أجمعت عليه هذه الدراسات ما يلي:

- الاهتمام بتتمية ثقافة المعلمين العلمية والتربوية من خلال برامج تدريب مستمرة في أثناء الخدمة.
 - إكساب المعلمين المهارات لتحديد واستخدام الوسائل التعليمية لبلوغ أهداف الدرس.
 - إكساب المعلمين مهارة تحديد وتوجيه الأسئلة الصفية في المستويات العليا في التفكير تشمل مختلف المجالات المعرفية والوجدانية والمهارية.
 - تدريب المعلمين على كفايات الإدارة الصفية الناجحة عن المواقف التعليمية المختلفة بالاعتماد على المشاركة الفاعلة من قبل التلاميذ.
- المجال الثاني: وقد تضمن هذا المجال عملية تقييم الأداء الصفّي للمعلمين في مختلف مراحل الدرس التخطيط، التنفيذ، التقييم ومن أهم ما اجتمعت عليه هذه الدراسات من نتائج ما يلي:
- انخفاض مستوى أداء المعلمين غير المؤهلين تربوياً.
 - انخفاض مستوى أداء معلمي اللغة الإنجليزية في مهارات الإدارة الصفية وتوجيه أسئلة التفكير العليا مثل حل المشكلات وإبداء الرأي والحكم على الأشياء والأحداث.

- أهمية تنوع أدوات التقييم والتأكد من مواصفاتها الأساسية الصدق، والموضوعية، والثبات.

إجراءات البحث :

- (١) منهج البحث: اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي لملائمته لأغراض البحث.
- (٢) مجتمع البحث: وتكون مجتمع الدراسة من معلمي ومعلمات اللغة الإنجليزية في المدارس الإعدادية في مدينة المكلا البالغ عددهم (١٤٠) معلما ومعلمة، منهم (٦٠) معلما و(٨٠) معلمة للعام الدراسي (٢٠١٣/٢٠١٤)، والجدول رقم (١) يوضح ذلك:

جدول رقم (١) برنامج إحصائيات المجتمع الأصلي للبحث

الإجمالي	المعلمين		المديرية
	إناث	ذكور	المكلا
١٤٠	٨٠	٦٠	

عينة البحث: العينة هي نموذج يشمل جانبا أو جزءا من وحدات المجتمع المعني بالبحث وممثلة بحيث تحمل صفاته المشتركة؛ وتم اعتماد (١٢٠) معلم ومعلمة عينة للبحث، و(٢٠) عينة استطلاعية لحساب ثبات الأداة. والجدول رقم (١) يبين عدد أفراد العينة حسب الجنس وسنوات الخبرة.

عينة الدراسة حسب الجنس وسنوات الخبرة

العدد	الجنس
٥٠	ذكور
٧٠	إناث
١٢٠	المجموع
العدد	عدد سنوات الخبرة
١٠	أقل من ٥ سنوات
٣٠	من ٥-٧ سنوات
٣٥	من ٧-١٠ سنوات
٤٥	من ١٠ سنوات فأكثر
١٢٠	المجموع

أداة البحث: لتحقيق أهداف البحث تم استخدام الاستبانة والغرض منها معرفة وتحديد الكفايات التدريسية، وتم بناء أداة البحث من خلال:

- تحليل العديد من المراجع التربوية في طرق تدريس اللغة الإنجليزية.
 - الاطلاع على البحوث والدراسات السابقة التي أجريت في هذا المجال والمصممة لهذا الغرض وهو الكفايات التدريسية لأداء المعلمين.
 - تحديد الأبعاد التي تكوّن في مجموعها أداة البحث من خلال الاطلاع على الأدوات والمقاييس التي تحدد مجالات الكفايات التدريسية ومجالاتها.
- وفي ضوء البيانات والمعلومات المذكورة أعلاه ثم تصميم الاستبانة في صورتها الأولية، والتي تكونت من قسمين القسم الأول: معلومات عامة تتعلق بمعلمي اللغة الإنجليزية وهي الجنس، المؤهل، الخبرة التدريسية. بينما القسم الثاني يشمل على مجموعة الكفايات وهي (٣٤) كفاية وزعت على محاور الاستبانة الأربعة وهي:

- مجال التخطيط للدروس من رقم (١ - ٥)
- مجال تنفيذ خطه الدرس من (٦ - ٢٤).
- مجال الإدارة الصفية من (٢٥ - ٢٩).
- مجال شخصية المعلم من (٣٠ - ٣٤).

وقد وضع لكل كفاية سلم خماسي متدرج حسب مقياس ليكرت لتقدير درجة أداء الكفاية بدءاً من (منفذ بدرجة كبيرة جداً) ولها (٥) درجات، ثم (منفذ بدرجة كبيرة) ولها (٤) درجات، ثم (منفذ بدرجة متوسطة) ولها (٣) درجات، و (منفذ بدرجة ضعيفة) ولها درجتان، و (غير منفذ) ولها درجة واحدة.

صدق الأداة: لكي تصبح الاستبانة المصممة أداة علمية تتسم بالموضوعية والدقة ثم الاعتماد على الصدق المنطقي الاستدلالي الذي يتناول مفردات الاستبانة وكيفية صياغتها وذلك بعرضها على مجموعة من المحكمين من ذوي التخصص (اللغة الإنجليزية) والمتخصصين في المناهج وطرائق التدريس والتقييم والقياس ... إلخ بهدف التأكد من صدق محتوى الاستبانة بالنسبة للغرض الذي وضعت من أجله، وقد تم التأكد من صدق محتوى الاستبانة استناداً إلى إجماع المحكمين حيث اتفق أكثر من ٨٦٪ من المحكمين على جميع فقرات الاستبانة ومجالاتها بعد أن عدلت بعض الفقرات

والمجالات والأخذ بالاعتبار الملاحظات المقترحة من قبل بعض المحكمين، كما تم حساب معامل الارتباط بين مجالات الاستبانة الستة وكانت قيماً موجبة ودالة إحصائياً عند مستوى دلالة (٠,٠٥) مما يشير إلى صدق الاستبانة في قياسها لأداء معلمي و معلمات اللغة الإنجليزية وأصبحت الاستبانة في صيغتها النهائية متكونة من (٣٤) فقرة موزعة على أربعة مجالات كما ذكر سابقاً.

ثبات الاستبانة: للتأكد من ثبات الاستبانة ثم تطبيق لاستبانة على عينة استطلاعية من معلمي اللغة الإنجليزية بلغ عددهم (٢٠) معلماً ومعلمة (١٠) ذكور و (١٠) إناث، ثم أعيد تطبيق الاستبانة على المجموعة نفسها بعد أسبوعين بدون إعلامهم مسبقاً وبعد حساب الدرجات الكلية لأداء المعلمين في كلتا التجربتين استخدم معامل ارتباط (بيرسون) كأسلوب إحصائي للتوصل إلى معامل ثبات الاستبانة وكان تقدير النتيجة مقبولاً لأغراض الدراسة أي أن معامل الثبات (٠,٩٠) وهو جيد ومقبول.

وقد تم حساب معامل الاتساق الداخلي لعبارات الاستبانة المكونة من (٣٤) فقرة بطريقة الفاكرونباخ وقد كان (٠,٩٧) وهو ثبات مرتفع ذو دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) وجيد لأغراض البحث، وهو يدل على أن الاستبانة تقيس ما يفترض أن تقيسه. بالإضافة إلى حساب قيم عبارات محاور الاستبانة حيث بلغ معامل الاتساق الداخلي لثبات محور التخطيط للدرس (٠,٩٤) ومعامل الاتساق الداخلي لثبات محور تنفيذ خطة الدرس (٠,٩٦) ومعامل الاتساق الداخلي لثبات محور الإدارة الصفية (٠,٨٧) ومعامل الاتساق الداخلي لثبات محور شخصية المعلم (٠,٩٢)؛ وبالتالي يمكن القول إنها معاملات مرتفعة ذو دلالة إحصائية جيدة لأغراض البحث ويمكن الاعتماد عليها في تعميم النتائج ويتضح من الجدول رقم (٢) ذلك:

جدول رقم (٢) ثبات عبارات المحاور بطريقة الفاكرونباخ

المحور	قيمة الثبات
التخطيط للدرس	٠,٩٤
تنفيذ خطة الدرس	٠,٩٦
الإدارة الصفية	٠,٩٨
شخصية المعلم	٠,٩٢

تطبيق الاستبانة على عينة البحث : تم تطبيق الاستبانة على أفراد العينة في المدارس الإعدادية في مدينة المكلا ، ثم تم تصحيح الاستبانات وفق المقياس الخماسي وحسب الأوزان وأصبح لكل استمارة درجة خاصة بكل معلم.

الوسائل الإحصائية المستخدمة: تم الاستعانة بالحزمة الإحصائية للعلوم (spss) في تحليل البيانات وذلك للحصول على نتائج أكثر دقة ، حيث تم إدخال البيانات إلى ذاكرة الحاسوب بعد تصحيح الاستمارات وفق المقياس الخماسي ومن أهم الوسائل الإحصائية التي استخدمت في البحث هي:

- معامل سبيرمان براون ومعامل الفاكرونباخ وذلك لاختبار ثبات أداة البحث.
- المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والوزن المتوي لاستجابات عينة الدراسة.
- اختبار (T.test) لعينتين مستقلتين لاختبار الفروق بين المتوسطات.
- تحليل التباين الأحادي لاختبار الفروق بين المتوسطات.

تحليل نتائج البحث: هدف البحث للتعرف على الكفايات التدريسية لمعلمي اللغة الإنجليزية في المرحلة الإعدادية كما يعكسها تقويم الأداء الصفي وأثر كل من الجنس والتأهيل والخبرة التدريسية لدى معلمي اللغة الإنجليزية ، ولتحقيق هدف الدراسة تم تطبيق أداة على عينة الدراسة البالغ عددهم (١٢٠) معلم ومعلمة وتم تحليل البيانات للحصول على النتائج اللازمة للإجابة على أسئلة الدراسة:

السؤال الأول الذي ينص على: ما ترتيب الكفايات التدريسية لمعلمي اللغة الإنجليزية في المرحلة الإعدادية كما يعكسها الأداء الصفي لمعلمي هذه المرحلة؟

للإجابة على هذا السؤال تم عرض النتائج المتعلقة بترتيب الكفايات واستخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والوزن المتوي للكفايات التدريسية مرتبة ترتيبا تنازليا والجدول رقم (٣) يبين ذلك.

جدول رقم (٣) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والوزن المئوي حسب مجالات الكفايات التدريسية مرتبة ترتيباً تنازلياً

الترتيب	الوزن المئوي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الكفايات
١	٩٨,٨%	٠,٧٧٨	٤,٩٤	التخطيط للدرس
٢	٧٩,٢%	٠,٥٨٥	٣,٩٦	تنفيذ خطة الدرس
٣	٥٩,٤%	٠,٤٨٩	٢,٩٧	الإدارة الصفية
٤	٥٧,٨%	٠,٦٣٧	٢,٨٩	السمات الشخصية للمدرس

يتضح من الجدول رقم (٣) أن أعلى المتوسطات الحسابية هو (٤,٩٤) للتخطيط للدرس حيث جاء بالمرتبة الأولى من بين المجالات الأربعة والوزن المئوي (٩٨,٨) وهي نسبة عالية، ثم تأتي كفاية تنفيذ خطة الدرس في المرتبة الثانية حيث حصلت على المتوسط الحسابي (٣,٩٦) ووزن مئوي (٧٩,٢%) وهي نسبة عالية أي قريبة من ٨٠٪، أما كفاية الإدارة الصفية فحصلت على متوسط حسابي (٢,٩٧) ووزن مئوي (٥٩,٤%) وهي نسبة متوسطة، ثم تأتي سمات شخصية المدرس فحصلت على (٢,٨٩) ووزن مئوي (٥٧,٨%) وهو وزن متوسط واحتل المرتبة الأخيرة.

ولمزيد من التفصيل سوف نعرض فقرات كل كفاية تدريسية يقوم بها معلمو اللغة الإنجليزية كما يعكسها التقويم الصفي بعد استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد العينة عن كل فقرة من فقرات الاستبانة تبعاً للمجال الذي أدرجت تحته، كما تم استخراج الوزن المئوي لكل فقرة في كل مجال من الكفايات التدريسية.

أولاً: المجال الأول (كفايات التخطيط للدرس)

جدول رقم (٤) : يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والوزن المئوي لكفايات المجال

الأول - التخطيط للدرس

الوزن المئوي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العبرة
٩٥,٢%	٠,٤٣٠	٤,٧٦	تحديد الوسائل والموارد التعليمية المناسبة والأنشطة التعليمية المصاحبة.

يشترك أهداف سلوكية متنوعة (معرفية، مهارة، وجدانية).	٤,٥٦	٠,٥٥٦	٩١,٢٪
يشترك الأهداف السلوكية ويصوغها بدقة ووضوح.	٤,٤٠	٠,٦٤٥	٨٨,٢٪
تحديد خبرات الدرس وفقا للأهداف بصورة دقيقة ومناسبة لقدرات الطلبة والزمن المخصص	٤,٣٦	٠,٦٩١	٨٧,٢٪
تحديد إجراءات تقويم التعلم وفقا للأهداف	٤,١٦	٠,٦٥٥	٨٣,٢٪

يتبين من الجدول رقم (٤) أن كفاية تحديد الوسائل والمصادر التعليمية والأنشطة المصاحبة احتلت المرتبة الأولى حيث حصلت على (٤,٧٦) متوسط حسابي و(٩٥,٢%) وزن مئوي، وهذا يدل على تقدير أفراد العينة لأهمية الوسائل التعليمية اللازمة في التخطيط للدرس في اللغة الإنجليزية، بينما احتلت تحديد إجراءات تقويم التعلم وفقا للأهداف المرتبة الأخيرة حيث حصلت على متوسط حسابي (٤,١٦) ووزن مئوي (٨٣,٢%)، وهذا ما يشير إلى نقص خبرة المعلمين في التخطيط على تحديد الأسئلة التقويمية الخاصة بالدرس وارتباطها بأهداف المرحلة التعليمية.

ثانياً: المجال الثاني (تنفيذ خطة الدرس)

جدول رقم (٥): يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والوزن المئوي لكفايات المجال

الثاني - تنفيذ خطة الدرس.

الوزن المئوي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العبرة
٩٩,٢٪	٠,١٩٩	٤,٩٦	يستخدم السبورة لتسجيل العناصر الأساسية في الدرس
٩٩,٢٪	٠,٢٢٨	٤,٩٥	يستخدم الكتاب المدرسي كوسيلة تعليمية لتوضيح بعض المعلومات وتثبيتها
٩٧,٢٪	٠,٤٠٥	٤,٨٦	يجري التهيئة المناسبة لتقبل الطلاب المعلومات الجديدة للدرس (توجيه أسئلة للطلاب ويثير لديهم روح المشاركة)
٩٥,٢٪	٠,٤٦٢	٤,٧٦	يستخدم أساليب وطرق مناسبة تبعاً للخبرات والمهارات المتقدمة (قراءة، لفظ، استقراء، استنتاج... إلخ)
٩٣,٢٪	٠,٤٧٦	٤,٦٦	يستخدم الأدوات والأجهزة والوسائل البصرية لتحقيق الأهداف.
٩١,٢٪	٠,٥١٣	٤,٥٦	يكلف الطلاب ببعض الأعمال والنشاطات للقيام بها بعد الدرس

٨٨,٢٪	٠,٤٩٤	٤,٤١	يراعي التدرج والتسلسل في تقديم الخبرات وتعلم المهارات
٨٧,٦٪	٠,٥١٦	٤,٣٨	يوجه أسئلة تستثير التفكير وترتبط بالأهداف الموضوعية
٨٧,٢٪	٠,٥١٩	٤,٣٦	يوجه أسئلة متنوعة تشمل مختلف مجالات التعلم المعرفية، المهارية، الوجدانية
٨٢,٨٪	٠,٣٤٤	٤,١٤	يشرك أكبر عدد ممكن من الطلبة في عملية التفاعل الحواري
٨٢,٤٪	٠,٤١٦	٤,١٢	يستخدم الوسائل التعليمية المناسبة في إيضاح وتثبيت المعلومات
٨١,٤٪	٠,٤١٦	٤,٠٧	يشرك الطلاب في استخدام الوسائل والأدوات المناسبة للدرس
٧٧٪	٠,٦٦٧	٣,٨٥	يوضح المبادئ والمفاهيم ويفسرها ويقدم الأمثلة لإيضاحها
٧٦,٢٪	٠,٦٩٦	٣,٨١	يراعي الترابط والتدرج في تدريسه لقواعد اللغة الإنجليزية
٧٤,٦٪	٠,٦٨٢	٣,٧٣	يشجع الطلاب على التعلم التعاوني ويشترك معهم
٧٠,٦٪	٠,٦٦٧	٣,٥٣	تشجيع الطلبة على (التقويم الذاتي وتقويم أداء زملائهم)
٦٨,٢٪	,٦٨١	٣,٤١	يستخدم التقويم المرحلي (التكويني) وفقا للأهداف
٥٧,٨٪	٠,٨٥٣	٢,٨٩	يجري عملية المقارنة وتحديد العلاقات بين الأفكار والمعلومات المختلفة

يتبين من الجدول رقم (٥) أن كفاية استخدام السبورة لتسجيل العناصر الأساسية احتلت المرتبة الأولى حيث حصلت على متوسط حسابي (٤,٩٦) ووزن مؤوي (٩٩,٢)٪، وهي نسبة عالية على مستوى الأداء مما يشير إلى استخدام السبورة كوسيلة تعليمية شائعة الاستخدام لتسجيل العناصر الرئيسية للدرس وتوضيح بعض الأفكار، بينما احتل التقويم الذاتي والتكويني المراحل الأخيرة حيث حصلت على وزن مؤوي (٧٠,٦)٪ (٦٨,٢)٪ في درجة تنفيذ خطة الدرس عند المعلمين، وهذا يعود لإهمال تدريب المعلمين على مهارة التقويم وأنواعه وإشكاله واستخدامه في الدورات التدريبية أثناء الخدمة لمعلمي اللغة الإنجليزية والتي تعد الأساس لإعداد المعلمين.

ثالثاً: المجال الثالث كفايات الإدارة الصفية

جدول رقم (٦) : يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والوزن المئوي لكفايات الإدارة الصفية

الوزن المئوي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العبارة
٩٧,٤%	٠,٣٧٩	٤,٨٧	يحافظ على النظام والانضباط داخل الصف
٩٥,٨%	٠,٤٣٠	٤,٧٩	يستثير دافعية الطلاب ويعزز إجاباتهم الصحيحة ويحفزهم نحو التعلم
٩٣,٠%	٠,٥١٧	٤,٦٥	يتقبل ويتفهم أداء الطلاب ويناقشها بطريقة محببة
٧٧,٠%	٠,٥٥٦	٣,٨٥	يشجع الطلاب على التعاون الإيجابي واحترام بعضهم البعض
٦٩%	٠,٦٠١	٣,٤٥	يراعي الفروق الفردية بين الطلاب ويساعدهم على حل مشاكلهم

يتضح من الجدول رقم (٦) أن كفاية يحافظ على النظام والانضباط داخل الصف حصلت على المرتبة الأولى حيث حصلت على متوسط حسابي (٤,٨٧) ووزن مئوي (٩٧,٤%) مما يشير إلى اهتمام المعلمين بضبط الصف بالدرجة الأولى قبل التعلم. أما استثارة دافعية الطلاب وتعزيز إجاباتهم جاءت بالدرجة الثانية حيث حصلت على متوسط حسابي (٤,٧٩) ووزن مئوي (٩٥,٨%) مما يشير أيضاً إلى اهتمام المعلمين باستخدام التعزيز في ضبط سلوك المتعلمين وتوجيههم نحو التعلم والتأكيد على المتابعة والإشراف الفني عليها.

في حين احتلت كفاية مراعاة الفروق الفردية وحل المشكلات المرتبة الأخيرة حيث بلغ الوسط الحسابي (٣,٤٥) ووزن مئوي (٦٩%) مما يشير بوضوح إلى قلة استخدام المعلمين للطرائق الكشفية مثل أسلوب حل المشاكل الذي يقوم على نشاط التلاميذ وتدريبهم على التفكير العلمي وفقاً لقدراتهم واستعداداتهم الفردية.

رابعاً: المجال الرابع - كفايات السمات الشخصية للمعلم

جدول رقم (٧) : يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والوزن المثوي للكفايات لسمات

شخصية المعلم

الوزن المثوي	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	العبارة
٩٥,٤%	٠,٤٠٦	٤,٧٧	يتحدث بصوت واضح ويتنوع في نبرات صوته
٩٣,٦%	٠,٦١٥	٤,٦٨	يتصف بشخصية محببة وحيوية
٨٨,٦%	٠,٦٦٢	٤,٤٣	يستخدم اللغة الإنجليزية السليمة الواضحة
٨٦,٤%	٠,٦٨٤	٤,٣٢	يتصف بالثقة بالنفس وتحمل المسؤولية والالتزام
٨١,٤%	٠,٧٤٦	٤,٠٦	يتصف بثقافة عامة واسعة الاطلاع

يتضح من الجدول رقم (٧) أن كفاية التحدث بصوت واضح وتنوع نبرات الصوت قد احتلت المرتبة الأولى حيث بلغ متوسطة الحسابي (٤,٧٧) ووزن المثوي (٩٥,٤%) مما يشير إلى أهمية صوت المعلم في عملية الاتصال والتواصل بينه وبين تلاميذه وخاصة عند استخدام طرائق التدريس التقليدية باللغة الإنجليزية وعدم استخدام الأجهزة السمعية المختبرية والبصرية في لفظ الكلمات والعبارات في عرض المعلومات للتعلم.

كما أشارت النتائج إلى ضرورة استخدام اللغة الإنجليزية الصحيحة حيث حصلت على متوسط حسابي (٤,٤٣) ووزن مثوي (٨٨,٦) مما يشير إلى تأكيد استخدام اللغة الصحيحة في تدريس اللغة الإنجليزية والابتعاد عن استخدام اللغة العربية في دروس اللغة الإنجليزية مما يساعد الطلبة في الانتباه والمتابعة للتعلم.

السؤال الثاني: ينص السؤال الثاني على: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجة أداء معلمي اللغة الإنجليزية في المرحلة الإعدادية المؤهلين تربوياً وغير المؤهلين؟

للإجابة على هذا السؤال تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لجميع الكفايات التدريسية لمعلمي اللغة الإنجليزية المؤهلين وغير المؤهلين تربوياً كما يعكسها تقويم الأداء الصفي واستخدام الاختبار الإحصائي (T-test) لاختبار دلالة الفروق بين متوسطات محاور تقويم الأداء الصفي لمعلمي اللغة الإنجليزية المؤهلين وغير المؤهلين والجدول رقم (٨) يبين ذلك .

جدول رقم (٨): يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمحاور تقويم الأداء الصفي

لمعلمي اللغة الإنجليزية تبعاً للمؤهل التربوي

الكفايات	المؤهل	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة T الدرجة	الدلالة
التخطيط للدرس	مؤهل	٩٥	٤,٨٤	٠,٦١٥	٧,٨٦	دال
	غير مؤهل	٢٥	٤,٣٥	٠,٥٧٢		
تنفيذ خطة الدرس	مؤهل	٩٥	٤,٩٥	٠,٦٨٢	٥,٤٢٠	دال
	غير مؤهل	٢٥	٤,٨٠	٠,٦٠٧		
الإدارة الصفية	مؤهل	٩٥	٤,٨٧	٠,٥١٣	٤,٢٣٦	دال
	غير مؤهل	٢٥	٤,٧٦	٠,٦٣٨		
شخصية المدرس	مؤهل	٩٥	٤,٩٢	٠,٦٤٨	٦,٥١٢	دال
	غير مؤهل	٢٥	٤,٤٨	٠,٥٦٥		
الدرجة الكلية	مؤهل	٩٥	٤,٩٥	٠,٤٥٦	٥,٦٢٤	دال
	غير مؤهل	٢٥	٤,٢١٣	٠,٦٢٠		

يتضح من الجدول رقم (٨) وجود فروق داله إحصائياً عند مستوى (٠,٠٥) ولصالح المعلمين المؤهلين تربوياً في جميع محاور الكفايات الأربعة، حيث تعتبر قيمة (T) المحسوبة اكبر من قيمة (T) الجدولية. أي أن هناك فرقاً ذا دلالة إحصائية، أي يوجد فرق بين المعلمين المؤهلين تربوياً والمعلمين غير المؤهلين تربوياً، وتأكيد أهمية التأهيل التربوي لمعلمي اللغة الإنجليزية بصورة مستمرة ويؤكد رفع مستوى أدائهم لمهارات التدريس الرئيسية في اللغة الإنجليزية وتمكينهم من تحقيق أهداف الدرس بفاعليه أعلى.

السؤال الثالث: الذي ينص على: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسطات درجات أداء معلمي ومعلمات اللغة الإنجليزية في المرحلة الإعدادية حسب متغير الجنس.

للإجابة على هذا السؤال تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار (T.test) لاختبار دلالة الفروق بين قيم مجموعات المتوسطات الحسابية لاستجابة عينة الدراسة حول الكفايات التدريسية لدى معلمي اللغة الإنجليزية في المرحلة الإعدادية

كما يعكسها تقويم الأداء الصفي والتي يمكن أن تعزى إلى متغير الجنس والجدول رقم (٩) يبين ذلك.

جدول رقم (٩) : يبين نتائج اختبار (T) للكشف عن دلالة الفروق بين متوسطي عينة الدراسة نحو الكفايات التدريسية كما يعكسها الأداء الصفي حسب متغير الجنس

الكفايات	الجنس	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة T الحرجة	الدلالة
التخطيط للدرس	ذكر	٥٠	٤,١٩	٠,٦٢٣	٦,٨٦٢	داله
	أنثى	٧٠	٤,٤٨	٠,٥٨٠		
	المجموع	١٢٠	٤,٢٦	٠,٤٨٢		
تنفيذ خطة الدرس	ذكر	٥٠	٤,٩٧	٠,٥٥٤	٥,٩٦٤	داله
	أنثى	٧٠	٤,٨٣	٠,٤٤٦		
	المجموع	١٢٠	٤,٣٨	٠,٤٦٣		
الإدارة الصفية	ذكر	٥٠	٣,٧٣	٠,٦١٧	٤,٧٦٥	داله
	أنثى	٧٠	٤,٠٧	٠,٥٢٥		
	المجموع	١٢٠	٣,٦٦	٠,٥٦٤		
شخصية المدرس	ذكر	٥٠	٣,٨٨	٠,٤٧١	٥,٦١٨	داله
	أنثى	٧٠	٤,١٧	٠,٤٦٣		
	المجموع	١٢٠	٣,٧٧	٠,٥٦٧		

يتبين من الجدول رقم (٩) أن هناك فروقاً ذات دلالة إحصائية بين متوسطات مجالات الكفايات التدريسية وجميعها لصالح الإناث حسب المتوسطات الحسابية، وهذا يشير إلى أن الإناث أكثر حرصاً واهتماماً بالدرس وخطة التدريس وتنفيذها أكثر من الذكور وخاصة المؤهلات منهن أكثر من المؤهلين في تدريس اللغة الإنجليزية.

السؤال الرابع: والذي ينص على: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسطات الأداء الصفي لمعلمي اللغة الإنجليزية تبعاً لسنوات الخبرة التدريسية؟

للإجابة على هذا السؤال تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات عينة البحث حسب سنوات الخبرة التدريسية ويتضح ذلك بالجدول رقم (١٠)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد العينة لكل مجالات الكفايات

التدريسية حسب سنوات الخبرة

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العدد	سنوات الخبرة التدريسية	الكفايات
٠,٥٣٢	٣,٧٦	١٠	أقل من ٥ سنوات	التخطيط للدرس
٠,٥٧٢	٣,٧٩	٣٠	من ٥ - ٧ سنوات	
٠,٥٨٦	٤,٣٨	٣٥	من ٧ - ١٠ سنوات	
٠,٤٦٧	٤,٨٦	٤٥	من ١٠ سنوات فما فوق	
٠,٥٩٠	٤,٤٧	١٢٠	المجموع	
٠,٤٨٥	٣,٧٦	١٠	أقل من ٥ سنوات	التففيذ
٠,٥٣٦	٣,٨٢	٣٠	من ٥ - ٧ سنوات	
٠,٦٦٧	٤,٧٥	٣٥	من ٧ - ١٠ سنوات	
٠,٦٧٧	٤,٩٨	٤٥	من ١٠ فما فوق	
٠,٥٦٨	٤,٨١	١٢٠	المجموع	
٠,٥٦٨	٣,٨٩	١٠	أقل من ٥ سنوات	الإدارة الصفية
٠,٥٢٤	٣,٨٦	٣٠	من ٥ - ٧ سنوات	
٠,٥٣٦	٣,٩٢	٣٥	من ٧ - ١٠ سنوات	
٠,٦٢٥	٤,٨٧	٤٥	من ١٠ فما فوق	
٠,٥٤٤	٣,٨٧	١٢٠	المجموع	
٠,٥٤٦	٣,٤٨	١٠	أقل من ٥ سنوات	شخصية المدرس
٠,٥٢١	٣,٥٦	٣٠	من ٥ - ٧ سنوات	
٠,٥٨٨	٣,٦٦	٣٥	من ٧ - ١٠ سنوات	
٠,٦٨٢	٤,٨٢	٤٥	من ١٠ فما فوق	
٠,٥٢٢	٣,٦٨	١٢٠	المجموع	

يتضح من هذه النتائج المتضمنة في جدول رقم (١٠) أن مجاميع المتوسطات لمتغيرات سنوات الخبرة قد أظهرت أعلى المتوسطات عند عينة الدراسة لمعلمي اللغة الإنجليزية، وكانت عند الذين سنوات خبرتهم (١٠) سنوات فما فوق حيث بلغت المتوسطات في

كل المجالات (٤,٩٨ - ٤,٨٢) وهي أعلى المتوسطات في جميع مجالات الكفايات التدريسية ثم تليها ذوو الخبرة (٧ - ١٠) ثم من (٥ - ٧) ثم تليها أقل من ٥ سنوات. ولاختبار دلالة هذه الفروق بين المتوسطات لاستجابات عينة الدراسة حول الكفايات التدريسية كما يعكسها تقويم الأداء الصفي تم استخدام تحليل التباين الأحادي One Anova (way) والجدول رقم (١١) يبين ذلك.

جدول رقم (١١) : يبين نتائج تحليل التباين الأحادي لاستجابات أفراد عينة البحث

حسب متغير سنوات الخبرة التدريسية

الكفايات	مصدر التباين	درجة الحرية	مجموعه المربعات	متوسط المربعات	قيمة f	مستوى الدلالة	الدلالة
التخطيط للدرس	بين المجموعات	٣	٩,٦٦٩	٣,٢٢٣	٦,٣١٩	٠,٠٨٦	دال
	داخل المجموعات	١١٦	٥٩,٢٢٥	٠,٥١٠			
	المجموع	١١٩	٦٨,٨٩٤				
تنفيذ خطة الدرس	بين المجموعات	٣	١٠,٧٢٠	٣,٥٧٣	٨,٨٢٢	٠,٠٠٨	دال
	داخل المجموعات	١١٦	٤٦,٩٨٢	٠,٤٠٥			
	المجموع	١١٩	٥٧,٧٠٢				
الإدارة الصفية	بين المجموعات	٣	١١,٣٥٦	٣,٧٨٥	٧,٦٣١	٠,٠٠١	دال
	داخل المجموعات	١١٦	٥٧,٦١٨	٠,٤٩٦			
	المجموع	١١٩	٦٨,٩٩٤				
شخصية المعلم	بين المجموعات	٣	٨,٩٧٨	٢,٩٩٣	٧,٠٠٩	٠,٠٠١	دال
	داخل المجموعات	١١٦	٤٩,٥٣٢	٠,٤٢٧			
	المجموع	١١٩	٥٨,٥١٠				

أشارت النتائج كما هو مبين من الجدول رقم (١١) إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات مجالات الكفايات التدريسية بجميع المجالات لسنوات الخبرة، وهذا يشير لوجود فروق بين معلمي اللغة الإنجليزية يعزى إلى سنوات الخبرة، ويمكن تفسير هذه النتيجة في عدم تمكن برامج تدريب المعلمين قبل الخدمة وأثناء الخدمة من إحداث تغيير الجوهرى المطلوب في مستوى أداء لمعلمي اللغة الإنجليزية.

مناقشة النتائج:

هدفت الدراسة إلى التعرف على الكفايات التدريسية لمعلمي اللغة الإنجليزية في المرحلة الإعدادية كما يعكسها تقييم الأداء الصفى.

أظهرت النتائج في مجال كفايات التخطيط للدرس لدى معلمي اللغة الإنجليزية أن هناك نقصاً في خبرة المعلمين في التخطيط لخبرات تتناسب وخصائص المرحلة الإعدادية وقدراتهم وإمكانياتهم التعليمية والنمائية، وكذلك أظهرت النتائج بالنسبة لمهارة الأسئلة التقويمية الخاصة بالدرس وارتباطها بالأهداف ومراحلها المختلفة أن هناك ضعفاً عند معلمي اللغة الإنجليزية للمرحلة الإعدادية، وهذا ما يشير إلى ضعف في برنامج إعداد معلمي اللغة الإنجليزية قبل وأثناء الخدمة.

كما أظهرت النتائج أن هناك ضعف في كفايات تنفيذ خطة الدرس ومتطلباتها من قبل معلمي اللغة الإنجليزية، وهذا يعود إلى عدم توافر الوسائل التقنية والأجهزة التعليمية في المدارس وإهمال تدريب المعلمين على مهارة واستخدام الوسائل المتوفرة في البيئة المحلية في برامج إعداد المعلمين، كما أظهرت إهمال التقويم الذاتي من قبل المعلمين والمتعلمين لأن التقويم الذاتي يدفع الفرد إلى التعلم والتعليم ويطور العملية التعليمية.

وأظهرت نتائج كفايات الإدارة الصفية حيث احتلت ضبط الصف المرتبة الأولى وهذا قد يشير إلى اهتمام معلمي اللغة الإنجليزية ضبط سلوك المتعلمين وتوجيههم نحو التعلم، بينما هناك متطلبات أخرى هي التي تضبط سلوك المتعلمين منها الطرق والاستراتيجيات الصحيحة في توضيح الدرس والتي تجذب انتباه الطلاب وتضبط

سلوكهم وتدريبهم على التفكير العلمي الصحيح وهو الذي يتناسب مع قدراتهم واستعداداتهم التعليمية.

أما بالنسبة للسؤال الثاني هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات كفايات معلمي اللغة الإنجليزية كما يعكسها الأداء الصفي حسب متغير المؤهل التربوي، فقد أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أداء المؤهلين وغير المؤهلين تربوياً في جميع مجالات الكفايات، وهذا ما يؤكد أهمية التدريب والتأهيل التربوي لمعلمي اللغة الإنجليزية والذي يساعدهم على رفع مستوى أدائهم لمهارات التدريس الرئيسية واستخدام الاستراتيجيات التدريسية الصحيحة التي تساعدهم لتحقيق الأهداف بفاعلية وكفاءة عالية وتساعد الطلبة على الفهم والمتابعة والمشاركة في الدرس، وهذه النتيجة تتفق مع النتائج التي توصلت لها دراسة (مراد، ١٩٩١) والتي تؤكد على أهمية التأهيل التربوي للمعلمين والتي تساعدهم في كفاياتهم التدريسية. وتختلف مع نتيجة دراسة كل من (الكبير، ٢٠٠٢، خزعلي، ومومني، ٢٠١٠، كاظم، ٢٠١٣) التي وجدت عدم وجود فروق تعزى لمتغير المؤهل وذلك قد يعود إما لاختلاف بيئة إجراء التجربة، أو لاختلاف المرحلة التي تم تطبيق الدراسة عليها كما في دراسة كاظم (٢٠١٣)، أو لأن المعلمين والمعلمات في تلك الدراسات يحاولون أن يطوروا من مهاراتهم المهنية، بالنسبة للسؤال الثالث الذي يؤكد على أداء معلمي اللغة الإنجليزية بالنسبة للجنس فقد أظهرت النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات جميع مجالات الكفايات التدريسية ولصالح المعلمات، وهذا قد يعود لأن المعلمات أكثر حرصاً على الأداء التدريسي والتحضير والتخطيط له وتنفيذه بصوره أكثر اتقاناً من الذكور وأكثر استعداداً للتدريس من المعلمين، وكذلك بالنسبة للتأهيل فهناك ارتفاع نسبي في أعداد المعلمين غير المؤهلين تربوياً مقارنة مع المعلمات في اللغة الإنجليزية وهذا قد يعود لانشغال المعلمين بأمور الحياة المعيشية والاجتماعية ورغبة الإناث بتطوير معارفهن التربوية باعتبار أن التعليم سلاح بيد الفتاه وكلما ارتقت في سلم التعليم تمكنت من تحقيق ذاتها وضمنت لنفسها الحياة المعيشية الكريمة. وهذه النتيجة تختلف مع نتيجة (الكبير، ٢٠٠٢) التي وجدت فروق ولكن لصالح الذكور بينما اتفقت مع نتيجة دراسة (كاظم، ٢٠١٣)، وذلك قد يكون لاختلاف

المرحلة والبيئة التي تم فيها تطبيق الدراسة، وقد يكون السبب لأن المعلمين لديهم الرغبة في تطوير معارفهم وتوفر فرص أكثر للذكور للنمو المهني لذلك لا توجد فروق في الكفايات حسب الجنس. كما أظهرت النتائج بالنسبة لأداء المعلمين حسب سنوات الخبرة أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين مجالات الكفايات التدريسية جميعها وهذا قد يدل على أن سنوات الخبرة تؤثر على أدائهم التدريسي مما يدل على اهتمام المعلمين والمعلمات بالتقويم الذاتي، والاهتمام بالتعلم الذاتي ومتابعة التقدم والتطور العلمي. واتفقت النتيجة مع دراسة (خزعلي ومومني، ٢٠١٢) التي أكدت وجود فروق تعزى لسنوات الخبرة لمن خبرتهن تزيد عن ست سنوات، مما يدل على أن سنوات الخبرة تصقل وتؤثر على أداء المعلم.

التوصيات والمقترحات :

وفي ضوء تلك النتائج أوصت الدراسة بعدد من التوصيات والمقترحات وهي:

- ١) إعطاء الكفايات التدريسية أهمية كبيرة من قبل المؤسسات التربوية التي تعنى بإعداد معلمي اللغة الإنجليزية.
- ٢) إعطاء اهتمام لمنهاج اللغة الإنجليزية لتحقيق الأهداف التعليمية بعيدة وقصيرة المدى.
- ٣) إقامة دورات تدريبية مستمرة أثناء الخدمة لمعلمي اللغة الإنجليزية ضمن خطة علمية مدروسة.
- ٤) قيام وزارة التربية والتعليم بإلحاق معلمي اللغة الإنجليزية غير المؤهلين تربوياً إلى كلية التربية لتأهيلهم تربوياً والذي يساهم في رفع كفاياتهم التدريسية.
- ٥) إجراء دراسات تقييمية لبرنامج إعداد معلم اللغة الإنجليزية في ضوء معايير الجودة الشاملة.
- ٦) إجراء دراسات للتعرف على حاجات معلمي اللغة الإنجليزية في المرحلة الإعدادية من برنامج التدريب أثناء الخدمة.

المراجع:

- (١) أبو غريب، عليه وحميدة، فاطمة. ١٩٩١. دراسة لتشخيص بعض الكفايات الأدائية لدى معلمي المواد الاجتماعية في الحلقة الثانية في التعليم الأساسي، منشورات الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس. المؤتمر الثاني لإعداد المعلم، المجلد الثاني/ الإسكندرية.
- (٢) الجبر، سليمان وسر الختم عثمان علي. ١٩٨٣. اتجاهات حديثة في تدريس المواد الاجتماعية. الرياض: دار المريخ.
- (٣) السعيد، رضا والسيد محمد علي. ١٩٩٢. العوامل المهمة في الأداء التدريسي لطالبات الكلية المتوسطة في سلطنة عمان (دراسة انحدارية تنبؤية). المؤتمر العلمي الرابع، القاهرة، الجمعية المصرية للمناهج في الفترة من ٣ - ١٦ أغسطس المجلد الأول.
- (٤) المطوع، نجاه عبد العزيز. ٢٠٠٣. صعوبات استخدام الطريقة التواصلية في تدريس اللغة الإنجليزية في دولة الكويت كما يدركها المعلمون. المجلة التربوية، العدد ٦٨، المجلد (١٧).
- (٥) النجاري، عبد العزيز واشد. ١٩٩٦. كفايات التدريس المطلوب توافرها لدى معلمي التربية الفنية بالمرحلة المتوسطة، المجلة التربوية/ العدد ٣٩.
- (٦) الفرا، فاروق حمدي. ١٩٨٩. تطوير كفاءات تدريس الجغرافيا، ط١. الكويت: مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.
- (٧) الطاهر، مهدي احمد. ١٩٩١. الاتجاه نحو مهنة التدريس وعلاقته ببعض المتغيرات الدراسية الأكاديمية في كلية التربية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود.
- (٨) الكلز، رجب أحمد. ١٩٨٩. البرنامج التربوي لطلاب شعبة الدبلوم العام في التربية وأثره في إكسابهم بعض الكفايات التدريسية: دراسة تقييمية. مجلة كلية التربية، جامعة الإسكندرية، العدد الثاني، أكتوبر.
- (٩) الكبير. ٢٠٠٢. الكفايات التخصصية لمعلم اللغة الإنجليزية ودرجة ممارستها في مرحلة التعليم الأساسي. متوفر في: www.pdfactory.com

- (١٠) الديني، بهية محمود. ١٩٩٦. بناء مقياس لتقويم أداء الطلاب المعلمين في التربية العملية بجامعة البحرين. مجلة دراسات في المناهج وطرق التدريس، العدد ٣٦ مايو.
- (١١) برديسي، اكرام. ١٩٩٩. تحديد الكفايات التربوية اللازمة لمعلمة اللغة الإنجليزية بالمرحلة المتوسطة في المملكة العربية السعودية. مجلة رسالة الخليج العربي، العدد (٢).
- (١٢) خزعلي، قاسم ومومني، عبداللطيف. ٢٠١٠. الكفايات التدريسية لدى معلمات المرحلة الأساسية الدنيا في المدارس الخاصة في ضوء متغيرات المؤهل العلمي وسنوات الخبرة والتخصص. مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٦، العدد ٣.
- (١٣) حماد، عفاف سعد. ١٩٩٢. الكفايات التدريسية اللازمة لمعلم المواد الفلسفية بالتعليم الثانوي، دراسات المناهج وطرق التدريس، القاهرة، العدد ١٣.
- (١٤) مراد، صلاح. ١٩٨٢. خصائص المعلم الناجح. مقال منشور في التربية العملية أسسها النظرية وتطبيقاتها. إشراف سيد خير الله. القاهرة: الإنجلو المصرية.
- (١٥) محمد، حنفي إسماعيل وصبري باسط أحمد. ٢٠٠٢. تقويم الأداء التدريسي والاتجاه نحو التدريس لدى خريجي كلية المعلمين بالباحة، الدوحة، قطر (الندوة التربوية الأولى، تجارب دول مجلس التعاون في إعداد المعلم المصاحبة للاجتماع الخامس للجنة عمداء كليات التربية بجامعة دول مجلس التعاون لدول الخليج ٢٧-٢٩ أبريل).
- (١٦) مصباح، الحاج حسين وعبد الكريم، الخياط. ١٩٨٧. مكانة وسائل الاتصال في قائمة داوسون للكفايات التدريسية قبل وبعد تقنينها. المجلة التربوية، كلية التربية، جامعة الكويت. العدد الثالث عشر، المجلد الرابع.
- (١٧) مراد، سمير. ١٩٩١. تقويم منهاج الجغرافيا في المرحلة الإعدادية في سوريا. رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، كلية التربية.
- (١٨) مرعي، توفيق واحمد، بلقيس. ١٩٨٦. أخلاقيات مهنة التعليم. وزارة التربية والتعليم: سلطنة عمان.

- ١٩) مبارك، فتحى. ١٩٩٠. الكفايات العامة للوسائل التعليمية لدى الطلاب المعلمين بشعبتي التاريخ والجغرافيا بكلية التربية جامعة الأزهر، المؤتمر الثاني لإعداد المعلم، المجلد الثاني/ الإسكندرية.
- ٢٠) شلبي، فريال. ١٩٨٩. دراسة ميدانية لتقييم برنامج إعداد مدرسي اللغة الإنجليزية في كلية التربية، جامعة الكويت، **المجلة التربوية**، العدد (٢٥).
- ٢١) عويدات، فادي محمد. ٢٠٠٦. بناء قائمة بالكفايات المهنية والاجتماعية والخصائص الشخصية لمعلمي الطلبة الموهوبين. رسالة ماجستير غير منشورة. عمان: جامعة عمان العربية للدراسات العليا.
- ٢٢) كاظم، سناء. ٢٠١٣. الكفايات المهنية لتحديد مدى جودة مدرسي اللغة الإنجليزية في المدارس الثانوية الخليجية (البصرة أمودجا). **مجلة الخليج العربي**، المجلد (٤١) العدد (١-٢).
- ٢٣) هاني، نضال عواد. ٢٠٠٠. **مشكلات تدريس اللغة الإنجليزية في المدارس الحكومية كما يراها المعلمون**. ملخصات رسائل الماجستير، جامعة اليرموك، الأردن.
- ٢٤) وزارة التربية والتعليم. ١٩٩٨. **ورشة العمل الوطنية اليمينية لموجهي اللغة الإنجليزية**. صنعاء: وثائق الندوة.
- 25) Audry, Kleinsasser, Elizabeth. 1992. **Horsch Teaching Assessment and Learning Wyoming Univ.** Wyoming state Dept. Education
- 26) Caryn, Aston and others. 1993. **Assessment of student learning in social studies.** South Carolina: University of Columbia.
- 27) Fraenkl, Jack. 1995. Characteristics and Behaviors of Effective Social Studies Teachers. **Paper Presented at the Annual Meeting of the American Educational Research Association**, San Francisco April.
- 28) Gary, K.H. 1980. **College Teaching to day: A Hand Book for Post Secondary Instruction.** Boston Ellyn; Bacon Inc.
- 29) Tomala, Gail. 1991. Wieland Tomas Social Studies Connecticut teacher Assessment center Exercises . **Journal of Personal Evaluation in Education**, Vs n2 Oct.

الأزمة المالية العالمية رؤية إسلامية

طبني مريم

أستاذة باحثة، جامعة محمد خيضر - بسكرة



جامعة الأندلس
للعلوم والتكنولوجيا

Alandalus University For Science & Technology

(AUST)

الأزمة المالية العالمية رؤية اسلامية

المخلص:

اقتترنت بإفلاس وانهيار العديد من المؤسسات المصرفية والمالية التي كان يشار إليها بالبنان، ولذلك بذلت العديد من الجهود على المستويات الدولية من أجل الوصول إلى أفضل الأساليب لمواجهة هذه الأخيرة، وكانت جميع الجهود المبذولة منادية بأسلوب مباشر أو غير مباشر لقيام النظام المالي الاسلامي ومن هذا المنطلق حاولنا تسليط الضوء في ورقتنا البحثية هذه على الرؤية الاسلامية للأزمة المالية العالمية فيما ترى:

ما هو الدور الذي يلعبه النظام المالي الاسلامي كحل للأزمة المالية العالمية؟

تعد الأزمات المالية من أهم السمات المميزة للنظام الرأسمالي؛ ولا أدل عن ذلك الأزمة التي عصفت مؤخراً بالمنظومة الاقتصادية العالمية وما كان لهذه الأخيرة من بالغ الأثر على اقتصاديات الدول المتقدمة والنامية على حد سواء، بحيث شهد منتصف شهر ديسمبر من عام ٢٠٠٨ بصفة عامة، والأسواق الدولية والوطنية بصفة خاصة، اضطرابات واختلالات لم يشهدها منذ الكساد العالمي الكبير الذي حدث عام ١٩٢٩، ولم تقتصر تلك الاضطرابات على أسواق النقد والمال والبورصات فقط ولكن

Résumé:

Les crises financières des traits les plus distinctifs du système capitaliste est mise en évidence par la crise qui a secoué récemment le système de l'économie mondiale et ce qui était le dernier d'une grande influence sur les économies des pays développés et en développement, de sorte que vit la mi-Décembre de l'année 2008 en général, et sur les marchés nationaux et internationaux dans les troubles et dysfonctions pas vu depuis la récession mondiale le grand événement en 1929 en particulier, ne s'est pas limitée à ces perturbations sur les marchés de l'argent, l'argent et les marchés boursiers, mais seulement couplés avec la faillite et l'effondrement de nombreuses

institutions financières, qui a été renvoyé à stigmatisée bancaire et, donc ils ont fait plusieurs efforts au niveau international afin de accès aux meilleures méthodes pour faire face à ce dernier, et tous les efforts étaient appelant façon, directement ou indirectement, par la mise en place du système financier islamique C'est dans cet esprit que nous avons essayé de mettre en évidence dans notre étude de cette recherche sur la vision islamique de la crise financier mondiale, en conséquence je me demande:

Quel est le rôle du système financier islamique comme une solution à la crise financière mondiale?

المقدمة:

تعد الأزمات الاقتصادية التي حلت بالعالم الرأسمالي منذ سنوات قليلة والتي مازالت تأخذ بخناقها حتى الآن، وخير دليل على ذلك أزمة الرهن العقاري التي ضربت بالمنظومة الاقتصادية، وأستعير هنا كلمات أدلى بها **فالد هايم** الأمين العام للأمم المتحدة في تقريره عن أعمال الأمم المتحدة خلال عام ١٩٧٧، فقد قال: "إذا كان ثمة ما يميز العالم اليوم من الناحية الاقتصادية فهو عدم اليقين بدرجة أكبر مما كانت في أي وقت مضى منذ الحرب العالمية الثانية"، وقد اتخذت العديد من إجراءات العلاج التي تبنتها (و.م.أ) ودول أوروبا وغيرهم من دول العالم المتضررة من الأزمة المالية العالمية للخروج من تلك الأزمة، فقد سعت البنوك المركزية إلى الاعتماد على تخفيض سعر الفائدة لدعم دورة النشاط الاقتصادي والحيلولة دون وقوع في كارثة الكساد، وتفاقم الأزمة المالية، حتى أن البنوك المركزي لزعيمة الرأسمالية العالمية (و.م.أ) خفض سعر الفائدة أكثر من مرة ليتراوح ما بين ٠-٠.٢٥ نقطة مئوية منذ ١٦/١٢/٢٠٠٨، وسار على هذا النهج العديد من البنوك المركزية في دول العالم، بحيث إن معظم تلك المعالجات التي تم اللجوء إليها في مواجهة الأزمة المالية العالمية الراهنة عبارة عن تصورات مستلهمة من النموذج الإسلامي، وعليه ومن هذا المنطلق قمنا بطرح الإشكالية التالية:

ما الدور الذي يلعبه النظام المالي الإسلامي كحل للأزمة المالية العالمية؟

ولمعالجة هذه الإشكالية فقد قسمنا دراستنا الى المحاور التالية:

أولاً: الأزمة المالية العالمية ٢٠٠٨.

ثانياً: تداعيات الأزمة المالية العالمية وأساليب مواجهتها.

ثالثاً: النظام المالي الإسلامي كحل للأزمة.

أولاً: الأزمة المالية العالمية ٢٠٠٨

شهدت الفترة الممتدة من عام ١٩٩٧ - ٢٠٠٦ ارتفاعاً في أسهم الشركات العقارية المسجلة بالبورصة باستمرار سواء في الولايات المتحدة أو في غيرها من دول العالم، مقابل انخفاض الأسهم في القطاعات الاقتصادية الأخرى بما فيها قطاعات

التكنولوجيا والاتصالات الحديثة، الأمر الذي أدى إلى إقبال الأمريكيين أفراداً وشركات على شراء المساكن والعقارات بهدف الاستثمار طويل الأجل، وزادت وفقاً لذلك عمليات الإقراض من قبل البنوك، وازداد التوسع والتساهل في منح القروض العقارية للأفراد من ذوى الدخل المنخفضة وغير القادرين على السداد والمسماة بالقروض "متدنية الجودة"، وذلك دون التحقق من قدرتهم على السداد أو حتى الاستعلام عن هويتهم الائتمانية في معظم الأحوال، ومنذ ذلك العام أخذت قيم العقارات وأسهم الشركات العقارية المسجلة بالبورصة بالارتفاع بصورة مستمرة في جميع أنحاء العالم، خاصة في الولايات المتحدة حتى بات شراء العقار أفضل أنواع الاستثمار، في حين أن الأنشطة الأخرى بما فيها التكنولوجيا الحديثة معرضة للخسارة، وأقبل الأمريكيون أفراداً وشركات على شراء العقارات بهدف السكن أو الاستثمار الطويل الأجل أو المضاربة، واتسعت التسهيلات العقارية إلى درجة أن المصارف منحت قروضاً حتى للأفراد غير القادرين على سداد ديونهم بسبب دخولهم الضعيفة، ومع بداية ٢٠٠٦ حدثت حالة من التشبع في سوق التمويل العقاري فارتفعت أسعار الفائدة لتصل إلى ٥.٢٥٪ بعد أن كانت ١٪ في ٢٠٠٣ وتثبت بعدها حتى منتصف سنة ٢٠٠٤، وأصبح الأفراد المستفيدون من القروض متدنية الجودة غير قادرين على سداد الأقساط المستحقة عليهم، وازداد الأمر سوءاً بانتهاء فترة الفائدة المثبتة المنخفضة للقروض، وازدادت معدلات حجز البنوك على عقارات من لم يستطيعوا السداد لتصل إلى حوالي ٩٣ بالمائة، وفقد أكثر من ٢ مليون أمريكي ملكيتهم لهذه العقارات وأصبحوا مكبلين بالالتزامات المالية طيلة حياتهم، وكبُر حجم الفقاعة العقارية حتى وصلت إلى ذروتها فانفجرت في صيف ٢٠٠٧ حيث هبطت قيمة العقارات ولم يعد الأفراد قادرين على سداد ديونهم حتى بعد بيع عقاراتهم المرهونة، ونتيجة لتضرر المصارف الدائنة بسبب عدم سداد المقترضين لقروضهم هبطت قيم أسهمها في البورصة وأعلنت شركات عقارية عديدة إفلاسها، ولكن انهيار القيم لم يتوقف عند العقارات بل امتد إلى الأسواق المالية وجميع القطاعات، وذلك نظراً لإنفاق بعض الأفراد جميع مدخراتهم واقتترضوا لشراء العقارات، وأدى انفجار الفقاعة العقارية إلى

تراجع الاستهلاك اليومي وبالتالي ظهور ملامح الكساد^١، وعليه فإن من مظاهر هذه الأزمة ما يلي^٢:

- الهرولة في سحب الإيداعات من البنوك لأن رأس المال جبان، وهذا ما تناولته وكالات الإعلام المختلفة قيام العديد من المؤسسات المالية بتجميد منح القروض للشركات والأفراد خوفاً من صعوبة استردادها.
- نقص السيولة المتداولة لدى الأفراد والشركات والمؤسسات المالية وهذا أدى إلى انكماش حاد في النشاط الاقتصادي وفي كافة نواحي الحياة مما أدى إلى توقف المقترضين عن سداد دينهم.
- انخفاض مستوى التداولات في أسواق النقد والمال وهذا أحدث ارتباكاً وخلا في مؤشرات الهبوط والصعود.
- انخفاض مستوى الطاقة المستغلة في الشركات بسبب نقص السيولة وتجميد الحصول على القروض من المؤسسات المالية إلا بأسعار فائدة عالية جداً وضمائمات مغلظة.
- انخفاض المبيعات ولا سيما في قطاع العقارات والسيارات وغيرها بسبب ضعف السيولة.
- ازدياد معدل البطالة بسبب التوقف والإفلاس والتصفية وأصبح كل موظف وعامل مهدد بالفصل.
- ازدياد معدل الطلب على الإعانات الاجتماعية من الحكومات .
- انخفاض معدلات الاستهلاك والإنفاق والادخار والاستثمار وهذا أدى إلى مزيد من الكساد والبطالة والتوقف والتصفية والإفلاس.

أسباب الأزمة المالية العالمية:

إن تحليل أزمة الرهن العقاري يتطلب تحليل التوسع في عملية التوريق وتعقيد المنتجات المالية، وتقييم المعايير المحاسبية، وإجراء دراسات هيكلية للسيولة^٣، وعلى

^١ بن موسى كمال، "أسباب الأزمة المالية العالمية وتداعياتها"، *الملتقى الوطني الخامس: "الأزمة المالية العالمية على الاقتصاد الجزائري"*، ادرار(الجزائر)، ٢٠١١، ص ٢٢٣.

^٢ حسين حسين شحاتة، "أزمة النظام المالي العالمي في ميزان الاقتصاد الإسلامي"، <http://www.darelmasshora.com/download.askx?docid>، ٢٠١٣/٠٣/١٠.

العموم فإن تلك الأسباب تنقسم إلى أسباب مباشرة وأخرى غير مباشرة، سيتم توضيحها فيما يلي:

الأسباب المباشرة:

(١) **التغير في معدلات الفائدة:** إن قروض الرهن العقاري ممنوحة بمعدل فائدة متغيرة ومرتبطة بسعر فائدة البنك المركزي، وهذا يعني أن الأعباء المالية للتسديد عند الانطلاق تكون منخفضة من أجل اجتذاب المقترضين ثم تزيد بالتدريج، وعلى هذا الأساس ومع الارتفاع المفاجئ لنسب الفوائد في الأسواق المصرفية الأمريكية من ٢% إلى حوالي ٥.٧%، جعل الأسر الأمريكية ضعيفة الملاءة غير قادرة على تحمل أعباء ديونها، وتفاقت الأزمة بحلول النصف الثاني من عام ٢٠٠٧، حيث توقف عدد كبير من المقترضين عن سداد الأقساط المالية المستحقة عليهم، وازداد عددهم مع مرور الوقت محدثاً جواً من الذعر في أسواق المال وفي أوساط المستثمرين في قطاع العقار، الأمر الذي أدى إلى تراجع أسعار العقارات، ففي الولايات المتحدة الأمريكية: تراجعت أسعار المنازل إلى أقل من قيمة القروض التي تقتض هذه المنازل كضمانات لها، كما أن زيادة العجز عن التسديد وإعادة بيع المنازل المرهونة زاد من حدة الانخفاض في أسعار العقارات وزيادة خسائر المقترضين؛ إذ تضررت البنوك المختصة في القروض العالية المخاطر أكثر من غيرها من ارتفاع نسب الفوائد، وتأثيرها على أوضاع المقترضين ذوي الدخل المتواضع^٤.

(٢) **التوريق:** التوريق عملية تحويل الموجودات غير السائلة إلى أوراق مالية قابلة للتداول، وفيما يتعلق بالأزمة المالية العالمية فإنه يعني تحويل الديون (التي اقتترضها مشترو المنازل) من المقرض الأساسي (البنك وغيره من المؤسسات المالية المانحة) إلى مقترضين آخرين وذلك في شكل أوراق مالية قابلة للتداول في أسواق المال، فعندما يتجمع لدى البنك محفظة كبيرة من رهونات العقارية، فإنه يلجأ إلى استخدامها لإصدار أوراق مالية جديدة يقتض بها من المؤسسات المالية الأخرى بضمن هذه المحفظة، فكان البنك لم يكتف بالإقراض الأولي بل أصدر موجة ثانية من

³ LAURE KLEIN, LA CRISE DES SUBPRIME, REVUE BANQUE Édition, Paris, 2008, P:101-102.

^٤ مراد رايق رشيد عودة، "أسباب الأزمة الاقتصادية القربية والبعيدة رؤية إسلامية"، الندوة الدولية حول: "الأزمة المالية العالمية من منظور إسلامي وتأثيرها على الاقتصاديات العربية"، القاهرة (مصر)، ٢٠٠٨.

الأصول المالية بضمان هذه الرهون العقارية، وتستمر العملية موجة بعد موجة حيث يولد الإقراض طبقات متتابعة من الإقراض بأسماء المؤسسات المالية واحدة بعد الأخرى، وقد ساعدت عملية التوريق على نقل المخاطر من القروض المفردة وتجميعها وتوزيعها على حائزي الأوراق والجهات الضامنة، وهكذا تضاعف الاهتمام بالتقييم الموضوعي للمخاطر، كما تضاعفت دقة تقييم الضمانات^٥.

(٣) تصنيف وكالات التصنيف الائتماني السندات العقارية تصنيف مرتفع: أقدمت مؤسسات التصنيف الائتماني بمنح سندات الرهن العقاري تصنيف مرتفع الأمان (AAA) نظراً لأن القروض العقارية عالية المخاطر قد اشترت من قبل بنوك مركزية كبيرة ومعروفة مثل: "Lehman Brothers" و "Stearns Bear" لذلك تحملت وكالات التصنيف الائتماني جزءاً من المسؤولية الأزمة المالية العالمية؛ لأن ذلك التصنيف غير دقيق جعل البنوك تتجاهل حجم المخاطر التي تتعرض لها أو على الأقل غير مدركة لها^٦، وقد أدى التصنيف الائتماني المرتفع لسندات الرهن العقاري إلى مجموعة من النتائج السلبية منها^٧:

- المضي قدماً نحو الاستثمار بهذه السندات والمشتقات المالية المرتبطة بها عن طريق تمويلها بقروض قصيرة الأجل، وهو ما يرفع من درجة المخاطر الائتمانية للمؤسسات المالية المتعاملة بها.
- زيادة حجم الاستثمار في هذه السندات للحصول على معدلات فائدة أعلى مقارنة بالأصول المالية الأكثر أماناً كسندات الخزينة الأمريكية، ما دامت تحمل التصنيف الائتماني ذاته (AAA)، لاسيما أن نسبة الفوائد على سندات الرهن العقاري كانت أعلى من نسبة الفوائد على الأصول المالية المشابهة لها في التصنيف الائتماني، كما أن أسعار الفائدة على معظم السندات كانت تتغير مع تغير أسعار الفائدة التي يحددها المصرف الاحتياطي الاتحادي والتي

^٥ عامر يوسف العتوم، "أسباب الأزمة المالية العالمية"، *المختصر الربوي*، "بحوث الرسائل والأطروحات الجامعية"، الأردن، ٢٠١٢.

^٦ زكرياء بله باسي، "الجنور وأبرز الأسباب والعوامل المحفزة، والدروس المستفادة من منظور الاقتصاد الإسلامي"، *الملتقى الدولي حول: "الأزمة المالية العالمية وكيفية علاجها من منظور النظام الاقتصادي الغربي والإسلامي"*، جنان (لبنان)، ٢٠٠٩.

^٧ نبال قصبه، "أسباب حدوث الأزمة المالية العالمية والحلول المقترحة"، *الندوة الدولية حول: "الأزمة المالية العالمية من منظور إسلامي وتأثيرها على الاقتصاديات العربية"*، القاهرة (مصر)، ٢٠٠٨.

كانت منخفضة كثيراً عند انتشارها ، وهو ما يعني احتمالية أكبر في ارتفاع حجم العوائد على السندات عندما ترتفع أسعار الفائدة التي يحددها المصرف الاتحادي.

- استغلال هذا التصنيف الائتماني المرتفع للسندات للمبالغة في تقويم المشتقات المالية المرتبطة بها وأسهم الشركات المصدرة لها وأسهم الشركات الضامنة لها بأكثر بكثير مما تستحق، فاكتشاف حقيقة أن هذه السندات عالية المخاطر يعني أن جزءاً كبيراً منها قد تحول من أصول مالية عالية السيولة تدر أرباحاً كبيرة إلى ديون معدومة، وهذا طبعاً لا يعني فقط انخفاض أسعار أصول المؤسسات وتلاشي أرباحها، وإنما يعني أيضاً مواجهتها لشح شديد في السيولة يدفعها أحياناً إلى إعلان إفلاسها.

٤) **فقاعة المقامرة:** لقد جاءت فقاعة المقامرة من خلال تأمين حاملي السندات العقارية على أصل تلك السندات وعوائدها لدى شركات التأمين، وفي حالة فشل المقترض في الوفاء بما عليه من التزامات تقوم المؤسسة التأمين بسداد مستحقات حامل السند ثم يتم بيع العقار فيما بعد؛ لتحصل شركة التأمين على مستحقاتها، لكن تعثر عملاء الديون العقارية وكذلك رداءة سندات تلك الديون وانخفاض القيمة السوقية لأصولها العقارية انعكس سلباً بصورة مباشرة على شركات التأمين من خلال مطالبة حاملي تلك السندات شركات التأمين بتغطية خسائرهم^٨.

٥) **نمو نشاط المضاربات:** إن النمو المتعاظم في حجم قطاع المضاربات لم يقابله حصول نمو حقيقي مماثل في القيمة الاقتصادية للمؤسسات المصدرة لهذه الأسهم، لذلك فقد أجريت المضاربات في أسواق البورصات العالمية بصورة غير منضبطة وغير مستندة إلى أسس اقتصادية سليمة، مما تسبب لاحقاً بحصول عرقلة في التسديد وحصول الأزمة؛ إذ إن هروب رؤوس الأموال من الاستثمار في القطاعات الإنتاجية وإعادة استثمارها في أنشطة اقتصادية غير منتجة أهمها الاستثمار في القطاع العقاري الذي حقق نمواً متسارعاً أدى إلى حصول تضخم كبير في أسعاره بشكل

^٨ بالرقى تيجاني، "تداعيات الأزمة المالية الاقتصادية العالمية الراهنة على اقتصاديات دول المينا وأسبابها في ضوء طروحات مفكري الاقتصاد الإسلامي"، *الملتقى الدولي حول: "الأزمة المالية والاقتصادية الدولية والحكومة العالمية"*، سطيف (الجزائر)، ٢٠٠٩.

لا يطابق السعر الاقتصادي والحقيقي له، ويرجع الإقبال عن نشاط المضاربة في سوق العقارات إلى الأرباح العالية المتحققة في هذا المجال، وإلى التسهيلات الائتمانية الواسعة التي قدمتها البنوك للمستثمرين في هذا القطاع، كل ذلك شجع المستثمرين على التوسع الكبير للاستثمار في هذا القطاع، فحدث فارق كبير بين أسعارها الحقيقية والسوقية، وعندما حصل تغير في المتغيرات المؤثرة على عوامل العرض والطلب برز الخلل الذي أدى إلى حدوث الأزمة التي سرعان ما انتقلت إلى الأنشطة الأخرى أو الدول الأخرى المرتبطة معها بعلاقات بينية واسعة^٤.

(٦) **ضعف الرقابة والإشراف:** حيث إن المؤسسات المالية تشتري سندات أولية بضمان الدين العقاري ويتم إعادة إنتاجها أو إعادة بيعها في السوق الموازية عدة مرات بوجود من يشتريها، وهذا أمر ناجم عن ضعف الرقابة والإشراف الكافيين على المؤسسات الوسيطة، وهكذا نلاحظ أنه تم بناء هياكل اقتصادية متعددة على أصل واحد فقط، وهو أساساً أصل ضعيف وغير قوي ومهدد، فإذا انهار جزء ينهار الكل^٥، وعليه فإن المبادئ السليمة للمحاسبة المالية تشير إلى ضرورة ربط التوسع في الإقراض من البنوك بنسبة معينة مما تمتلكه من رأسمال واحتياطي، والإا وقعت في دائرة المخاطر، ولذلك حددت اتفاقية "بازل" للرقابة أن تمارس البنوك المركزية دور الرقابة على البنوك التجارية، فإن ما عرف باسم بنوك الاستثمار في (م.و.أ) لا تخضع لرقابة البنك المركزي، ومن هنا توسعت بعض البنوك في الإقراض لأكثر من ستين ضعفاً من حجم رؤوس أموالها^٦.

(٧) **العامل النفسي:** تقوم الوحدات الاقتصادية المختلفة وخاصة المستثمرين بالتوقع حول المستقبل عند اتخاذ قراراتها، وتتأثر توقعاتها بعوامل اقتصادية ونفسية معقدة الأمر الذي يجعلها ذات صلة غير منتظمة ولا تستند بالضرورة إلى المنطق أو الرشد الاقتصادي، ويصنف الاقتصاديون التوقعات إلى توقعات متفائلة وتوقعات متشائمة،

^٤ فلاح شفيق، "النشاط الربوي والأزمات المالية"، <http://iefpedia.com/arab/wp-content/uploads/.../nnn.doc>, ٢٠١٣/٠٣/٠٧.

^٥ موسى اللوزي وآخرون، **الأزمة المالية العالمية والأفاق المستقبلية**. الجزء الثاني. الطبعة الأولى. مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان (الأردن).

٢٠١١، ص ٥٤.

^٦ حسن الرفاعي، "دور الفكر الاقتصادي الإسلامي في إدارة الأزمة الاقتصادية الراهنة"، **الملتقى الدولي حول: "الأزمة المالية العالمية وكيفية علاجها من منظور النظام الاقتصادي الغربي والإسلامي"**، جنان (لبنان)، ٢٠٠٩.

فإذا تفاعل المستثمرون أو المضاربون حول المستقبل فإنهم يقومون بالتوسع في استثماراتهم ومضارباتهم الآن مما يميل إلى إيجاد مزيد من التوسع وتسارع العجلة الاقتصادية، أما في حالة التشاؤم فيحجمون عن الاستثمار وإبرام الصفقات مما يؤدي إلى آثار انكماشية مضاعفة، ونظرا للطبيعة المعقدة لهذه التوقعات فلا أحد يستطيع التنبؤ باتجاهها، وعلى صعيد الأزمة المالية العالمية تلعب التوقعات دورا كبيرا وساهمت بقوة في انفجار الفقاعة العقارية، بحيث كانت هناك حالة من التوقعات التشاؤمية حول التطورات الاقتصادية المستقبلية، الأمر الذي دفع المستثمرين إلى الإحجام عن الاستثمارات الجديدة أو تقليصها على الأقل، ودفع البنوك إلى الإحجام عن الإقراض سواء فيما بينها أو للأفراد خوفاً من نقص في السيولة لديها، مما ساهم بالضغط للأعلى على معدلات الفوائد وخلق شحاً في السيولة، من جهة أخرى فإن التوقعات المتشائمة قد أدت إلى موجة هلع في أوساط الأفراد العاديين والمضاربين ودفعتهم إلى الإقبال الشديد على بيع الأسهم وغيرها من الأصول لتجنب الخسائر المحتملة، الأمر الذي أدى بدوره إلى مزيد من الانهيار والتراجع الاقتصادي^{١٢}.

الأسباب غير المباشرة:

يمكن إرجاع الأسباب الخفية وغير العلنية للأزمة إلى عنصرين رئيسيين، هما^{١٣}:

(١) **الجنات الضريبية:** لقد شجع النظام العالمي الجديد زيادة عدد ما يسمى بالوحدات الضريبية "Les paradis fiscaux" التي تعبأ برؤوس الأموال الهاربة من دفع الضرائب في بلادها، وتشير الإحصائيات إلى أن هناك ما يقارب مائة منظمة في العالم تدير منها المصارف وشركات التأمين وصناديق الاستثمار أموال زبائنها الأثرياء وتخلصها بانتظام من قبضة الوطن فيما يتعلق بالضرائب والرسوم، ويأتي في مقدمة تلك المناطق "جزر الكيمن الكريبية" الخاضعة لبريطانيا ويوجد فيها ما يزيد عن ٥٠٠ مصرف مسجل، وبناء على إحصائيات صندوق النقد الدولي فإنه هناك ما يزيد عن ٢٠٠٠ مليار دولار ستظل مهربة عبر المصارف والشبكات بحجة

^{١٢} حسين عبد المطلب الأسرج، "تأثير الأزمة على الاقتصاد المصري"، http://halassrag.blogspot.com/2011/06/blog-post_4819.html، ٢٠١٣/٠٣/١١.

^{١٣} كنجو كنجو وآخرون، الأزمة المالية العالمية والأفاق المستقبلية، الجزء الرابع، الطبعة الأولى، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان (الأردن)، ٢٠١١، ص ١٦٦.

تتقل رأس المال، والغريب أن معظم هذه الجنات كانت متواجدة في الأراضي الألمانية والبريطانية والأمريكية وحتى اليابانية، وبذلك فإن هذه الجنات الضريبية هي من الأسباب الحقيقية والعميقة التي أدت إلى ظهور الأزمة المالية العالمية.

(٢) **فساد العوالة:** لاشك أن العوالة وما أدت إليه من هدم للنظم المحلية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ولنظومة القيم الحضارية والثقافية، قد مهدت الطريق لشيوع الفساد في هذه النظم فتحوّلت إلى نظم للفساد المالي والتجاري والاجتماعي والإداري والسياسي، موفرة بذلك مناخا خصبا للجريمة المنظمة مما حجب الحقيقة عن الاستفادة من تجربة الأزمة التي حدثت في جنوب شرق آسيا.

مراحل الأزمة المالية العالمية:

مر تطور الأزمة المالية بعدة مراحل نلخصها فيما يلي^{١٤}:

(١) **مرحلة بداية الأزمة وانتشارها بالأسواق المالية:** امتدت من يونيو إلى سبتمبر ٢٠٠٧، واتسمت بإعلان "بير ستار نز" إفلاس صندوقي تحوط تابعين له ومختصين في المشتقات المالية الصادرة عن القروض، إضافة لموجة الصعوبات الأولى والانخفاضات في قيمة الأصول التي مست مجموعة من الصناديق والمؤسسات المالية، كما تميزت بتدخل الحكومات عن طريق ضخ السيولة بالأسواق النقدية، كما خفض البنك الفدرالي الاحتياطي معدل فائدته من ٥.٢٥٪ إلى ٤.٧٥٪ في حين قدم بنك إنجلترا دعما ماليا لمؤسسة الرهن العقاري "نورثرن روك".

(٢) **مرحلة الصعوبات وتصاعد المخاوف من انهيار البنوك:** امتدت من أكتوبر ٢٠٠٧ إلى فبراير ٢٠٠٨، واتسمت بتزايد النتائج السلبية وتضاعف الخسائر للوسطاء الماليين والبنوك بسبب انخفاض أسعار أسهمها، ضخ متتالٍ للسيولة من قبل البنوك المركزية لاسيما بعد اتفاق البنوك المركزية لـ: (و.م.أ.)، إنجلترا، سويسرا، كندا، والبنك الأوروبي لتلبية الاحتياجات قصيرة الأجل بالدولار في ١٨ - ١٢ - ٢٠٠٧، وأخيرا قيام البنك الفيدرالي بخفض معدل فائدته إلى ٤.٥٪ في ٣١

^{١٤} آسيا سعدان وصلحجة عماري، "تنامي التمويل الإسلامي في ظل الأزمة المالية العالمية دراسة حالة دول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا"، *الملتقى الدولي حول: "الأزمة المالية والاقتصادية العالمية المعاصرة من منظور اقتصادي إسلامي"*، عمان (الأردن)، ٢٠١٠.

أكتوبر، و٤.٧٥٪ في ١١ ديسمبر، و٣٪ يناير، كما عملت الحكومة البريطانية على تأمين "ثورثن روك".

(٣) **مرحلة تفاقم الأزمة وتوسع الخسائر بالبنوك:** وتبدأ من مارس إلى جويلية ٢٠٠٨، وتميزت بتوسع مساحة تدخل الحكومات من خلال خلق التسهيلات تمويلية جديدة، قيام البنك الفيدرالي بتخفيض معدل فائدته إلى ٢.٢٥٪ في ١٨/٠٣/٢٠٠٨، وإلى ٢٪ في ٣٠/٠١/٢٠٠٨، وإلى ٢٪ في نهاية أبريل ٢٠٠٨، عودة "بيرستينرز" تحت اسم "جي بي مورغان تشيز" تحت وصاية البنك الفدرالي وبمساعدة مالية، وانتهت بتراجع نسبة الأرباح لثلاث بنوك أعمال أمريكية من بينهم "ليمان براذرز" وشريكتين التأمين.

(٤) **مرحلة اتساع الأزمة وانتشارها بكامل النظام البنكي العالمي:** وتبدأ هذه المرحلة من أوت ٢٠٠٨ وتميزت بوضع الخزانة الأمريكية "فريدي ماك وفيني ماي" تحت الوصاية مع كفالة ديونهما حتى حدود ٢٠٠ مليار افلاس "ليمان براذرز" وإعلان بنك أوف أمريكا شراء بنك ميريل لينش"، وفي ١٦ سبتمبر عملت الحكومة الأمريكية والبنك الاحتياطي على تأمين أكبر شركة تأمين "أي أي جي" بعد منحها مساعدة بقيمة ٨٥ مليار دولار، وفي ٢٦ من نفس الشهر انهار سعر سهم المجموعة المصرفية والتأمين البلجيكية الهولندية بسبب شكوك حول قدرتها على الوفاء بالتزاماتهم، في حين تم في أكتوبر إقرار مجلس الشيوخ الأمريكي لخطة الانقراض، كما تزايدت الاندماجات بين البنوك وتسارعت البنوك المركزية لمختلف الدول على تخفيض معدلات الفائدة حيث وصل باليابان إلى ٠.١٪ كما لم الاجتماعات الدولية من مناقشة الأزمة والمطالبة بإصلاح النظام المالي الدولي.

ثانياً: تداعيات الأزمة المالية العالمية وأساليب مواجهتها عالمياً

نشأت الأزمة المالية العالمية وكما سبق الإشارة إليها بسبب القروض العقارية رديئة النوعية والتي كانت نتاجاً للزيادة المفرطة في القروض الإسكانية المقدمة من المؤسسات المالية الأمريكية إلى المقترضين غير مؤهلين مالياً للحصول على مثل هذه القروض، وتتميز هذه الأزمة بانخفاض حجم شروط القروض المقدمة إلى المستثمرين والمستهلكين مما أدى إلى التأثير عكسياً على مستوى الاستهلاك والاستثمار وبالتالي

إلى دفع الاقتصاد الأمريكي واقتصاديات الدول الكبرى إلى مرحلة الركود الاقتصادي¹⁰، وفيما يلي سيتم دراسة آثار هذه الأخيرة وأساليب معالجتها على المستوى الأمريكي والأوروبي والعربي.
على المستوى الأمريكي :

(١) آثار الأزمة المالية العالمية على الاقتصاد الأمريكي: زادت الأزمة المالية العالمية من تدهور الاقتصاد الأمريكي والذي كان في الأساس يعاني العديد من المشاكل وقد مست معظم مؤشرات الأداء الاقتصادي الكلي على النحو التالي¹¹:

(٢) تفاقم العجز في الميزانية: بحيث وصل إلى اقصاه في الربع الأول من ٢٠٠٨ ومثل حوالي ٩.٢٪ من الناتج المحلي الاجمالي.

(٣) ارتفاع حجم المديونية ليصل إلى ٣٦ ترليون دولار: بحيث أنه وحسب احصاءات وزارة الخزانة الأمريكية فقد ارتفع حجم الديون الحكومية لتشكّل حوالي ٦٤٪ من الناتج المحلي الاجمالي، هذا إلى جانب ارتفاع مديونيات الافراد والشركات لتصل إلى ٦.٢٧ تريليون دولار، منها حوالي ٢.٩ تريليون دولار ديون افراد نتيجة التمويل العقاري، وحوالي ٤.١٨ تريليون دولار على الشركات.

(٤) تزايد تباطؤ نمو الاقتصاد الأمريكي منذ يناير ٢٠٠٨: حيث شهدت قطاعات الاسكان والتصنيع وحركة البيع والشراء ضعفا في انشطتها نتيجة ارتفاع أسعار المواد والسلع الأولية والطاقة.

(٥) ارتفاع معدلات التضخم التي تجاوزت ٥.٤٪ علاوة على ارتفاع معدلات البطالة إلى ١.٥٪: وفقدان أكثر من ٣ مليون شخص لوظائفهم بمعدل ٨٠.٠٠٠ وظيفة شهريا لتصل اجمالي ما فقدوا وظائف في الاقتصاد الأمريكي بسبب أزمة الرهن العقاري حتى مايو ٢٠٠٨ أكثر من نصف مليون شخص وقد ارتفع هذا العدد إلى أكثر من ٥.٣ مليون عاطل في ١٢/٠٣/٢٠٠٩.

¹⁰ عماد موسى، "أثر الأزمة المالية العالمية على الدول العربية: قناة أسواق رأس المال"، *اللتقى الدولي حول: "القطاع الخاص في التنمية: التقييم واستشراف"*، بيروت (لبنان)، ٢٠٠٩.

¹¹ ابراهيم عبد الله عبد الرؤوف، "انعكاسات الأزمة المالية العالمية على الاقتصادي: نظرة عامة"، *المؤتمر السنوي الثالث عشر حول: "الجوانب القانونية والاقتصادية للأزمة المالية العالمية"*، المنصورة (مصر)، ٢٠٠٩.

٦) انخفاض المؤشر العام لثقة المستهلكين إلى أدنى مستوى له عام ١٩٩٢: وذلك نتيجة تخوف المستثمرين، حيث تراجع كل من مؤشر النشاط الصناعي في نيويورك، ومؤشر الطلب على الاستهلاك إلى أدنى قيمة لهما منذ أكتوبر ٢٠٠١، كما انخفض معدل استخدام الطاقة الإنتاجية لأدنى مستوى له.

٧) تراجع تحويل رؤوس الأموال إلى الولايات المتحدة الأمريكية بحوالي ٥٠٪: لدرجة أن تحويل رؤوس الأموال أصبح كافياً فقط لمجرد سد العجز في الميزان التجاري الأمريكي، الذي بلغ حوالي ٦٠ مليار دولار.

٨) تراجعت عمليات بناء المساكن نسبة ٦٠٪: لتصل إلى ٦٥.١ مليون وحدة سنوياً، مقارنة بالمعدل السنوي المسجل وهو ٧١.١ مليون وحدة، كما تراجع عدد تصاريح البناء إلى ٩٧٨ ألف وحدة مقابل ٦١.١ مليون وحدة، وتراجعت كذلك معها أسعار المساكن.

٩) الهبوط السريع في سعر العملة الأمريكية مقابل العملات الرئيسية الأخرى في العالم: وخاصة الين واليورو، وهذا ما أدى لتزايد التحول عن التعامل بالدولار سواء من قبل الأفراد أو الدول.

١٠) تراجع أرباح البنوك الأمريكية: وذلك بعد انعدام مبالغ كبيرة من الديون العقارية التي لم تتمكن من تحصيلها، وتوالى إعلان انهيار صناديق التحوط التابعة لعدد من البنوك، بسبب القروض العقارية الرديئة وحدثت عمليات بيع واستحواذ في الجهاز المصرفي بأسعار متدنية جداً بعد تراجع أسعار أسهم المصارف بشكل كبير.

١١) زيادة المشتريات الأجانب لحصص في الشركات والمصانع الأمريكية: ذلك بسبب تراجع أسعار الأسهم وتراجع قيمة الدولار، حيث بلغت هذه المشتريات حوالي ٤١٤ مليار دولار في نهاية الربع الأول من ٢٠٠٨، وذلك بنسبة زيادة حوالي ٩٠٪ مقارنة بنفس الفترة من عام ٢٠٠٦.

أساليب معالجة الأزمة المالية أمريكياً:

تبلورت أساليب مواجهة الأزمة أمريكياً فيما عرف بخطة الانقاذ الأمريكية التي صاغها وزير الخزانة الأمريكية "هنري بولسون"؛ إذ تعتبر هذه الخطة أكبر خطة انقاذ

في التاريخ من حيث الأهمية والحجم والأموال المخصصة للإنقاذ وقد تم عرض هذه الخطة على مجلس النواب الأمريكي لإقرارها يوم ٢٠/٠٩/٢٠٠٨، ولكنها رفضت من قبل ٢٢٨ ووافق عليها ٢٠٥ نائباً، وبعد ذلك أن أدخلت عليها بعض التعديلات وعرضت على مجلس الشيوخ في ٢/١٠/٢٠٠٨، بحيث تم إقرارها في هذا المجلس ووافق عليها ٧٤ ورفضها ٢٥ من الأعضاء، وأعيد عرض الخطة على مجلس النواب يوم ٢٣/١٠/٢٠٠٨، وتم الموافقة عليها بحيث أقرها ٢٦٣ وعارضها ١٧١ عضواً، وإن جوهر خطة الإنقاذ الأمريكية هو أن تشتري الدولة أصولاً هالكة مرتبطة بالرهون العقارية بقيمة ٧٠٠ مليار دولار^{١٧}، وقد كان الغرض من هذه الأخيرة إنقاذ النظام المالي الأمريكي، بعد أزمة الرهن العقاري التي أثرت على قطاع البنوك والأسواق المالية الأمريكية المهددة بانهيار الاقتصاد الأمريكي وتهدف الخطة إلى^{١٨}:

- تأمين حماية أفضل للمدخرات والأموال العقارية التي تعيد إلى دافعي الضرائب.
- حماية الملكية وتشجيع النمو الاقتصادي وزيادة عائدات الاستثمارات إلى أقصى حد ممكن.
- كما تهدف إلى مواجهة أخطر أزمة عقارية شهدتها الولايات المتحدة منذ تعرضها لأزمة الكساد الكبير عام ١٩٢٩، لمساعدة المقترضين الذين يواجهون صعوبات في تسديد أقساطهم عن طريق رفع سقف القروض العقارية التي بإمكانهم تقاضيها مقابل ضمانات عامة.

ولقد عارض الرئيس الأمريكي "جورج بوش" في بداية الأمر خطة الإنقاذ المالي؛ فقد رأى فيها إنقاذاً لمقترضين، والمقرضون الذين لا يشعرون بالمسؤولية، ولكنه بعد ذلك التراجع عن التهديد باستخدام الفيتو (حق النقض) ضد الخطة بعد قول وزير الخزانة الأمريكية "هنري بوسون" بأن دعم شركتي (فاني ماي) و(فريدي ماك) هو أمر ضروري لتهدئة الأسواق المحلية والخارجية، واعتمد مجلس الشيوخ نص خطة الإنقاذ بأغلبية ٧٢ صوتاً مقابل معارضة ١٣ صوتاً عقب موافقة مجلس النواب^{١٩}.

^{١٧} يوسف أبو فارة، "قراءة في الأزمة المالية العالمية ٢٠٠٨"، <http://iefpedia.com/.../9-pdf>، ١٢/٠٣/٢٠١٣.

^{١٨} عبد المطلب عبد المجيد، الديون المصرفية المتعثرة والأزمة المالية المصرفية العالمية: أزمة الرهن العقاري الأمريكية، الدار الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٩، ص ٣٣٧-٣٣٨.

^{١٩} ويكيبيديا، "الأزمة المالية العالمية ٢٠٠٧-٢٠١٢"، <http://www.ar.wikipedia.org>، ١٣/٠٢/٢٠١٣.

على المستوى الأوروبي:

آثار الأزمة المالية العالمية على المستوى الأوروبي:

شهدت أوروبا أوضاعاً سيئة في القرن ٢١ وخاصة في ظل الأزمة المالية العالمية الأمريكية؛ إذ أخذت أكبر المؤسسات المالية التي كان يشار لها بالبنان جذورها تمتد إلى فترة (ح.ع) ٢٠ تتهاوى وتتلاشى^{٢٠}، بحيث سجلت أوروبا تراجع مؤشر كل من داكس الألماني وكاك الفرنسي وميبتل الإيطالي وفوتسي البريطاني، متجاوزة الهبوط الذي عقب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ كما عادت البورصات إلى مستواها قبل ٥ سنوات وبذلك فقدت الأسهم الأوروبية نحو ٤٤٪ من قيمتها منذ بداية ٢٠٠٨، وانخفض اليورو مقابل الدولار وتعمقت المخاوف من أزمة الائتمان برغم خفض معدلات الفائدة على اليورو وضخ المزيد من السيولة في النظام المصرفي^{٢١}، وهذا وقد هبط الانتاج الصناعي الأوربي في مايو ٢٠٠٨ بمعدل ١.٩٪، وهو الانخفاض الأكثر حدة في شهر واحد منذ أزمة سعر الصرف في ١٩٩٢، وقد سجل الاقتصاد الأوربي في الربع الثاني من العام انخفاضاً قدره ٠.٢٪، على سبيل المثال ارتفعت حالات البطالة في الاقتصاد البريطاني حسب إحصاءات "مكتب الإحصاءات القومية" إلى ٩٠٤.٩٠٠، بزيادة حوالى ٣٢.٥٠٠ حالة وذلك في أغسطس ٢٠٠٨، بينما شهد الاقتصاد الأيرلندي في الربع الأول من العام انكماشاً في إجمالي الناتج المحلي قدره ١.٥٪، وهى السابقة الأولى لها منذ عام ١٩٨٣، وكذلك انكماشاً قدره ٠.٥٪ في الربع الثاني لتصبح بذلك أيرلندا أولى دول الاتحاد الأوربي دخولاً في الكساد الاقتصادي، أما أسبانيا فقد نجحت في تجنب الانكماش في النشاط الاقتصادي ولكنها بالرغم من ذلك قد عانت من ارتفاع شديد في معدلات البطالة حيث وصلت إلى ٩.٩٪، فقد ازدادت حالات البطالة في الاقتصاد الأسباني بنحو ٤٢٥ ألف حالة عن ٢٠٠٧، وكل تلك الظواهر الخاصة بالأزمة انتقلت بدورها إلى الدول الأخرى مثل بلجيكا والنمسا وألمانيا والسويد والدانمرك وغيرهم من الدول الأوروبية^{٢٢}.

^{٢٠} François Lenglet, *La crise des années 30 est devant nous*, PERRIN, France, 2008, P:121.

^{٢١} يونسى صبرينة، "أزمة الرهن العقاري: الخصائص، الآثار والأفاق"، *المنظر الدولي حول: "الأزمة المالية والاقتصادية الدولية والحوكمة العالمية"*، سطيف (الجزائر)، ٢٠٠٩.

^{٢٢} عبد الله شحاته، "الأزمة المالية العالمية: المفهوم والأسباب"، www.pidegypt.org/download/from.../15.pdf، ٢٧/٠٣/٢٠١٣.

أساليب مواجهة الأزمة المالية العالمية أوروبا:

بدأت مواجهة الأزمة المالية في أوروبا بتحركات أحادية من الدول الأوروبية، تفتقر إلى التنسيق والموحد وإن توافقت فيما بينها في الإستراتيجية التي تحكمها ثم تطور الأمر بعد ذلك إلى إدراك أهمية التنسيق المشترك، لاتخاذ مواقف متناسقة بين هذه الدول في مواجهة الأزمة المالية.

(١) **تحركات الأوروبية الأحادية في مواجهة الأزمة المالية:** بحيث قامت المملكة المتحدة بتخصيص ما مقداره ٣٧ مليار جنيه إسترليني، أي ما يعادل ٦٣.١ مليار يورو لاستعمالها في شراء أسهم البنوك المتعثرة مثل Lloyd TSB و Royal Bank of Sestland في حالة ما إذا كان المستثمرون الخواص أحجموا عن شراء بعض هذه الأسهم، فوجدت الدولة نفسها مساهمة بحوالي ٦٠٪ من إجمالي أسهم هذه المؤسسات، إضافة إلى أن الحكومة البريطانية ستقوم بضمان ما قيمته ٢٥٠ مليار جنيه إسترليني من ديون البنوك المتعثرة باستحقاقات، أما ألمانيا فهي تخطط لإصدار سندات عمومية بقيمة ١٠٧.٣ مليار يورو لشراء حصص رأسمالية في رأس مال البنوك المتعثرة، إضافة إلى ضمان ديون بقيمة ٤٠٠ مليار يورو، فالحكومة الألمانية لم تحدد بعد الجهات البنوك التي ستستفيد من هذا الدعم ولكن المرجح حاليا هو أن بعض هذه الأموال ستستعمل من طرف البنوك مثل Landsbanken أو المقرضين الإقليميين، وبالأخص البنوك التي تأثرت بأزمة "subprime"، أما الحكومة الفرنسية فقد قررت دعم البنوك بمبلغ ٤٠ مليار يورو وضمان الديون المتعثرة بما قيمته ٣٢٠ مليار أورو، وكذلك الحكومة الإسبانية قررت ضمان الديون المتعلقة بالبنوك بمبلغ ١٠٠ مليار أورو، وفور إعلان الدول الأوروبية الدول الأوروبية على مخطط ضمان الديون المتعثرة، ارتفعت تكاليف ضمان الديون لهذه الدول، فالديون البريطانية ارتفعت في خلال ثلاثة أيام من ٤١ ألف جنيه إلى ٤٧ ألف جنيه بخصوص ضمان مبلغ ١٠ ملايين جنيه لمدة خمس سنوات، وارتفعت تكلفة ضمان الدين الألماني من ٢٣ ألف يورو إلى ٢٧ ألف يورو في ظرف ثلاث أيام والخاص بضمان دين قدره ١٠ ملايين يورو لمدة خمس سنوات.^{٢٣}

^{٢٣} عبد القادر بلطاس، تداعيات الأزمات المالية العالمية: أزمة sub-prime، ليجند، الجزائر، ٢٠٠٩، ٧٥-٧٦.

٢) التحرك الأوروبي المنسق والمشارك في مواجهة الأزمة المالية العالمية: وجه البرلمان الأوروبي طلباً رسمياً للجهاز التنفيذي الأوروبي، لإعداد تشريعات جديدة، تعمل على ضبط عمل المصرف في أوروبا، على خلفية الأزمة المالية بأغلبية كبيرة (بموافقة ٥٦٥ صوتاً ومعارضة ٧٤ وامتناع ١٨ من النواب عن التصويت)، وشدد البرلمان الأوروبي على ضرورة وضع قواعد صارمة، لمراقبة حركة الأسواق المالية، وضمان استمرار فاعليتها، ودعم الدور الذي تلعبه البنوك المركزية الأوروبية في حركة السوق، واعتماد مبدأ الشفافية والمحاسبة، وسرعة تطبيق الضمانات على الودائع المصرفية بشكل متناسق بين الدول الأعضاء، وضرورة تشييط وضبط عمل وكالات التصنيف الائتماني، وبناء عليه عقدت في باريس قمة مصغرة عام ٢٠٠٨ حضرتها الدول الأربعة الأوروبية في مجموعة السبع الصناعية، وهي فرنسا وألمانيا والمملكة المتحدة وإيطاليا، بهدف إعداد "تشخيص ورؤية وخطة عمل" يمكن أن تشكل قاعدة لاجتماع وزارة المالية الأوروبيين في لوكسبورغ يومي ٧ - ٨ أكتوبر التالي لتلبية لدعوة سابقة من الرئيس الفرنسي للنظر في "إعادة بناء الرأسمالية" على أسس جديدة، تتحلّى بالشفافية وبالمسؤولية، واقترحت بريطانيا في هذه القمة إنشاء صندوق أوروبي برأس مال يصل إلى ١٢ مليار جنيه استرليني لمساعدة المؤسسات الصغرى، في حين ركزت فرنسا على ضرورة تبني خطة من شقين: الأول في المدى القصير يركز على حماية القطاع المصرفي الأوروبي من الإفلاس وطمأننة المودعين ودعم الثقة بالبنوك الأوروبية من خلال وقوف الحكومات بجانب البنوك في هذه الأزمة، أما الشق الآخر فهو على المدى البعيد ويركز على ضرورة بناء "الرأسمالية المالية" على أسس جديدة^{٢٤}.

على المستوى العربي:

آثار الأزمة المالية العالمية على الدول العربية:

انعكست الأزمة المالية الأمريكية على معظم اقتصاديات دول العالم وبما أن الدول العربية جزء من منظومة الاقتصاد العالمي فإنها سوف تتأثر سلباً بهذه الأزمة، بل

^{٢٤} عبد الغاني بن علي، "أزمة الرهن العقاري وأثرها في الأزمة المالية العالمية"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة دالي ابراهيم، الجزائر، ٢٠٠٩/٢٠١٠، ص ١٥٣-١٥٤.

في واقع الأمر قد تأثرت بالفعل، ومدى تأثر الدول العربية يعتمد على حجم العلاقات الاقتصادية المالية بين الدول العربية والعالم الخارجي، وفي هذا الإطار يمكننا تقسيم الدول العربية إلى ثلاثة مجموعات من حيث مدى تأثرها بالأزمة وهي:

المجموعة الأولى: هي الدول العربية ذات الانفتاح الاقتصادي والمالي المرتفعة وتشمل مجلس التعاون الخليجي العربية، تمثل صادرات هذه المجموعة نسبة كبيرة من الناتج المحلي، والنفط هو المصدر الرئيس للدخل الوطني، وقد لوحظ جراء تداعيات الأزمة انخفاض أسعار النفط من حوالي ١٥٠ دولارا للبرميل في شهر يوليو/تموز الماضي إلى حوالي ٧٧ دولارا للبرميل حاليا أي انخفاض بنسبة ٥٠٪، ومما لاشك فيه أن هذا الانخفاض الحاد سيؤثر على وضع الموازنات العامة القادمة وعلى معدلات النمو الاقتصادي؛ إذ إن معدلات النمو في النصف الثاني من ٢٠٠٨ و ٢٠٠٩ ستخضع مقارنة بمعدلات ٢٠٠٧ والنصف الأول من ٢٠٠٨، ومن ناحية أخرى يلاحظ أن النشاط المالي لدول مجلس التعاون الخليج في العالم الخارجي كبير، من حيث تم استثمار جزء لا يستهان به من عوائد النفط، وحيث يلاحظ أن دول الخليج أصبحت تمتلك صناديق ثروات سيادية تستثمر في الخارج خصوصا في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا^{٢٥}.

المجموعة الثانية والثالثة: وهي الدول العربية ذات درجة الانفتاح المتوسط وذات الانفتاح المنخفض، **فالأولى** تعبر عن مجموعة الدول العربية غير النفطية وتشتمل على (مصر، الأردن، لبنان، المغرب، سوريا وتونس) وهذه البلدان تحتوي على اقتصاديات أكثر تنوعا ولكنها ضعيفة في حقيقة الأمر، كما مرتبطة بعمق بالاقتصاد العالمي ويعتمد على الواردات سواء بالنسبة للاستهلاك أو الاستثمار فضلا عن ذلك فإن التصدير والاستثمار الأجنبي المباشر، والتحويلات المالية والسياحة تلعب دورا رئيسيا في النمو الاقتصادي وخلق فرص عمل في هذه الدول، وهذه التي تواجه بالأساس ارتفاع معدلات البطالة والعجز الخارجي ليس لديها ليس لديها ما يكفي من الطلب المحلي للتخفيف من الانخفاض في الطلب الخارجي، ففي ظل انخفاض القوة الشرائية المحلية، ونقص الموارد فلا تستطيع حكومات تلك الدول البدء في مشروعات استثمارية كبرى يضاف إلى ذلك عنصر جديد في الأزمة ناجم عن الهشاشة النسبية للقطاع المصرفي الذي يعتمد

^{٢٥} كنجو كنجو وآخرون، الأزمة المالية العالمية والأفاق المستقبلية، الجزء الرابع، مرجع سابق، ص ٢٠٧-٢٠٨.

بشدة على البنك المركزي، وأما الثانية فتشتمل البلدان الفقيرة (السودان، اليمن، موريتانيا، جيبوتي، الصومال، جزر القمر)، وقد تم التخلي عن تلك الدول التي تعاني أصلاً من مشكلات اقتصادية واجتماعية وتركت لتواجه الأزمة وحدها في ظل دعم دولي ضعيف، وعليه فمن المرجح أن يزداد الفقر والتوترات الاجتماعية في تلك البلاد سواء في ظل عدم القدرة النظم القائمة على ضمان الحد الأدنى من التنسيق للتعامل مع الركود العالمي، وعليه فإن هذه البلدان بحاجة إلى إعالة انفسهم من أجل التغلب على الأزمة وإدارة عواقبها^{٢٦}، وعلى العموم فيمكن حصر تأثير الأزمة المالية على دول المجموعتين وإن كانت أقل تأثراً بالأزمة من سابقتها، وذلك نظراً لعدم اندماجها في التجارة العالمية بسبب فقرها ووضعها الاقتصادي، في النقاط التالية^{٢٧}:

- ارتفاع معدلات التضخم عن مستويات القياسية التي تناولت خصوصاً أسعار العقارات والمساكن، بسبب التضخم المستورد من الخارج وانعكس ذلك زيادة في أسعار المواد الغذائية و مواد البناء.
- خسارة بعض هذه الدول التي لحقت بصناديقها السيادية المتواضعة نسبة لدول الخليج مثل ليبيا والجزائر.
- ضياع أموال هذه الدول المستثمرة في أمريكا وانعكاس ذلك على المواطن العادي في راتبه التقاعدي وفي مجالات الصحة والغذاء؛ لأن هذه الدول لا تمتلك مصدراً ثابتاً يدر عليها أموالاً كدول الخليج.
- توقع ضعف المعونات الخارجية من دول الغرب وصندوق النقد والبنك الدوليين، التي تعتمد عليها عدد من هذه الدول، كالمعونات المقدمة من (و.م.أ) لكل من مصر والأردن وغيرهما.

^{٢٦} مهدي محمد القصاص، "الأزمة المالية العالمية وأثرها على الدول العربية"، <http://www.medadcenter.com/articles/show.aspx?id=316>، ٢٠١٣/٠٣/٢٩.

^{٢٧} علاء أبو صالح، "أثر الأزمة المالية العالمية على البلدان العربية"، http://alaa-abu-saleh.blogspot.com/2009/01/blog-post_07.html، ٢٠١٣/٠٣/٢٩.

أساليب مواجهة الأزمة عربياً:

يلاحظ أنه رغم تأثر الدول العربية بالأزمة العالمية سواء بصورة مباشرة من خلال التأثيرات المباشرة أو بصورة غير مباشرة، وعليه فقد لاحت في الأفق العديد من المقترحات والتصورات لعل من أهمها^{٢٨}:

- تقوية المستهلك العربي لإكسابه القدرة على الإنفاق وزيادة الطلب على السلع والخدمات العربية.
- زيادة تدفق الاستثمارات العربية -العربية داخل المنطقة العربية.
- إنشاء هيئة عربية مستقلة للتمويل بين الدول العربية بمشاركة مالية من الدول العربية والبنوك المركزية والغرف التجارية والقطاع الخاص عموماً لتسيير التمويل لمستثمر القطاع الخاص لإقامة مشروعات زراعية وصناعية وخدمية لزيادة حجم الطلب على السلع العربية ومضاعفة حجم التجارة البيئية، وتقوم هذه الهيئة بإنشاء صندوقين أولهما لتمويل المشروعات الصغيرة بتقديم قروض تجارية ميسرة للحد من البطالة وقروض للحد من الفقر وتدار كل هذه الصناديق والهيئة على أسس اقتصادية سليمة وكل دولة حسب مساهمتها أو نصيبها في الهيئة ورأس المال المقترح للهيئة مليار.
- إنشاء صندوق للطوارئ، مهمته إطفاء ما أشعلته الأزمة المالية من حرائق إذا ما انهار بنك كبير بدولة أو اهتزت دعائمها المالية فيسعى إلى مساعدتها لتثبيت نظامها المالي والصندوق المقترح برأس مال ٧٠ مليار دولار.
- الاتجاه إلى استثمار العيني المحلي العربي في الموارد الطبيعية وعمل منظومة نقل سلك حديدية واستصلاح أراضي حسب طبيعة كل دولة حيث تعتبر المنطقة العربية منطقة عجز غذائي ضخم جداً وكذلك الاتجاه إلى الاستثمار في الصناعات التحويلية.
- العمل على وضع خطة عمل على المستوى كل دولة لمواجهة الآثار المباشرة وغير المباشرة بالأزمة على الدولة الواحدة وتعمل بالأساس على تقوية دور البنك المركزي وزيادة قدرته على الرقابة المصرفية.

^{٢٨} عبد المطلب عبد المجيد، الديون المصرفية المتعثرة والأزمة المالية المصرفية العالمية: أزمة الرهن العقاري الأمريكية، مرجع سابق، ص ٣٦١.

- العمل على تحقيق العدالة الاجتماعية وإعادة توزيع الدخل والثروة عربيا.
- العمل على زيادة الدخول والأجور وإعداد هياكل جديدة للأجور عربيا.
- زيادة مشروعات البنية الأساسية والتنسيق فيما بين الدول العربية في هذا المجال.
- دعم وتقوية المشروعات الصغيرة والمتوسطة على مستوى كل دولة.

ثالثاً : النظام المالي الإسلامي كحل للأزمة

في ظل تنامي آثار الأزمة المالية العالمية وتجدها بين لحظة وأخرى اتجهت الجهود على المستوى القطري والدولي محاولة الخروج من هذه الأخيرة واختيار الطريق الملائم لمعالجتها إلا أنها ازدادت تعقيدا وسوءا، وفي طريق البحث عن منهج جديد لتعالي من الآثار الوخيمة التي خلفتها الأزمة، بدأ علماء الاقتصاد في العالم يتجهون نحو الإسلام لإيجاد ضالهم فيه واهتموا بدراسة الاقتصاد الإسلامي منهجا ونظما وفكرا وتطبيقاً^{٢٩}.

الضوابط والقواعد التي يقوم عليها النظام المالي الإسلامي :

يقوم النظام المالي والاقتصادي الإسلامي على مجموعة من القواعد التي تحقق له الأمان والاستقرار وبذلك تقليل المخاطر بالمقارنة مع النظم الوضعية التي تقوم على نظام الفائدة والمشتقات المالية أهمها ما يلي^{٣٠}:

(١) **القيم والمثل والأخلاق**: يقوم النظام المالي والاقتصادي الإسلامي على منظومة من القيم والمثل والأخلاق مثل الأمانة والمصداقية والشفافية والتعاون والتكامل....، فلا اقتصاد إسلامي بدون أخلاق ومثل، وتعتبر هذه المنظومة من الضمانات التي تحقق الأمن والأمان والاستقرار لكافة المتعاملين، وفي نفس الوقت تحرم الشريعة الإسلامية المعاملات المالية والاقتصادية التي تقوم على الكذب والمقامرة وأكل أموال الناس بالباطل....، ويعتبر الالتزام بالقيم الإيمانية والأخلاقية عبادة لله يثاب عليها المسلم وتضبط سلوكه سواء كان منتجا أو مستهلكا، بائعا أو مشتريا وذلك في حالة الزواج والكساد وفي حالة الاستقرار أو في حالة الأزمة.

^{٢٩} حسين حسن شحاته، إدارة الأزمات الاقتصادية (مواقف من حياة الرسول ﷺ)، www.fiseb.com، ٢٠١٣/٠٤/٠٨.
^{٣٠} زكرياء بله باسي، "الجنور وأبرز الأسباب والعوامل المحفزة، والدروس المستفادة من منظور الاقتصاد الإسلامي"، مرجع سابق.

(٢) **قاعدة المشاركة:** يقوم النظام المالي والاقتصادي الإسلامي على قاعدة المشاركة في الربح والخسارة وعلى التداول الفعلي للأموال والموجودات، ويحكم ذلك ضوابط الحلال الطيب والأوليات الإسلامية وتحقيق المنافع المشروعة والغنم والغرم، والتفاعل الحقيقي بين أصحاب الأموال وأصحاب الأعمال والخبرة والعمل وفق ضابط العدل والحق وبذل الجهد هذا يقلل من حدة أي أزمة حيث لا يوجد فريق رابح دائماً وأبداً وفريق خاسر دائماً أبداً، بل المشاركة في الربح والخسارة، ولقد وضع الفقهاء وعلماء الاقتصاد الإسلامي مجموعة من عقود الاستثمار والتمويل الإسلامي التي تقوم على ضوابط شرعية، كما حرمت الشريعة الإسلامية كافة عقود التمويل بالاستثمار القائمة على التمويل بالقروض بفائدة والتي تعد من الأسباب الرئيسية للأزمة المالية العالمية الحالية.

(٣) **تحريم المشتقات المالية:** حرمت الشريعة الإسلامية نظام المشتقات المالية والتي تقوم على معاملات وهمية يسودها الغرر والجهالة، ولقد كيّف فقهاء الاقتصاد الإسلامي مثل هذه المعاملات على أنها من المقامرات المنهي عنها شرعاً، ولقد أكد الخبراء وأصحاب البصيرة من علماء الاقتصاد الوضعي أن من أسباب الأزمة المالية العالمية المعاصرة هو نظام المشتقات المالية لأنها لا تسبب تنمية اقتصادية حقيقية، بل هي وسيلة من وسائل خلق النقود التي تسبب التضخم وارتفاع الأسعار كما تقود إلى أردل الأخلاق، كما أنها تسبب الانهيار السريع في المؤسسات المالية التي تتعامل بمثل هذا النظام.

(٤) **تحريم بيع الدين بالدين:** لقد حرمت الشريعة الإسلامية كافة صور وصيغ وأشكال بيع الدين بالدين مثل: خصم الأوراق التجارية وخصم الشيكات المؤجلة السداد كما حرمت نظام جدولة الديون مع رفع سعر الفائدة، ولقد نهى رسول الله (ص) عن بيع الكالئ بالكالئ (بيع الدين بالدين)، ولقد أكد خبراء وعلماء الاقتصاد الوضعي أن من أسباب الأزمة المالية المعاصرة هو قيام بعض شركات الوساطة المالية بالتجارة في الديون مما أدى إلى اشتعال الأزمة وهذا ما حدث فعلاً.

(٥) **مبدأ التيسير على المقترض:** يقوم النظام المالي والاقتصادي الإسلامي على مبدأ التيسير على المقترض الذي لا يستطيع سداد الدين لأسباب قهرية، وذلك لقوله

تعالى: "وإن كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون" البقرة: ٢٨٠، في حين أكد علماء وخبراء النظام المالي والاقتصادي الوضعي أن من أسباب الأزمة توقف المدين عن السداد، وقيام الدائن برفع سعر الفائدة، أو تدوير القرض بفائدة أعلى أو تنفيذ الرهن على المدين وتشريده وطرده ولا يرقب فيه إلا ولا ذمة وهذا يقود إلى أزمة اجتماعية وإنسانية تسبب العديد من المشكلات النفسية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغير ذلك.

العلاج بناء على المرتكزات الاقتصادية الإسلامي:

إن حلول الأزمة التي تركز على المبادئ الاقتصادية الإسلامي تتمحور حول^{٣١}:

(١) إلغاء "الفائدة الربوية" من التعاملات المالية: وقد أثبتنا ذلك ضمنا في عنصر "المصيدة الكنزية"، والاعتماد قاعدة "الخراج بالضمان" و "كل قرض جر منفعة فهو ربا محرم"، والله عز وجل لم يعلن الحرب صراحة في القرآن إلا في قوله عز وجل: "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ودرؤا ما بقي من الربا إن كنت مؤمنين، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون" البقرة: ٢٨٧- ٢٨٨.

(٢) تحصين "الإنفاق الاستهلاكي": بتناسب الدخل بحجم العمل الحقيقي، المفضي لإنتاج سلع مالية، مع ضرورة إعطاء العامل الكادح مكانته، وحقوقه دون استغلال لجهده وعرقه وكرامته.

(٣) تفتيت الثروات المكتتزة: بالزكاة كأحد أهم الأدوات السياسية المالية للمساهمة في تنشيط الطلب الاستهلاكي عن طريق الإنفاق الحكومي في مصارف الزكاة الثمانية التي حددها القرآن.

(٤) اتباع صيغ البيوع الإسلامية المبنية على رضى الطرفين "البائع والمشتري": بما يحقق لهما الاستفادة المتبادلة، مبتعدين عن الغرر والاستغلال والغبن، وكل ما يخرج البيوع من مقاصدها الحقيقية، ليبقى البيع محصنا من دخن الربا، قال تعالى: "وأحل الله بيع وحرم الربا" البقرة: ٢٧٥.

^{٣١} فوزي محريق وعبة عبد اللاوي، "الأزمة المالية العالمية بين: الحرية الاقتصادية للرأسمالية المنفلتة ورؤى النظام الاقتصادي الإسلامي"، اليوم الدراسي حول: "الأزمة المالية العالمية الراهنة: مفهوما، أسبابها وانعكاساتها"، الوادي (الجزائر)، ٢٠٠٩، ص ٧٩.

٥) على الدولة أن تضع ضوابط للمعاملات الاقتصادية: بصورة عامة والمالية بصورة خاصة، تشرف من خلالها على المؤسسات والأسواق في إطار الحرية المنضبطة التي يقوم عليها الاقتصاد الإسلامي.

أساليب التمويل البديلة الإسلامية :

توجد العديد من صيغ وأساليب التمويل الاسلامي، ويمكن حصر أهمها فيما يلي:

صيغ البيوع:

وتشتمل على الصيغ التالية:

١) **بيع السلم:** وهو أن يدفع ثمن السلعة عاجلاً (نقدًا) ليتم تسليم السلعة آجلاً (أو سلمًا أي بعد حين)، وتلجأ المصارف الإسلامية لتمويل المزارعين غالباً، بحيث يمول المصرف المزارع بالشراء منه سلماً ثم يقوم ببيع المحصول المشتري بعد استلامه (بسعر أعلى طبعاً) نقداً أو آجلاً ويكسب المصرف الفرق بين الثمنين^{٣٢}.

٢) **بيع الاستصناع:** الاستصناع في اللغة الصنع والطلب، وفي الاصطلاح الفقهي طلب عمل شيء خاص، على وجه مخصوص مادته من الصانع، فإذا قال شخص لآخر من أهل الصنائع: اصنع لي الشيء الفلاني بالأوصاف التالية بكذا وكذا، وقيل الصانع ذلك كان استصناعاً، وبناء عليه فإن الاستصناع عقد مع صانع على عمل شيء في الدَّمة، كالاتفاق مع نجار على صناعة أو مقاعد...، وقد أصبح للاستصناع في عصرنا الحاضر أهمية كبيرة، حيث اتجه الناس إليه في بناء السفن وغير ذلك من المصالح والحاجات، فصار هذا العقد من أهم العقود الدولية والمحلية في مجال الصناعة، وأدى ذلك إلى تنشيط حركة التبادل والتعامل وتسهيل المعاملات على كل من الصانع والمستصنع في المعامل والمصانع المختلفة^{٣٣}.

٣) **بيع المرابحة:** المرابحة وهي أحد أنواع بيوع الأمانة الجائزة شرعاً وتقوم أساساً على كشف البائع الثمن الذي اشترى به السلعة وتعرف بأنها بيع السلعة بالثمن الذي اشترى به مع زيادة ربح معلوم، ومن شروط بيع المرابحة:

• أن يكون الثمن الأول معلوماً.

^{٣٢} محمد سامر الفصار، الأزمة المالية العالمية: دلائل اقتصادية على سطوع المنظومة الإسلامية من بين أنقاض الرأسمالية، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٩.

ص ٦٦.

^{٣٣} مصطفى محمود عبد السلام، "مخاطر صيغ التمويل الإسلامية"، <http://www.albayan.co.uk/MGZarticle2.aspx?ID=2091>، ٢٠١٦/٠٤/٠٤.

- ان يكون الربح محددًا بالمقدار أو بالنسبة للثمن الأول.
- تبيان ما يكره في السلعة المباعة.
- بيان الأجل الذي اشترى إليه، لأن له حقه في الثمن.

وقد برزت مؤخرا صيغة جديدة في بيع المرابحة، هي بيع المرابحة للأمر بالشراء، وهي الصيغة المستحدثة والمتبعة في البنوك الإسلامية فتبدأ من عند العميل الذي يطلب من البنك تمويل شراء سلعة معينة ليست موجودة في حوزة البنك على أساس أن يقدم وعداً بأن يشتري تلك السلعة من البنك بسعر التكلفة مضافاً إليها الربح الذي يتفق عليه، فالمرابحة للأمر بالشراء أن يقوم البنك الإسلامي بتنفيذ طلب الزبون أو العميل على أساس شراء ما يطلبه مقابل التزام العميل بشراء ما طلبه وحسب الربح المتفق عليه عند الابتداء ويجب على العميل الالتزام بالوعد بالشراء والقبض والتملك للسلعة من قبل البنك الإسلامي^{٣٤}.

صيغة المضاربة:

المضاربة وهي عبارة عن عقد شركة في الربح بالمال من جانب والعمل من جانب آخر، فالمضاربة هي أن يدفع المالك للعامل مالا ليتجر فيه، ويكون الربح مشتركا بينهما بحسب ما شرطاً، وأما الخسارة فهي على رب المال وحده ولا يتحمل العامل المضارب من الخسران شيئاً وإنما جهده وعمله، ويوجد للمضاربة نوعين فالأول هو المضاربة المطلقة وفيها يدفع رب المال للعامل في المضاربة رأس المال من غير تعيين العمل والمكان أو الزمان أو صفة العمل أو من يعامله، أما النوع الثاني فيتمثل في المضاربة المقيدة وهي التي يعين فيها رب المال للعامل بعض الشروط وذلك لضمان ماله، ويجب أن تتوفر في المضاربة مايلي^{٣٥}:

- أن يكون رأس المال من النقود.
- أن يكون رأس المال ديناً في ذمة المضارب.
- أن تكون حصة كل منهما في الربح الشائعة كالنصف والثلث مثلاً.

^{٣٤} مكتب الرياض، "صيغ التمويل المتبعة في البنوك الإسلامية"، جريدة الرياض، <http://www.alriyadh.com/2008/05/11/article3417.html>.
٢٠١٣/٠٤/١٦

^{٣٥} نورة سيد أحمد سيد أحمد مصطفى، "الحلول الإسلامية لمعالجة الأزمات المالية العالمية الراهنة"، المؤتمر السنوي الثالث عشر حول: "الجوانب القانونية والاقتصادية للأزمة المالية العالمية"، المنصورة(مصر)، ٢٠٠٩.

صيغة المشاركة:

المشاركة في اللغة وهي المخالطة، أما في المفهوم الاصطلاحي أن يشترك اثنين أو أكثر بحصة معينة في رأسمال يتجران به كلاهما والربح يوزع على حسب أموالهما أو على نسبة يتفق عليه عند العقد، لذلك فإن المشاركة هي صورة قريبة من المضاربة والفرق الأساسي بينهما أنه في حالة المضاربة يتم تقديم رأس مال من قبل صاحب المال وحده، أما في حالة المشاركة فإن رأس المال يقدم بين الطرفين، والمشاركة هي من أساليب التمويل المتميزة من حيث ملائمتها لطبيعة المصارف الإسلامية، ويمكن استخدامها في تمويل الأنشطة الاقتصادية المختلفة، وتتم عن طريق اشتراك المصرف الإسلامي مع طرف آخر لإنشاء مشروع استثماري يشترك الطرفان في إدارته وتمويله، وكذلك يتشاركان في أرباحه وخسائره بنسب متفقة مع حصة المشاركة في رأس المال، ويتميز أسلوب المصرف الإسلامي في التمويل بالمشاركة باشتراك المصرف بخبراته المختلفة في البحث عن أفضل فرص ومجالات الاستثمار التي تؤدي على ضمان نجاح المشروع وارتفاع معدل ربحيته وللمشاركة عدة أشكال هي^{٣٦}:

- (١) **المشاركة الثابتة (المستمرة):** يقوم هذا النوع على مساهمة المصرف في تمويل جزء من رأس مال مشروع معين مما يترتب عليه أن يكون شريكا في ملكية هذا المشروع وشريكا في كل ما ينتج من ربح أو خسارة (نسبة المساهمة في رأسمال) وذلك ضمن القواعد الحاكمة لشروط المشاركة.
- (٢) **المشاركة المنتهية بالتملك:** وفي هذا النوع يكون من حق الشريك أن يحل محل المصرف في ملكية المشروع إما المشروع إما دفعة واحدة أو على دفعات حسبما تقتضي الشروط المتفق عليها وطبيعة العملية.
- (٣) **المشاركة المتغيرة:** وهي البديل عن التعامل بالحساب الجاري المدين في المصارف التجارية حيث يتم تمويل العميل بدفعات نقدية حسب احتياجه ثم يأخذ البنك حصته من الأرباح الفعلية في نهاية العام وفقا للنتائج المالية للمشروع.

^{٣٦} أعمال مؤتمرات، أزمة المالية العالمية: التداعيات والآثار على اقتصاد الدول العربية، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، القاهرة، ٢٠١٠، ص ٨٥-٨٦.

صيغة الإجارة:

الإجارة وهي عقد لازم على منفعة مقصودة قابلة للبدل والإباحة لمدة معلومة بعوض معلوم، وتعتبر الإجارة صورة مستحدثة من صور التمويل في ضوء عقد الإجارة، وفي إطار صيغة تمويلية شائعة تسمح بالتيسير على الراغب في تملك الأصول المعمرة.

التحديات التي تواجه السوق المالية الإسلامية:

يلاحظ أن التمويل الإسلامي مرتبطا أساسا بالاقتصاد الحقيقي ذو المخاطر المتدنية فمخاطر التمويل الإسلامي بهذا المعنى هي إذن اقل حدة بكثير من مخاطر التمويل التقليدي بسبب تراجع وتيرة المجازفة والنهي عن التوريق الديون وكذا التعامل في المشتقات المالية المعبر عنها هذه الأيام في الغرب بالمنتجات السامة^{٣٧}، وبالرغم من ذلك فإن السوق المالية الإسلامية تواجه العديد من التحديات بذكر منها^{٣٨}:

- ضعف التعاون بين المؤسسات المالية الإسلامية، والتنسيق فيما بين المؤسسات الداعمة للصناعة المالية الإسلامية.
- عدم إطلاق برنامج ونظم إدارة الجودة للمؤسسات والمنتجات المالية الإسلامية، من خلال إقرار معايير معترف بها دوليا في مجال الجودة وتطوير المنتجات.
- انعدام الاندماج لتشكيل كيان مصرفي قادر على المنافسة، وتقليل تكلفة الخدمات، فقد لاحظ بعض الخبراء المصرفيين أن نحو ثلثي المؤسسات المالية الإسلامية تقع ما دون معايير الحد الأدنى الحرج، أي أقل من ٥٠٠ مليون دولار من الأصول.
- محدودية المنتجات الإسلامية المبتكرة والمجازة شرعا، وعدم تغيير الأنظمة الضريبية وقوانين الاستثمار غير مناسبة، وعدم معالجة التفاوت في هذه الأنظمة والقوانين من بلد إلى آخر.
- ضعف الروابط القانونية والتكنولوجية والفضية بين سواق المال المحلية وأسواق العالم.

^{٣٧} محمد بوجلال، "مقاربة إسلامية لازمة للمالية الراهنة"، مجلة اقتصاديات شمال إفريقيا، العدد: ٢٠٠٦، ص ٧٧.

^{٣٨} كمال العفري وبلحمدي سيد علي، "أهم الأزمات المالية الناتجة عن الأسواق المالية التقليدية وخيار الأسواق الإسلامية كبديل"، الملتقى الدولي الثاني

حول: "الأزمة المالية الراهنة والبدائل المالية المصرفية: النظم المصرفية الإسلامي نموذجا"، خميس مليانة (الجزائر)، ٢٠٠٩.

- العقبات التي تؤثر سلبا على مل البنوك الإسلامية العالمية في دولها، وتزيد من تكاليف منتجاتها ومقدرتها التنافسية عالميا.

الختامة:

الأزمة المالية العالمية هي نتاج طبيعي لطبيعة النظام الرأسمالي وما كان لهذه الأخيرة من بالغ الأثر على اقتصاديات الدول المتقدمة والنامية على حد سواء، وعليه فقد سعت عمالة اقتصاد العالم جاهدة في القيام بالعديد من الإجراءات وذلك بغية التخفيف من حدتها، إلا أن معظم تلك التدابير كانت تصب في مجرى النظام المالي الإسلامي الذي أثبت بأنه أقل عرضة للمخاطر بالمقارنة مع النظام الرأسمالي، وذلك كونه يقوم على المعاملات الحقيقية لا على الاقتصاد المالي وهذا ما يجعل منه النظام الأمثل، وبناء عليه فقد أصبح قيام نظام مالي إسلامي ضرورة حتمية تفرضها متطلبات البيئة الاقتصادية.

المراجع :

- (١) بن موسى كمال، "أسباب الأزمة المالية العالمية وتداعياتها"، الملتقى الوطني الخامس: الأزمة المالية العالمية على الاقتصاد الجزائري، ادرار(الجزائر)، ٢٠١١، ص ٢٢٣.
- (٢) حسين حسين شحاتة، "أزمة النظام المالي العالمي في ميزان الاقتصاد الإسلامي"، <http://www.darelmasshora.com/download.askx?docid> ، ٢٠١٣/٠٣/١٠.
- 3) 1 LAURE KLEIN, LA CRISE DES SUBPRIME, REVUE BANQUE Édition, Paris, 2008, P:101-102.
- (٤) مراد رايق رشيد عودة، "أسباب الأزمة الاقتصادية القربية والبعيدة رؤية إسلامية"، الندوة دولية حول: الأزمة المالية العالمية من منظور إسلامي وتأثيرها على الاقتصاديات العربية، القاهرة(مصر)، ٢٠٠٨.
- (٥) عامر يوسف العتوم، "أسباب الأزمة المالية العالمية"، المقترع الرابع: "بحوث الرسائل والأطروحات الجامعية"، الأردن، ٢٠١٢.
- (٦) زكرياء بله باسي، "الجدور وأبرز الأسباب والعوامل المحفزة، والدروس المستفادة من منظور الاقتصاد الإسلامي"، الملتقى الدولي حول: الأزمة المالية العالمية وكيفية علاجها من منظور النظام الاقتصادي الغربي والإسلامي، جنان(لبنان)، ٢٠٠٩.
- (٧) نبال قصبه، "أسباب حدوث الأزمة المالية العالمية والحلول المقترحة"، الندوة الدولية حول: الأزمة المالية العالمية من منظور إسلامي وتأثيرها على الاقتصاديات العربية، القاهرة(مصر)، ٢٠٠٨.
- (٨) بالرقي تيجاني، "تداعيات الأزمة المالية الاقتصادية العالمية الراهنة على اقتصاديات دول المينا وأسبابها في ضوء طروحات مفكري الاقتصاد الإسلامي"، الملتقى الدولي حول: الأزمة المالية والاقتصادية الدولية والحوكمة العالمية، سطيف(الجزائر)، ٢٠٠٩.
- (٩) فلاح شفيق، "النشاط الربوي والأزمات المالية"، <http://iefpedia.com/arab/wp-content/uploads/.../nnn.doc> ، ٢٠١٣/٠٣/٠٧.

١٠) موسى اللوزي وآخرون، الأزمة المالية العالمية والآفاق المستقبلية، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان(الأردن)، ٢٠١١، ص٥٤.

١١) حسن الرفاعي، " دور الفكر الاقتصادي الاسلامي في إدارة الأزمة الاقتصادية الراهنة"، الملتقى الدولي حول: "الأزمة المالية العالمية وكيفية علاجها من منظور النظام الاقتصادي الغربي والإسلامي"، جنان(لبنان)، ٢٠٠٩.

١٢) حسين عبد المطلب الأسرج، "تأثير الأزمة على الاقتصاد المصري"، http://halassrag.blogspot.com/2011/06/blog-post_4819.html، ٢٠١٣/٠٣/١١.

١٣) كنجو كنجو وآخرون، الأزمة المالية العالمية والآفاق المستقبلية، الجزء الرابع، الطبعة الأولى، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان(الأردن)، ٢٠١١، ص١٦٦.

١٤) آسيا سعدان وصليحة عماري، "تنامي التمويل الاسلامي في ظل الأزمة المالية العالمية دراسة حالة دول الشرق الأوسط وشمال افريقيا"، الملتقى الدولي حول: "الأزمة المالية والاقتصادية العالمية المعاصرة من منظور اقتصادي اسلامي"، عمان(الأردن)، ٢٠١٠.

١٥) عماد موسى، "أثر الأزمة المالية العالمية على الدول العربية: قناة أسواق رأس المال"، الملتقى الدولي حول: "القطاع الخاص في التنمية: التقييم واستشراف"، بيروت(لبنان)، ٢٠٠٩.

١٦) ابراهيم عبد الله عبد الرؤوف، "انعكاسات الأزمة المالية العالمية على الاقتصادي: نظرة عامة"، المؤتمر السنوي الثالث عشر حول: "الجوانب القانونية والاقتصادية للأزمة المالية العالمية"، المنصورة(مصر)، ٢٠٠٩.

١٧) يوسف أبو فارة، "قراءة في الأزمة المالية العالمية ٢٠٠٨"، <http://iefpedia.com/.../9->، ٢٠١٣/٠٣/١٢، pdf.

١٨) عبد المطلب عبد المجيد، الديون المصرفية المتعثرة والأزمة المالية المصرفية العالمية: أزمة الرهن العقاري الأمريكية، الدار الجامعية، الاسكندرية، ٢٠٠٩، ص٣٣٨-٣٣٧.

١٩) ويكيبيديا، "الأزمة المالية العالمية ٢٠٠٧-٢٠١٢"، <http://www.ar.wikipedioalgerie.dz> ، ٢٠١٣/٠٢/١٣ .

i. François Lenglet, La crise des années 30 est devant nous, PERRIN, France, 2008, P:121.

٢٠) يونسى صبرينة، "أزمة الرهن العقاري: الخصائص، الآثار والآفاق"، الملتقى الدولي حول: "الأزمة المالية والاقتصادية الدولية والحوكمة العالمية"، سطيف(الجزائر)، ٢٠٠٩.

٢١) عبد الله شحاته، "الأزمة المالية العالمية: المفهوم والأسباب"، www.pidegypt.org/download/from.../15.pdf ، ٢٠١٣/٠٣/٢٧ .

٢٢) عبد القادر بلطاس، تداعيات الأزمات المالية العالمية: أزمة sub-prime، ليجند، الجزائر، ٢٠٠٩، ٧٥-٧٦.

٢٣) عبد الغاني بن علي، "أزمة الرهن العقاري وأثرها في الأزمة المالية العالمية"، رسالة ماجستير(غير منشورة)، جامعة دالي ابراهيم، الجزائر، ٢٠١٠/٢٠٠٩، ص١٥٣-١٥٤.

٢٤) كنجو كنجو وآخرون، الأزمة المالية العالمية والآفاق المستقبلية، الجزء الرابع، مرجع سابق، ص٢٠٧-٢٠٨.

٢٥) مهدي محمد القصاص، "الأزمة المالية العالمية وأثرها على الدول العربية"، <http://www.medadcenter.com/articles/show.aspx?id=316> ، ٢٠١٣/٠٣/٢٩ .

٢٦) علاء أبو صالح، "أثر الأزمة المالية العالمية على البلدان العربية"، http://alaa-abu-saleh.blogspot.com/2009/01/blog-post_07.html ، ٢٠١٣/٠٣/٢٩ .

٢٧) عبد المطلب عبد المجيد، الديون المصرفية المتعثرة والأزمة المالية المصرفية العالمية: أزمة الرهن العقاري الأمريكية، مرجع سابق، ص٣٦١.

٢٨) حسين حسين شحاته، إدارة الأزمات الاقتصادية(مواقف من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم)، www.fiseb.com ، ٢٠١٣/٠٤/٠٨ .

٢٩) زكرياء بله باسي، "الجدور وأبرز الأسباب والعوامل المحفزة، والدروس المستفادة من منظور الاقتصاد الإسلامي"، مرجع سابق.

- ٣٠ فوزي محيريق وعبدة عبد اللاوي، "الأزمة المالية العالمية بين: الحرية الاقتصادية للرأسمالية المنفلتة ورؤى النظام الاقتصادي الإسلامي"، اليوم الدراسي حول: الأزمة المالية العالمية الراهنة: مفهومها، أسبابها وانعكاساتها، الوادي(الجزائر)، ٢٠٠٩، ص٧٩.
- ٣١ محمد سامر القصار، الأزمة المالية العالمية: دلائل اقتصادية على سطوع المنظومة الإسلامية من بين أنقاض الرأسمالية، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٩، ص٦٦.
- ٣٢ مصطفى محمود عبد السلام، "مخاطر صيغ التمويل الإسلامية"، <http://www.albayan.co.uk/MGZarticle2.aspx?ID=2091>، ٢٠١٦/٠٤/٠٤.
- ٣٣ مكتب الرياض، "صيغ التمويل المتبعة في البنوك الإسلامية"، جريدة الرياض، <http://www.alriyadh.com/2008/05/11/article3417.html>، ٢٠١٣/٠٤/١٦.
- ٣٤ نورة سيد أحمد سيد أحمد مصطفى، "الحلول الإسلامية لمعالجة الأزمات المالية العالمية الراهنة"، المؤتمر السنوي الثالث عشر حول: الجوانب القانونية والاقتصادية للأزمة المالية العالمية، المنصورة(مصر)، ٢٠٠٩.
- ٣٥ أعمال مؤتمرات، الأزمة المالية العالمية: التداعيات والآثار على اقتصاد الدول العربية، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، القاهرة، ٢٠١٠، ص٨٥-٨٦.
- ٣٦ محمد بوجلال، "مقاربة إسلامية لازمة المالية الراهنة"، مجلة اقتصاديات شمال افريقيا، العدد:٠٦، ٢٠٠٩، ص٧٧.
- ٣٧ كمال العقريب وبلحمدي سيد علي، "أهم الأزمات المالية الناتجة عن الأسواق المالية التقليدية وخيار الأسواق الإسلامية كبدل"، الملتقى الدولي الثاني حول: الأزمة المالية الراهنة والبدائل المالية المصرفية: النظرة المصرفية الإسلامية نموذجاً، خميس مليانة(الجزائر)، ٢٠٠٩.

أحاديث تخذيب الشعر بالسواد والحكم عليها

د. علوي حامد محمد بن شهاب الدين

الأستاذ المشارك في علم الحديث الشريف وعلومه بجامعة حضرموت



جامعة الأندلس
للعلوم والتكنولوجيا

Alandalus University For Science & Technology

(AUST)

أحاديث تخضيب الشعر بالسواد والحكم عليها

الملخص :

يُخَضَّب رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم؛ لعدم الحاجة.

- التابعي عبد الملك بن جريج - راوي حديث (غَيَّرُوا هذا بشيء واجتنبوا السواد) - كان يُخَضَّب بالسَّوَاد؛ مما يؤكد الفهم الصحيح للحديث، وعدم كراهة التخضيب بالسواد. وكذلك أبو الزبير الذي يروي الحديث عن جابر ينكر روايته للفظة (جنوه السواد) كما ينقل ذلك الإمام أحمد ابن حنبل.
- فعل بعض الصحابة والتابعين وأئمة السلف لتخضيب شعرهم بالسواد يؤكد عملهم بالسنة، وفهمهم لعدم كراهته ناهيك عن حرمة، وكفى بهم أسوة.
- هناك جملة من الأحاديث في النهي عن التخضيب بالسواد معظمها ضعيفة، وقد أجبنا عنها في هذا البحث، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين .

باسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله ومن والاه؛ وبعد .. فمسألة التخضيب لشيب شعر الرأس واللحية بالسواد مسألة مهمة؛ لحاجة الناس إليها؛ ولذلك كتبت هذا البحث وأسميته (أحاديث تخضيب الشعر بالسواد والحكم عليها) ويمكن تلخيصه في النقاط الآتية:

- أصل السنة الثابتة تخضيب الشيب؛ مخالفة لليهود الذين لا يُخَضَّبون الشيب.
- رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم لم يُخَضَّب شيبه؛ لقلته وعدم حاجته للتخضيب.
- الأحاديث الواردة في النهي عن التخضيب بالسواد مُتَكَلِّمٌ فيها.
- ترك التخضيب للشيب من كبار الصحابة رضي الله عنهم محمول على أنه اللاتق بشيبيهم؛ بمعنى عدم حاجتهم إليه؛ لعدم استبشاع شبيهم كما لم

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين؛ مَنْ بعثه الله رحمةً وقدوةً للمؤمنين، نبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وارضى اللهم عن صحابته أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد ...

فمسألة خضاب الشيب من شعر الرأس واللحية قد تجاذب الكلام فيها علماء السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم، فأحببت أن أجمع الأحاديث الواردة في هذه المسألة؛ لحاجة الناس إليها اليوم بترتيب يسهل على طالب العلم فهم أصل المسألة وحكمها، وقد جاء هذا البحث على النحو الآتي:

أولاً: الأحاديث الواردة في سُنِّيَّة أصل التخطيب للشعر.

ثانياً: دافع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للأمر بتخطيب الشعر.

ثالثاً: هل خضَّب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم شعر رأسه ولحيته؟

رابعاً: الأحاديث الضعيفة في نصرة التخطيب بالسواد.

خامساً: الأحاديث التي تمنع التخطيب بالسواد وموقف العلماء منها.

سادساً: ذكر جماعة من الصحابة والتابعين وعلماء السلف ممن يخضَّبون بالسواد.

والله أسأل أن أوفق للصواب فأقول متوكلاً عليه

أولاً: الأحاديث الواردة في سُنِّيَّة أصل التخطيب للشعر

(١) روى الشيخان^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم).

(٢) روى مسلم في صحيحه^(٢) من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما قال: أتى بأبي قحافة يوم فتح مكة ورأسه ولحيته كالثغامة^(٣) بياضاً، فقال رسول

(١) صحيح البخاري برقم [٣٢٧٥] وصحيح مسلم برقم [٢١٠٣] والحديث في السنن أيضاً: انظر سنن أبي داود برقم [٤٢٠٣] وسنن النسائي برقم [٥٢٤١] وسنن ابن ماجه برقم [٣٦٢١].

(٢) صحيح مسلم برقم [٢١٠٢].

(٣) الثغامة - بضم المثناة وتخفيف المعجمة - نبات شديد البياض زهره وتمره. فتح الباري (١٠/٣٥٥).

اللَّهُ صلى الله عليه وسلم: (غَيِّرُوا هذا بشيء)، وهذا اللفظ أخرجه أصحاب السنن إلا الترمذي^(٤).

(٣) روى أحمد^(٥) والترمذي^(٦) والنسائي^(٧) أن رسول الله صلى الله عليه وآله سلم قال: (غَيِّرُوا الشيب؛ ولا تشبهوا باليهود) قال الترمذي: حسن صحيح.

(٤) وأخرج الطبراني في المعجم الكبير^(٨) من حديث عتبة بن عبد رضى الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمر بتغيير الشعر؛ مخالفة للأعاجم. والحديث حسنه السيوطي^(٩).

ثانياً: دافع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للأمر بتخضير الشعر

إن دافع أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للمسلمين بتخضير الشيب من الشعر مَبِينٌ في نص الحديث الذي أخرجه الشيخان^(١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم) فتغيير الشيب غايته مخالفة أهل الكتاب؛ قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: (إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم؛ يقتضى مشروعية الصبغ؛ والمراد به صبغ شيب اللحية والرأس ولا يعارضه ما ورد من النهي عن إزالة الشيب^(١١)؛ لأن الصبغ لا يقتضى الإزالة، ثم إن المأذون فيه مُقيد لما أخرجه مسلم من حديث جابر أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: (غَيِّرُوهُ...)^(١٢).

وقد أكد مخالفة أهل الكتاب ما أخرجه الإمام أحمد ابن حنبل في مسنده^(١٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (غَيِّرُوا

(٤) انظر سنن أبي داود برقم [٤٢٠٤] تحت عنوان [باب في الخضاب] وسنن النسائي برقم [٥٠٧٦] تحت عنوان [باب النهي عن الخضاب بالسواد] وسنن ابن ماجه برقم [٣٦٢٤] تحت عنوان [باب الخضاب بالسواد].

(٥) مسند أحمد ابن حنبل برقم [١٤١٥] من حديث الزبير بن العوام ؓ.

(٦) جامع الترمذي برقم [١٧٥٢] من حديث أبي هريرة ؓ.

(٧) سنن النسائي برقم [٥٠٧٢] من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٨) المعجم الكبير برقم [٣١٦].

(٩) الجامع الصغير برقم [٤٨٢].

(١٠) صحيح البخاري برقم [٣٢٧٥] وصحيح مسلم برقم [٢١٠٣] وقد تقدم تخريجه.

(١١) يشير إلى ما أخرجه أبي داود برقم [٤٢٠٢] والترمذي برقم [٢٨٢١] والنسائي برقم [٥٠٦٨] وابن ماجه برقم [٣٧٢١] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: (نبى رسول الله ﷺ عن نفف الشيب) والحديث حسنه الترمذي.

(١٢) فتح الباري (٤٩٩/٦).

(١٣) مسند الإمام أحمد ابن حنبل برقم [١٠٤٧٧].

هذا الشيب؛ ولا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى) ومن أجل ذلك جاء الأمر من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بتغيير الشيب بأي الألوان أحبَّه المسلم؛ فقد جاء في السنن الأربعة^(١٤) من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إنَّ أحسن ما غيَّرتم به هذا الشيب؛ الحناء والكتم) قال الترمذي: حسن صحيح.

وقد أكد على سُنِّيَّة تغيير الشيب الحافظ ابن حجر العسقلاني فقال: (فمنَّ كان في مثل حال أبي قحافة استحب له الخضاب؛ لأنه لا يحصل به الغرور لأحدٍ، ومنَّ كان بخلافه فلا يُستحب في حقه، ولكن الخضاب مطلقاً أولى؛ لأنه فيه امتثال الأمر في مخالفة أهل الكتاب)^(١٥).

ثالثاً: هل خضب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم شعر رأسه ولحيته ؟

إنَّ السؤال عن مسألة ثبوت تخضيب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لشعر رأسه ولحيته ليس سؤالاً جديداً يُطرح في زمننا، بل سأله الإمام العادل عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - لصاحب وخادم رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم، فلقد روى الحاكم في مستدركه^(١٦) أنَّ الصحابي أنس بن مالك رضي الله عنه قدم المدينة وعمر بن عبد العزيز والٍ عليها، فبعث إليه عمر، وقال للرسول: سلُّه هل خضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فأني رأيت شعراً من شعره قد لُون، فقال أنس رضي الله عنه: (إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد مُتَّع بالسَّوَادِ، ولو عَدَدْتُ ما أقبِل عليَّ من شيبه في رأسه ولحيته ما كنت أزيدُهِنَّ على إحدى عشرة شَيْبَةً، وإنما هذا الذي لُون من الطيب الذي كان يُطَيَّب به شعر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، هو الذي غيَّر لونه).

ولا بد أن نعرف بأنَّ رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم لم يُخضَّب شعره بأيِّ لونٍ كان؛ لعدم حاجته لذلك أصلاً؛ فإن رأس رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم ولحيته لم

(١٤) سنن أبي داود برقم [٤٢٠٥] وجامع الترمذي برقم [١٧٥٣] وسنن النسائي برقم [٥٠٧٨] وسنن ابن ماجه برقم [٣٦٢٢].

(١٥) فتح الباري (٣٥٥/١٠).

(١٦) المستدرک على الصحيحين برقم [٤٢٠١].

تشتعل شيباً كما نرى حال بعض شباب وشابات المسلمين اليوم، وإليك النصوص التي تثبت ذلك:

أخرج البخاري في صحيحه^(١٧) أن قتادة قال: سألت أنساً رضي الله عنه هل خضب النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: لا؛ إنما كان شيء في صدغيه.

(١) أخرج مسلم في صحيحه^(١٨) أن ابن سيرين قال: سألت أنس بن مالك رضي الله عنه هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خضب؟ فقال: لم يبلغ الخضاب؛ كان في لحيته شعرات.

(٢) أخرج مسلم في صحيحه^(١٩) أن محمد بن سيرين قال: سألت أنس بن مالك رضي الله عنه أخضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: إنه لم ير من الشيب إلا قليلاً.

(٣) أخرج مسلم في صحيحه^(٢٠) عن ثابت قال: سئل أنس بن مالك رضي الله عنه عن خضاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: لو شئت أن أعد شمطات كُنَّ في رأسه فعلتُ، وقال: لم يختضب.

(٤) أخرج مسلم في صحيحه^(٢١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: يكره أن ينتف الرجل الشعرة البيضاء من رأسه ولحيته، قال: ولم يختضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ إنما كان البياض في عنفته وفي الصدغين وفي الرأس نَبْدًا.

وإليك خلاصة الموضوع كما فهمه الحافظ ابن حجر العسقلاني حيث قال: (عن أنس رضي الله عنه قال: لم يُخضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ وإنما كان البياض في عنفته وفي الصدغين وفي الرأس نَبْدًا - أي: متفرق - وعُرفَ من مجموع ذلك أن الذي شاب من عنفته أكثر ممَّا شاب من غيرها، ومراد أنس أنه لم يكن في شعره ما يحتاج إلى الخضاب)^(٢٢).

(١٧) صحيح البخاري برقم [٣٣٥٧].

(١٨) صحيح مسلم برقم [٢٣٤١].

(١٩) صحيح مسلم برقم [٢٣٤١].

(٢٠) صحيح مسلم برقم [٢٣٤١].

(٢١) صحيح مسلم برقم [٢٣٤١].

(٢٢) فتح الباري (٥٧٢/١).

تبيه مهم: لقد اختلف سلفنا الصالح في تخضيب الشيب؛ فبعضهم خضَّب شبيهه وبعضهم لم يُخضَّب شبيهه؛ وذلك تبعاً لكثرتة وقتته؛ قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: (وقد اختلف في الخضب وتركه؛ فخضَّب أبو بكر وعمر وغيرهما كما تقدّم، وترك الخضاب علي وأبي بن كعب وسلمة بن الأكوع وأنس وجماعة، وجمع الطبري بأنَّ مَنْ صبغ منهم كان اللائق به؛ كمنَّ يُستشنع شبيهه، ومَنْ تركَ كان اللائق به؛ كمن لا يُستشنع شبيهه)^(٢٣).

رابعاً: الأحاديث الضعيفة في نصرة التخضيب بالسواد

هناك جملة من الأحاديث الضعيفة التي يُستدل بها في نصرة التخضيب بالسواد؛ مما لا يجوز الاحتجاج بها؛ فمن تلك الأحاديث:

الحديث الأول: روى البيهقي^(٢٤) والديلمي^(٢٥) وابن شاهين^(٢٦) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا خطب أحدكم امرأة وقد خضَّب بالسواد ، فليخبرها ولا يغرّها).

الحكم على الحديث: ضعفه البيهقي بقوله: (عيسى بن ميمون ضعيف) وقال ابن الجوزي في العلل المتناهية: (عيسى بن ميمون ضعيف جدا لا يلتفت إلى ما روى)^(٢٧). وقال المباركفوري: (ضعيف؛ لضعف عيسى بن ميمون).^(٢٨)

الحديث الثاني: روى ابن ماجه^(٢٩) والبخاري^(٣٠) من حديث صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إنَّ أحسن ما اختضبت به هذا السواد؛ أرغب لنسائككم، وأهيب لكم في صدور أعدائكم).

الحكم على الحديث: قال البخاري: (وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا من هذا الوجه)^(٣١) وقال الشيخ عبد الحي اللكنوي: (في سنده

(٢٣) فتح الباري (١٠/٣٥٥).

(٢٤) سنن البيهقي الكبرى برقم [١٤٤٧٦] وقال: عيسى بن ميمون ضعيف.

(٢٥) الفردوس بمأثور الخطاب برقم [١١٧٣].

(٢٦) ناسخ الحديث ومنسوخه لابن شاهين برقم [٦١٦].

(٢٧) العلل المتناهية (١٠٣٤).

(٢٨) تحفة الأخواني (٣٥٧/٥).

(٢٩) سنن ابن ماجه برقم [٣٦٢٥].

(٣٠) مسند البخاري برقم [٢٠٩٧].

ضعفاء فلا يُعارض الروايات الصحيحة، وأخذ منه بعض الفقهاء جوازه في الجهاد^(٣٢) وقال الشيخ الألباني: (ضعيف السند فيه راويان ضعيفان)^(٣٣).

خامساً: الأحاديث التي تمنع التخضيب بالسواد وحكم العلماء عليها

إنَّ مسألة التخضيب بالسواد مختلف فيها بين فقهاء الأمة الإسلامية؛ بناء على ثبوت أدلة المسألة عند الفقهاء، وسيكون الكلام عليها على جزأين:

أولاً: الكلام على زيادة (واجتنبوا السواد) في الحديث

لكي نفهم زيادة جملة (واجتنبوا السواد) في الحديث لا بد من وقفة جادة معها، ويتجلى ذلك من خلال معرفة مكان ورودها، ودراسة روايتها وموقفهم من التخضيب بالسواد فنقول:

مكان ورودها: وردت زيادة: (واجتنبوا السواد) في حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما المروي في صحيح مسلم^(٣٤)، لكن الإمام مسلم قد صدر الباب بحديث من رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنهما من غير تلك الزيادة برقم [٢١٠٢/٧٨]، مما يؤكد أنه لا يرى قوتها وثبوتها وإلا صدر بها الباب؛ لقوله في مقدمة صحيحه: (فأما القسم الأول؛ فإننا نتوخى أن نقدّم الأخبار التي هي أسلم من العيوب من غيرها وأنقى من أن يكون ناقلوها أهل استقامة في الحديث وإتقان لما نقلوا، لم يوجد في روايتهم اختلاف شديد ولا تخليط فاحش كما قد عثر فيه على كثير من المحدثين وبان ذلك في حديثهم، فإذا نحن تقصيّنّا أخبار هذا الصنف من الناس أتبعناها أخباراً يقع في أساسيتها بعض من ليس بالموصوف بالحفظ والإتقان كالصنف المقدم قبلهم ...)

(٣٥)

(٣١) مسند الزوار برقم [٢٠٩٧].

(٣٢) مسند الزوار برقم [٢٠٩٧]. التعليق المُجَدَّد (٤٣٠/٣).

(٣٣) تمام المنة في التعليق على فقه السنة (٨٧).

(٣٤) صحيح مسلم برقم [٢١٠٢/٧٩].

(٣٥) مقدمة صحيح مسلم (٥/١).

موقف رواة الحديث من التخضيب بالسواد ومدى قبولهم لزيادة (جنبوه السواد):

لكي يفهم سند هذه الراوية ننقل سندها كاملاً؛ فقد قال مسلم^(٣٦): وحدثني أبو الطاهر، أخبرنا عبد الله بن وهب، عن ابن جريج، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله قال: أتى بأبي قحافة يوم فتح مكة ورأسه ولحيته كالثغامة بياضاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (غيروا هذا بشيء، واجتنبوا السواد) وإلى موقف الرواة: (١) أبو الزبير ينكر روايته لزيادة (جنبوه السواد): فقد أخرج الإمام أحمد ابن حنبل في مسنده^(٣٧) قال: ثنا حسن وأحمد بن عبد الملك قالاً: ثنا زهير، عن أبي الزبير، عن جابر قال أحمد في حديثه: ثنا أبو الزبير عن جابر قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأبي قحافة، أو جاء عام الفتح ورأسه ولحيته مثل الثغام أو مثل الثغامة، قال حسن: فأمر به إلى نسائه، قال: (غيروا هذا الشيب) قال حسن: قال زهير: قلت لأبي الزبير: أقال: (جنبوه السواد؟) قال: لا.

(٢) ابن جريج - أحد رواة حديث مسلم - يخضّب بالسواد مخالفاً لزيادة (جنبوه السواد): لقد خضّب بالسواد التابعي عبد الملك بن جريج؛ فقد ذكر الخطيب البغدادي ذلك فقال: (عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الحافظ، شيخ الحرم القرشي الأموي المكي، وأول مَنْ دَوَّنَ السُّنَّةَ المطهرة بمكة: قال عبد الرزاق: كان ابن جريج يُخضّب بالسواد).^(٣٨)

ثانياً: ذكر جملة من الأحاديث التي فيها منع التخضيب بالسواد والحكم عليها: الحديث الأول: روى الطبراني من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً (مَنْ خَضَّبَ بالسَّوَادِ، سَوَّدَ اللَّهُ وَجْهَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

الحكم على الحديث: قال أبو حاتم: هذا حديث موضوع^(٣٩) وقد ذكره السيوطي في جامعه وحكم عليه بالضعف^(٤٠)، وقال ابن حجر العسقلاني: (سنده ليّن)^(٤١).

(٣٦) صحيح مسلم برقم [٢١٠٢/٧٩].

(٣٧) مسند أحمد ابن حنبل برقم [١٤٦٨٢].

(٣٨) تاريخ بغداد (١٠٠/١٠).

(٣٩) علل ابن أبي حاتم (٢٩٩/٢) وميزان الاعتدال (١٢٤/٣).

(٤٠) الجامع الصغير برقم [٨٦٥٨].

(٤١) فتح الباري (٣٥٥/١٠).

الحديث الثاني: روى أبو داود^(٤٢) والنسائي^(٤٣) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (يكون قوم يُخضَّبون في آخر الزمان بالسواد، كحواصل الحمام، لا يريحون رائحة الجنة).

الحكم على الحديث: ذكره المنذري تحت عنوان (الترهيب من خضب اللحية بالسواد) ثم قال: روه كلهم من رواية عبيد الله بن عمرو الرقي عن عبد الكريم، فذهب بعضهم إلى أن عبد الكريم هذا هو ابن أبي المخارق، وضعف الحديث بسببه، والصواب أنه عبد الكريم بن مالك الجزري وهو ثقة احتج به الشيخان وغيرهما والله أعلم.^(٤٤)

قال أبو المحاسن الحنفي: (فعلم أن الكراهة فيه إنما كان لأنه من أفعال قوم مذمومين، لا أنه في نفسه حرام، وقد خضب بالسواد عقبه بن عامر الصحابي ويقول: **نُسُوْدُ أَعْلَاهَا وَتَأْبَى أَسْوَلُهَا** ولا خير في الأعلى إذا فسَدَ الأصل^(٤٥))

الحديث الثالث: روى الحاكم في مستدركه^(٤٦) أن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما دخل على عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وقد سوّد لحيته فقال عبد الله بن عمر: السلام عليك أيها الشويب، فقال له ابن عمرو: أما تعرفني يا أبا عبد الرحمن؟ قال: بلى، أعرفك شيخاً فأنت اليوم شاب؛ إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (الصفرة خضاب المؤمن، والحمرة خضاب المسلم، والسواد خضاب الكافر).

الحكم على الحديث: قال ابن أبي حاتم: (وهو حديث منكر شبه الموضوع)^(٤٧).

الحديث الرابع: روى الديلمي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه (إن الله يبغض الشيخ الغريب) - بكسر الغين المعجمة - الذي لا يشيب وجمعه غرابيب وقيل: الذي يُسوّد شعره؛ يصبغه بالسواد.^(٤٨)

^(٤٢) سنن أبي داود برقم [٢٤١٢].

^(٤٣) سنن النسائي برقم [٥٠٧٥].

^(٤٤) الترغيب والترهيب (٨٦/٣).

^(٤٥) المعتصر من المختصر من مشكل الآثار (٢٢٧/٢).

^(٤٦) المستدرک على الصحيحين برقم [٦٢٣٩].

^(٤٧) الجرح والتعديل (١٨٥/٤) في ترجمة سالم بن عبد الله الكلاعي.

^(٤٨) كشف الخفاء (٣٣٤/٢).

الحكم على الحديث: قال المناوي: (وفيه رشدين؛ فإن كان ابن سعد فقد ضعفه الدارقطني، أو ابن كريب فضعفه أبو زرعة).^(٤٩)

الحديث الخامس: حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده يرفعه (مَنْ غَيَّرَ الْبَيَاضَ بِالسَّوَادِ، لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ) ذكره الحافظ في لسان الميزان.^(٥٠)

الحكم على الحديث: ضعفه ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان.

سادساً: ذكر جماعة من الصحابة والتابعين وعلماء السلف ممن يخضبون بالسواد

إِنَّ أَوَّلَ مَنْ خَضَّبَ شَعْرَهُ بِالسَّوَادِ هُوَ فِرْعَوْنُ^(٥١)؛ لَمَّا عُرِفَ مِنْ تَكَبُّرِهِ وَتَجْبَرِهِ عَلَى الْبَشَرِيَّةِ جَمْعًا، وَلَيْسَ بَعِيدٌ أَنْ نَخْضِبَ كَمَا خَضَّبَ فِرْعَوْنُ مَعَ أَخْدَانِهِ لِلْقُدُوءِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَعُلَمَاءِ سَلْفِنَا الصَّالِحِ لَا مِنْ فِرْعَوْنَ وَأَضْرَابِهِ؛ فَالصَّحَابَةُ رَضُوا اللَّهَ تَعَالَى عَلَيْهِمُ الَّذِينَ عَاشُوا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَدْ صَرَّحُوا بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ بِحَاجَةٍ لِحِضَابِ شَعْرِهِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي شَعْرِهِ مِنَ الشَّيْبِ مَا يَدْعُو لِذَلِكَ كَمَا أَوْضَحَهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجْرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ بِقَوْلِهِ: (وَمَرَادُ أَنْسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي شَعْرِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَا يَحْتَاجُ إِلَى الْخِضَابِ).^(٥٢)

والتخضب بالسواد فعله جماعة من سلفنا الصالح، وكانوا لا يرون بذلك بأساً، ولم ينكر عليهم أحد؛ فَمِنْ أَوْلَئِكَ:

١) الصحابي عثمان بن عفان رضي الله عنه: فعن ابن أبي مليكة أنَّ عثمان بن عفان كان يُخضب بالسواد.^(٥٣)

٢) الصحابي سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: قالت عائشة بنت سعد: كان أبي رجلاً قصيراً دحداً غليظاً، ذا هامة، شثن الأصابع، أشعر يُخضب بالسواد.^(٥٤)

^(٤٩) فيض القدير (٢٨٤/٢).

^(٥٠) لسان الميزان (٣٨٠/٥) في ترجمة محمد بن مسلم العنبري مؤذن المهدي.

^(٥١) مصنف ابن أبي شيبة برقم [٣٥٨١٨] وهو من قول مكحول. وانظر تاريخ بغداد (٣٩٠/٦).

^(٥٢) فتح الباري (٥٧٢/٦).

^(٥٣) معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني برقم [٢١٦].

^(٥٤) طبقات ابن سعد الكبرى (١٤٣/٣) ومعجم الطبراني الكبير برقم [٢٩٥] والمستدرک علی الصحیحین برقم [٦٠٩٩] وسیر أعلام النبلاء (٩٧/١).

٣) الصحابي الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما: قال قيس مولى خباب: رأيتُ الحسن يُخضَّب بالسواد. وقال مسلم بن أبي مريم: رأيتُ الحسن بن علي يُخضَّب بالسواد. وقال عبيدالله بن أبي يزيد: رأيتُ الحسن بن علي قد خضَّب بالسواد.^(٥٥)

٤) الصحابي الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما: قال قيس مولى خباب: دخلت على الحسن والحسين وهما يخضبان بالسواد.^(٥٦) وعن عبد الرحمن بن فروخ قال: كنت أنا مع الحسن والحسين رضي الله عنهما فكانا يخضبان بالسواد، إلا أنَّ الحسن يترك عنقه بيضاء.^(٥٧) وقال أبو إسحاق الشيباني: إنَّ الحسين بن علي رضوان الله عليه قُتل وعليه جبة خز، وقد نصل خضابه^(٥٨)، وكان يُخضَّب بالسواد.^(٥٩)

٥) الصحابي عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه: قال ابن يونس: شهد فتح مصر واختط بها، وولي الجند بمصر لمعاوية، ثم عزله بعد ثلاث سنين، وأغزاه البحر، وكان يُخضَّب بالسواد.^(٦٠) وكان عقبة بن عامر يقول:

سَوْدٌ أَعْلَاهَا وَتَأْبَى أَوْسُولُهَا وَلَا خَيْرَ فِي الْأَعْلَى إِذَا فَسَدَ الْأَصْلُ^(٦١)
٦) وقال ابن حبان في الصحابة: كان من الرماة كان يصبغ بالسواد.^(٦٢)

٧) الصحابي عمرو بن العاص السهمي رضي الله عنه: قال أبو بكر بن البرقي: كان عمرو قصيراً يُخضَّب بالسواد.^(٦٣)

٨) الصحابي جرير بن عبد الله رضي الله عنه: قال سليم أبو الهذيل: رأيت جرير بن عبد الله يُخضَّب رأسه ولحيته بالسواد.^(٦٤)

^(٥٥) النصوص الثلاثة في سير أعلام النبلاء (٢٦٨/٣) ومعجم الطبراني الكبير برقم [٢٥٣٢].

^(٥٦) مصنف ابن أبي شيبة برقم [٢٥٠١٧] والتاريخ الكبير (١٥١/٧) وكتاب الفئات (٦٩/٣).

^(٥٧) الأحاد والمثاني برقم [٤١٢] ومعجم الطبراني الكبير برقم [٢٧٨٧].

^(٥٨) نصل خضابه: زال عنه الخضاب.

^(٥٩) تاريخ واسط (١٠٤).

^(٦٠) طبقات ابن سعد (٣٤٣/٤) ورجال صحيح مسلم (١٠٧/٢) وكتاب الفئات (٢٨٠/٣) وسير أعلام النبلاء (٤٦٨/٢).

^(٦١) معجم الطبراني الكبير برقم [٧٣٥] وطبقات ابن سعد الكبرى (٤٩٨/٧).

^(٦٢) تهذيب التهذيب (٢١٦/٧).

^(٦٣) المستدرک على الصحيحين برقم [٦٢٣٨].

^(٦٤) معجم الطبراني الكبير برقم [٢٢٠٩].

- ٩) الصحابي عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: توفيت سنة خمس وستين، وكان يخضب بالسواد.^(٦٥)
- ١٠) التابعي حماد بن أبي سليمان: قال أبو المليح الرقي: قدم علينا حماد فخرجت إليه فإذا عليه ملحفة معصرة وقد خضب بالسواد.^(٦٦)
- ١١) التابعي أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف: قال سعد بن إبراهيم: كان أبو سلمة يخضب بالسواد.^(٦٧)
- ١٢) التابعي علي زين العابدين ابن الحسين بن علي: عن شريك بن أبي بكر عن علي بن حسين أنه كان يصبغ بالسواد.^(٦٨)
- ١٣) التابعي أبو قلابة عبد الله بن زيد الجرهمي: عن عقبة بن أبي الصهباء عن أبي قلابة أنه كان يخضب بالسواد.^(٦٩)
- ١٤) التابعي مُحارب بن دثار: قال حسان بن إبراهيم: رأيت مُحارب بن دثار يُخضب بالسواد.^(٧٠)
- ١٥) التابعي أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف: قال سعد بن إبراهيم كان أبو سلمة يخضب بالسواد.^(٧١)
- ١٦) التابعي موسى بن طلحة بن عبيد الله القرشي التيمي المدني: قال ابن موهب: رأيت موسى بن طلحة يُخضب بالسواد.^(٧٢)
- ١٧) التابعي علي بن عبد الله بن عباس: قال عطاء بن خالد الوابصي: رأيت علي بن عبد الله ابن عباس يصبغ بالسواد.^(٧٣)
- ١٨) التابعي نافع بن جبير: قال عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب: رأيت نافع بن جبير يخضب بالسواد.^(٧٤)

^(٦٥) المستدرک علی الصحیحین برقم [٥٩٠/٤] وسیر أعلام النبلاء (٥٦٣/٣).

^(٦٦) میزان الاعتدال (٣٦٥/٢).

^(٦٧) طبقات ابن سعد الکبری (١٥٦/٥) وسیر أعلام النبلاء (٣٦٦/٤).

^(٦٨) طبقات ابن سعد الکبری (٢١٧/٥).

^(٦٩) طبقات ابن سعد الکبری (١٨٥/٧).

^(٧٠) مسند ابن الجعد برقم [٧٢٥].

^(٧١) سیر أعلام النبلاء (٢٨٨/٤).

^(٧٢) طبقات ابن سعد الکبری (١٦٣/٥) والعلل ومعرفة الرجال (٢٧٩/٣) وسیر أعلام النبلاء (٢٨٨/٤).

^(٧٣) طبقات ابن سعد الکبری (٣١٣/٥).

^(٧٤) طبقات ابن سعد الکبری (٢٠٦/٥).

- ١٩) التابعي حجاج بن أرطاة بن ثور بن هبيرة، مفتي الكوفة: قال ابن حميد الرازي عن جرير: رأيت الحجاج يُخضَّب بالسواد.^(٧٥)
- ٢٠) التابعي بكر بن عبد الله بن عمرو المزني البصري: قال أبو الوليد الطيالسي: حدثنا زياد ابن أبي مسلم قال: رأيت بكر بن عبد الله يُخضَّب بالسواد.^(٧٦)
- ٢١) التابعي محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى، مفتي الكوفة وقاضيها الأنصاري الكوفي: قال جرير بن عبد الحميد: رأيت ابن أبي ليلى يُخضَّب بالسواد.^(٧٧)
- ٢٢) التابعي زياد بن علاقة: قال جرير: رأيت زياد بن علاقة يُخضَّب بالسواد.^(٧٨)
- ٢٣) التابعي محمد بن شهاب الزهري: قال معمر: وكان الزهري يُخضَّب بالسواد^(٧٩)، وقال عبد الرحمن بن عبد الله الدشتكي: سمعت أبا جعفر الرازي عيسى بن ماهان يقول: لم أكتب عن الزهري؛ لأنه كان يُخضَّب بالسواد.^(٨٠)
- ٢٤) التابعي محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار الحافظ الأخباري القرشي المطلي مولاهم المدني صاحب السيرة النبوية: قال جرير: رأيت ابن إسحاق يُخضَّب بالسواد.^(٨١)
- ٢٥) وقال يزيد بن هارون: رأيت الحجاج بن أرطاة عليه قميص أسود ورداء أسود، وقد خضَّب بالسواد.^(٨٢)
- ٢٦) الخليفة العباسي أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي الهاشمي المنصور: يُخضَّب بالسواد.^(٨٣)
- ٢٧) الخليفة العباسي أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله: قال إسماعيل بن علي الخطيبي: كان غزير الأدب كثير الشعر، وكان يُخضَّب بالسواد.^(٨٤)

^(٧٥) الجرح والتعديل (٢٣٢/٩) وسير أعلام النبلاء (٦٩/٧).

^(٧٦) سير أعلام النبلاء (٥٣٥/٤).

^(٧٧) تاريخ بغداد (٢٥٥/٧) وسير أعلام النبلاء (٣١٢/٦).

^(٧٨) تهذيب الكمال (٤٩٩/٩) وسير أعلام النبلاء (٣٣٣/٦).

^(٧٩) مسند أحمد ابن حنبل برقم [٨٠٦٩].

^(٨٠) تاريخ بغداد (١٤٥/١١) وسير أعلام النبلاء (٣٤٧/٧).

^(٨١) تاريخ بغداد (٢٢٦/١) وسير أعلام النبلاء (٣٥/٧) وتهذيب الكمال (٤١١/٢٤).

^(٨٢) ضعفاء العقيلي (٢٨١/١).

^(٨٣) تاريخ بغداد (٦٥/١) وسير أعلام النبلاء (٨٣/٧).

^(٨٤) تاريخ بغداد (٢٥٥/٧) وأبجد العلوم (٨١/٣).

- (٢٨) الخليفة العباسي عبد الله بن المعتز بالله محمد ابن المتوكل جعفر ابن المعتصم محمد بن الرشيد: كان شديد السمرة مسنون الوجه يُخضَّب بالسواد.^(٨٥)
- (٢٩) المحدث الرحال المتقن مجد الدين أبو الخطاب عمر بن حسن بن علي المشهور بابن دحية: كان يُخضَّب بالسواد.^(٨٦)
- (٣٠) أبو الفضائل سعد بن محمد بن محمود المشاط الرازي: قال السمعاني: لقيته بالري يوماً في الطريق، وكان يُخضَّب بالسواد.^(٨٧)
- (٣١) المحدث المفيد المؤرخ المعمر مسند العراق شيخ المستصرية القطيعي: ولد في رجب سنة ست وأربعين وخمس مئة، طال عمره، وعلا سنده، واشتهر ذكره، فأعطي مشيخة المستصرية، وكان يُخضَّب بالسواد.^(٨٨)

المراجع :

- (١) الأحاد والمثاني / أحمد بن عمرو بن الضحاك الشيباني، أبو بكر (ت ٢٨٧هـ) دار الراية، الرياض، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ط١، تحقيق: الدكتور. باسم فيصل أحمد الجوابرة .
- (٢) أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم / صديق بن حسن القنوجي (ت ١٣٠٧هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م، تحقيق: عبد الجبار زكار.
- (٣) تاريخ بغداد / أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، أبو بكر (ت ٤٦٣هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.
- (٤) التاريخ الكبير / محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي، أبو عبد الله (ت ٢٥٦هـ) دار الفكر، تحقيق: السيد هاشم الندوي.
- (٥) تاريخ واسط / أسلم بن سهل الرزاز الواسطي (ت ٢٩٢هـ) عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٦هـ، ط١، تحقيق: كوركيس عواد.

(٨٥) سير أعلام النبلاء (٤٣/١٤).

(٨٦) سير أعلام النبلاء (٣٩٥/٢٢).

(٨٧) التحبير في المعجم الكبير (٢٩٥/١).

(٨٨) سير أعلام النبلاء (٩/٢٣).

- (٦) **التحبير في المعجم الكبير** / عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني، أبو سعد (ت ٥٦٢هـ) تحقيق: منيرة ناجي سالم.
- (٧) **تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي** / محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، أبو العلا (ت ١٣٥٣هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.
- (٨) **الترغيب والترهيب** / عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، أبو محمد (ت ٦٥٦هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ، ط١، تحقيق: إبراهيم شمس الدين.
- (٩) **تمام المنة في التعليق على فقه السنة** / محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ) المكتبة الإسلامية، دار الراجعية للنشر، ط٣، ١٤٠٩هـ.
- (١٠) **تهذيب التهذيب** / أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل (ت ٨٥٢هـ) دار الفكر، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ط١.
- (١١) **تهذيب الكمال** / يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزي، أبو الحجاج (ت ٧٤٢هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ط١، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف.
- (١٢) **الثقات** / محمد بن حبان بن أحمد البستي، أبو حاتم (ت ٣٥٤هـ) دار الفكر، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، ط١، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد.
- (١٣) **جامع الترمذي** / محمد بن عيسى الترمذي السلمي، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.
- (١٤) **الجامع الصغير** / عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي (ت ٩١١هـ) دار طائر العلم، جدة، تحقيق: محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي.
- (١٥) **الجرح والتعديل** / عبد الرحمن ابن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي، أبو محمد (ت ٣٢٧هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٢م.
- (١٦) **رجال صحيح مسلم** / أحمد بن علي بن منجويه الأصبهاني، أبو بكر (ت ٤٢٨هـ) دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٧هـ، ط١، تحقيق: عبد الله الليثي.
- (١٧) **سنن ابن ماجه** / محمد بن يزيد القزويني، أبو عبد الله (ت ٢٧٥هـ) دار الفكر، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

- ١٨) سنن أبي داود / سليمان بن الأشعث السجستاني، أبو داود (ت ٢٧٥هـ) دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
- ١٩) سنن النسائي / أحمد بن شعيب النسائي، أبو عبد الرحمن (ت ٣٠٣هـ) مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ط٢، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة.
- ٢٠) سير أعلام النبلاء / محمد بن أحمد الذهبي، أبو عبد الله (ت ٧٤٨هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٤١٣هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد العرقسوسي.
- ٢١) صحيح البخاري / محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، أبو عبد الله (ت ٢٥٦هـ)، دار ابن كثير - اليمامة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ، تحقيق: مصطفى ديب البغا.
- ٢٢) صحيح مسلم / مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، أبو الحسين (ت ٢٦١هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- ٢٣) الضعفاء الكبير / محمد بن عمر العُقَيْلي (ت ٣٢٢هـ) تحقيق: عبد المعطي أمين قلجعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.
- ٢٤) الطبقات الكبرى / محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري، أبو عبد الله (ت ٢٣٠هـ)، دار صادر، بيروت.
- ٢٥) علل الحديث / عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن مهراّن الرازي، أبو محمد (ت ٣٢٧هـ) دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٥هـ، تحقيق: مُحَب الدين الخطيب.
- ٢٦) العلل ومعرفة الرجال / أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، أبو عبد الله (ت ٢٤١هـ) المكتب الإسلامي - دار الخاني، بيروت - الرياض، ١٤٠٨ - ١٩٨٨م، ط١، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس.
- ٢٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري / أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل (ت ٨٥٢هـ) دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحَب الدين الخطيب.

- ٢٨) **الفردوس بمأثور الخطاب** / شيرويه بن شهر دار بن شيرويه الديلمي الهمداني، أبو شجاع (ت ٥٠٩هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م، ط١، تحقيق: السعيد ابن بسيوني زغلول.
- ٢٩) **فيض القدير شرح الجامع الصغير** / عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦هـ، ط١.
- ٣٠) **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس** / إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (ت ١١٦٢هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ، ط٤، تحقيق: أحمد القلاش.
- ٣١) **لسان الميزان** / أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل (ت ٨٥٢هـ) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ط٣، تحقيق: دائرة المعارف النظامية بالهند.
- ٣٢) **المستدرک على الصحيحين** / محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله (ت ٤٠٥هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.
- ٣٣) **مسند ابن الجعد** / علي بن الجعد بن عبيد الجوهرى البغدادي، أبو الحسن (ت ٢٣٠هـ) مؤسسة نادر، بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ط١، تحقيق: عامر أحمد حيدر.
- ٣٤) **مسند أحمد ابن حنبل** / أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، أبو عبد الله (ت ٢٤١هـ) مؤسسة قرطبة، مصر.
- ٣٥) **مسند البزار** / أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، أبو بكر (ت ٢٩٢هـ) مؤسسة علوم القرآن - مكتبة العلوم والحكم، بيروت - المدينة، ١٤٠٩هـ، ط١، تحقيق: الدكتور. محفوظ الرحمن زين الله.
- ٣٦) **مصنف ابن أبي شيبة** / عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، أبو بكر (ت ٢٣٥هـ) مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ، ط١، تحقيق: كمال يوسف الحوت.
- ٣٧) **المعتصر من المختصر من مشكل الآثار** / يوسف بن موسى الحنفي، أبو المحاسن، عالم الكتب - مكتبة المتبني، بيروت - القاهرة.

- ٣٨) المعجم الكبير / سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، أبو القاسم (ت ٣٦٠هـ)
مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م، ط٢، تحقيق: حمدي بن
عبد المجيد السلفي.
- ٣٩) ميزان الاعتدال في نقد الرجال / محمد بن أحمد الذهبي، أبو عبد الله (ت
٧٤٨هـ) تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب
العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
- ٤٠) ناسخ الحديث ومنسوخه / عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين، أبو حفص
(ت ٣٨٥هـ) مكتبة المنار، الزرقاء، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ط١، تحقيق: سمير
بن أمين الزهيري؛ ٢٠٠٩.

تأثير الصدمات النقدية على سعر صرف الدينار الجزائري

د. عدالة العجال⁽¹⁾

سحنون مريم⁽²⁾

(١) أستاذ محاضر (أ) بكلية العلوم الاقتصادية - جامعة مستغانم (الجزائر)

(٢) طالبة دكتوراه - جامعة تلمسان (الجزائر)



جامعة الأندلس
للعلوم والتكنولوجيا

Alandalus University For Science & Technology

(AUST)

تأثير الصدمات النقدية على سعر صرف الدينار الجزائري

الملخص :

فمن خلال هذا البحث، سنختبر تأثير الصدمات النقدية (الكتلة النقدية، التضخم، المتوسط العام للاستهلاك وسعر الفائدة) على تقلبات أسعار الصرف في البلد أصل الصدمة. الكلمات المفتاحية: سعر الصرف، الصدمات النقدية، نموذج الانحدار الذاتي، الكتلة النقدية.

يتأثر سعر الصرف بالعديد من المتغيرات الداخلية والخارجية، فهو شديد الحساسية للمعلومات. من خلال بحثنا هذا، حاولنا دراسة تأثير الصدمات النقدية، وبالخصوص الداخلية على سعر صرف الدينار الجزائري باستخدام نموذج الانحدار الذاتي VAR خلال الفترة الممتدة من سنة ١٩٩٤ إلى غاية سنة ٢٠١٠، مع الأخذ بعين الاعتبار تحليل التباين وتحليل دوال الاستجابة.

Résumé :

l'analyse de variance et l'analyse des fonctions de réponse.

De par cette recherche, nous allons tester l'effet des chocs monétaires (masse monétaire, inflation, et taux d'intérêt) sur les variations des taux de change du pays à l'origine du choc.

Mot clés : taux de change, les chocs monétaires, le modèle VAR, la masse monétaire.

Le taux de change est influencé par plusieurs variables interne – externe, il est considéré comme très sensible aux informations. A travers cette recherche, nous avons essayé d'étudier l'effet des chocs monétaires, notamment internes, sur le taux de change du dinar algérien en utilisant le modèle VAR au cours de la période allant de l'année 1994 jusqu'à l'année 2010, en prenant en compte,

مقدمة:

يستخدم سعر الصرف كهدف للسياسة النقدية ذلك أن انخفاض أسعار الصرف يعمل على تحسين وضعية ميزان المدفوعات، كما أن استقرار سعر الصرف يشكل ضمانا لاستقرار وضعية البلاد اتجاه الخارج، وبما أن السياسة النقدية تستخدم كأداة للتحكم في سعر الصرف فإن أي صدمة تواجهها المتغيرات النقدية يستوجب أن يكون لها أثر على تقلب سعر الصرف في المدى القصير وكذا في المدى المتوسط والبعيد.

وأثر الصدمات النقدية يختلف باختلاف نظام الصرف المتبع (نظام الصرف الثابت، نظام الصرف الموعوم، النظم الوسيطية) ففي مواجهة الصدمات النقدية فإنه يحدّد الاعتماد على سعر الصرف الثابت لتثبيت الدخل. والكتلة النقدية في هذا النظام هي متغير داخلي، ويتم امتصاص الصدمات في تقلب مخزون الصرف دون التأثير على العرض والطلب في سوق السلع والخدمات، وإن سعر الصرف يحدّد أن يكون ثابتا إذا كانت الصدمة النقدية محلية، وعندما تكون أسعار الصرف مرنة فإنها تكون فعالة في عزل الصدمات الخارجية.

وانطلاقا من هذا الطرح تبرز إشكالية البحث الممكن صياغتها كالآتي:

كيف تؤثر الصدمات النقدية على سعر الصرف في البلد أصل الصدمة ؟

ولغرض معالجة إشكالية البحث، نطرح الفرضيات التالية:

- تلعب الكتلة النقدية دور مهم للغاية في تقلبات أسعار الصرف .
- معدل التضخم والمتوسط العام للاستهلاك داخل البلد يؤثر على تقلبات أسعار الصرف .
- معدلات الفائدة لها تأثيرات على تقلبات أسعار الصرف .

ماهية سعر الصرف :

إن أسعار العملات الأجنبية في دولة ما تسمى عادة بنفس التسمية لأسعار البضائع والخدمات في السوق،^١ ويعرف سعر الصرف للعملة A بالنسبة للعملة B بأنه عدد الوحدات من B المدفوعة مقابل الحصول على وحدة واحدة من A، وله عدة أشكال:^٢

سعر الصرف الاسمي:

يعرف سعر الصرف الاسمي الثنائي على أنه سعر العملة الأجنبية بدلالة وحدات من العملة المحلية،^٣ ويمكن أن يعكس هذا التعريف لحساب العملة المحلية بدلالة وحدات من العملة الأجنبية. والمقصود بذلك هو أن سعر الصرف الاسمي أي سعر العملة الجاري لا يأخذ بعين الاعتبار القوة الشرائية للسلع والخدمات ما بين بلدين.

سعر الصرف الحقيقي:

سعر الصرف الحقيقي يسمح بمعرفة تقلبات سعر الصرف مع الأخذ بعين الاعتبار التباين في معدلات التضخم ما بين البلد المحلي والبلدان التي يتعامل معها. ويعرف* وفق

$$E = \frac{eP^*}{P}$$

العلاقة التالية:^٤

حيث يمثل:

P^* : سعر السلع الأجنبية

P : سعر السلع المحلية

e : هو سعر الصرف الاسمي*

E : سعر الصرف الحقيقي

^١ ماهر كنج شكري، مروان عوض، "المالية الدولية والعملات الأجنبية والمشتقات المالية بين النظرية والتطبيق" الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤، ص ٢٠٥

^٢ Y. SIMON, « Marché des changes: et gestion de risque de change », Paris, Dalloz, 1995, pp 11-12.

^٣ بو نلجة عبد الناصر، أطروحة دكتوراه، "دور المعلومات في تحديد سعر الصرف"، جامعة تلمسان، ٢٠٠٨، ص ١٥

^٤ يرتفع سعر الصرف الحقيقي بارتفاع الأسعار الأجنبية وانخفاض الأسعار المحلية والعكس بالعكس.

٤ J. L. MUCHEILLI, T. MOYER « Economie internationale », Paris, Dalloz, 2005, p 75

* إن ارتفاع e أي سعر الصرف الاسمي يؤدي إلى انخفاض قيمة العملة المحلية، فإن التحسن في قيمة العملة يعني انخفاض سعر الصرف والتدهور في قيمة العملة يعني ارتفاع سعر الصرف.

سعر الصرف الفعلي الحقيقي:

وهو مؤشر يقيس إلى حد ما متوسط التغير في سعر الصرف لبلد ما مقابل جميع العملات الأخرى، بالاستناد إلى فترة أساس، ويعتمد هذا المفهوم على نظرية تعادل القوى الشرائية.^٥

من أجل حساب سعر الصرف الفعلي الحقيقي فإن كل عملة تقدر نسبة إلى وزنها في المبادلات فهو نسبة التدفقات التجارية المقومة بالعملة المحلية.^٦

سعر الصرف التوازني:^٧

هو السعر الصرف المتوافق مع التوازن الكلي في الاقتصاد، أي أن سعر الصرف التوازني يمثل توازنا مستديما لميزان المدفوعات عندما ينمو الاقتصاد بمعدل طبيعي، ويعتمد تحديد سعر الصرف التوازني على معرفة كيفية تغير سعر الصرف الحر مع تغيرات الوضع الاقتصادي.

العوامل المؤثرة في سعر الصرف:

مما لا شك فيه أن أسعار صرف العملات تتأثر بالعوامل والسياسات الاقتصادية المحيطة بها ولذلك سيتم التطرق إلى العوامل الاقتصادية التي تؤثر على سعر الصرف:

العوامل الاقتصادية المؤثرة في سعر الصرف :

- **ناتج حساب العمليات الجارية في ميزان المدفوعات:** أي وضع الصادرات والواردات من السلع والخدمات، فالعجز في ميزان المدفوعات يزيد من الطلب على العملات الأجنبية وهذا يؤدي إلى تخفيض قيمة العملة الوطنية في السوق بينما الفائض فيه يؤدي إلى رفع قيمة العملة المحلية.
- **ناتج حساب العمليات الرأسمالية في ميزان المدفوعات:** ويقصد بها مقدار الاستثمارات التي تدخل إلى الدولة أو تخرج منها، فانتقال رؤوس الأموال من دولة

٥ محمد حميدات "مدخل للتخليل النقدي" ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، طبعة ٢٠٠٠، ص ٧٩

٦ P. DARRISENT, « Finance internationale », Dunod, 2^{ème} éd, 2008, p 198

٧ هزاع فلاح، " التمويل الدولي " سوريا، المنشورات الجامعية حلب، ٢٠٠٨.

إلى دولة أخرى يزيد حجم الطلب على عملة الدولة التي انتقلت إليها رؤؤس الأموال بالتالي ترتفع قيمتها وينخفض سعر صرفها.^٨

■ **المضاربة:** تؤدي المضاربة في الأسواق الدولية للعملات إلى التأثير في صرف العملات النقدية وخاصة على المدى القصير، فإذا توقع المضاربون أن قيمة العملة لدولة ما سترتفع فإنهم سيلجؤون إلى اقتناء هذه العملة ومن ثم يزداد الطلب عليها ويرتفع قيمتها، أما إذا توقع المضاربون أن قيمة هذه العملة ستخفض في المستقبل فإنهم سيلجؤون إلى بيعها ومن ثم تنخفض قيمتها.

وهذا إضافة إلى تأثير بعض السياسات الاقتصادية في سعر صرف العملة.^٩

■ **السياسات الاقتصادية المؤثرة في سعر الصرف :**

■ **أثر السياسة النقدية على سعر العملة:*** الأدوات التي يستخدمها البنك المركزي للتأثير على عرض النقد وبالتالي على التأثير على سعر العملة هي عديدة .

- **نسبة الاحتياطي النقدي:*** زيادة نسبة الاحتياطي النقدي يؤثر على قدرة البنوك التجارية على الإقراض ومنح الائتمان مما يؤدي إلى انخفاض عرض النقود، وبالتالي نقص في عرض العملة تترتب عليها زيادة قيمتها. أما تخفيض نسبة الاحتياطي النقدي تؤدي إلى زيادة قدرة البنوك على منح الائتمان، وبالتالي زيادة عرض النقد، ومنه انخفاض قيمة العملة.
- **تغيير سعر إعادة الخصم:*** رفع سعر الخصم يؤدي إلى نقص مقدرة البنوك التجارية على الإقراض ويؤدي أيضا إلى رفع سعر الفائدة وبالتالي ارتفاع قيمة العملة، وانخفاض سعر صرفها والعكس في حالة خفض سعر الخصم.
- **عمليات السوق المفتوحة:** وهي عبارة عن قيام البنك المركزي بشراء وبيع الأوراق المالية، وذلك إما لزيادة عرض النقد من العملة المحلية وبالتالي

^٨ لجلو موسى بوخاري، " سياسة الصرف الأجنبي وعلاقتها بالسياسة النقدية "، لبنان، مكتبة الحسين العصرية، ٢٠١٠، ص ١٢٥

^٩ سعيد جابر مشكور العامري " المالية الدولية: نظرية وتطبيق"، الطبعة الأولى، عمان، دار زهران، ٢٠٠٨، ص ١٥٠

^{١٠} توفيق عبد الرحيم يوسف حسن، " الإدارة المالية الدولية والتعامل بالعملات"، الأردن، دار الصفاء، ٢٠١٠، ص ٩٩-٨٨

* السياسة النقدية: هي الطريقة التي تدار بها النقود والمؤسسات النقدية في الدولة، في الطريقة التي يتبعها البنك المركزي للتأثير على السيولة النقدية المتاحة للتداول في الاقتصاد القومي.

* نسبة الاحتياطي النقدي: هي عبارة عن نسبة من الودائع لدى البنوك التجارية يتوجب على البنوك الاحتفاظ بها في شكل نقود سائلة كاحتياطي لدى البنك المركزي.

* سعر إعادة الخصم هو سعر الفائدة الذي يتقاضاه البنك المركزي على إعادة خصم الأوراق التجارية والأذن الحكومية للبنوك التجارية.

- انخفاض قيمة العملة أو بشراء الأوراق المالية أي امتصاص عرض العملة المحلية وبالتالي رفع قيمة العملة.
- سعر الفائدة: يعتبر الاقتصاديين أن تغيرات الطلب على الأصول المالية من أهم الأسباب التي تقف وراء التقلبات قصيرة الأجل في أسعار صرف العملات. وإن الزيادة في معدلات الفائدة الحقيقية، سوف تجذب رأسمال الأجنبي وهذا ما يؤدي إلى ارتفاع قيمة العملة في سوق الصرف الأجنبي.
 - التضخم: إن التضخم يؤثر على سعر الصرف، فالتضخم هو الارتفاع المستمر في الأسعار السلع والخدمات وهو يمثل انخفاض القوى الشرائية للنقود مما يعني ضعف وحدة النقد (تدهور قيمة العملة).

■ تأثير السياسة المالية:*

الزيادة في الضريبة تؤثر على سعر الصرف بطريقة مباشرة أي من خلال تأثيرها على الأنشطة الأخرى في الاقتصاد، فزيادة الضريبة تؤثر على قدرة الأفراد في المجتمع على الإنفاق وهذا من خلال تأثيرها على انخفاض دخولهم وبالتالي انخفاض عرض العملة وكذلك انخفاض الأسعار يترتب عليه زيادة في الطلب الأجنبي على السلع المحلية بسبب انخفاض أسعارها مقارنة مع الدول الأخرى، التي تكون فيها الأسعار مرتفعة وبالتالي ترتفع قيمة العملة المحلية.

العوامل غير الاقتصادية المؤثرة في سعر الصرف:

هناك عوامل أخرى تؤثر في سعر الصرف أهمها:¹¹

- الإضرابات والحروب: إن من العوامل المؤثرة على سعر الصرف ولاسيما في المدى القصير وأحيانا في المدى البعيد هي الإضرابات السياسية وحالات الحروب الداخلية والخارجية، والتي تؤثر على أوضاع التجارة والصناعة والزراعة والمال والتي من شأنها أن تغير الطلب على الصرف الأجنبي وبالتالي تغير سعر الصرف.
- الإشاعات والأخبار: تعد الإشاعات والأخبار من المؤثرات السريعة على سعر الصرف الأجنبي سواء كانت صحيحة أو غير صحيحة فأحيانا تصدر بعض الإشاعات من

¹⁰ تعني السياسة المالية جميع أوجه النشاط والمسائل المالية المتعلقة بالنشاط الحكومي المالي الذي يتجسد في الإنفاق الحكومي والإيراد الحكومي والموازنة العامة للدولة.

¹¹ عبد الحسن جليل الغالي، "سعر الصرف وإدارته في ظل الصدمات الاقتصادية"، عمان، دار الصفاء، ٢٠١١، ص ٨٢-٨٣.

بعض المتعامل أنفسهم حول مستقبل عملة ما ولكن التأثير يحدث خلال وقت قصير ولا تلبث السوق أن تستعيد استقرارها .

- خبرة المتعاملين وأوضاعهم: يقوم المتعاملون في سوق العملات الأجنبية في ضوء مهاراتهم وخبراتهم بالسوق وأحواله بتحديد اتجاه الأسعار واتخاذ قراراتهم بشأنها وتحديد ما إذا كان من الضروري تعديلها أو إبقائها على ما هي عليه، وبناءا عليه فإن الأسعار تتأثر بخبرة هؤلاء المتعاملين وبمهاراتهم.

تأثير الصدمات النقدية على سعر الصرف :

السياسات النقدية لها تأثيرات جد مهمة على سعر الصرف، بما في ذلك التأثيرات التي يمكن أن تحصل في سعر الصرف من جراء الصدمات، العديد من النماذج لتحديد سعر الصرف طورت وبالخصوص بعد "دورانبوش" (١٩٧٦)، هذه الإشكالية أخذت منحى جديد وظهرت نماذج الاقتصاد الكلي المفتوح الجديد "nouvelle macroéconomie ouverte"، وسيتم لاحقا العودة إلى أهم النماذج لتحديد سعر الصرف مركزين حول تأثير وميكانيزمات الصدمات السياسية النقدية.

مقال "دورنبوش" ١٩٧٦ الذي يمثل نقطة انطلاق للاقتصاد الكلي الدولي الحديث، كتكملة لنموذج "مندل فليمنج"، "دورنبوش" ١٩٧٦ يقترح نمذجة لسعر الصرف وهذا بدمج فرضية التوقعات العقلانية، ويظهر أن الصدمات النقدية يمكن أن تكون من أصل ظاهرة التعديل الزائدي لسعر الصرف الاسمي نسبة إلى قيمته التوازنية في المدى الطويل، فالسياسة النقدية التوسعية تؤدي إلى انخفاض اسمي عند حدوث الصدمة: "الصدمات النقدية لا تؤدي إلى انحرافات وفقا لنظرية تعادل القوى الشرائية، سعر الصرف الفعلي يعود إلى قيمته التوازنية و فقط الأسعار وسعر الصرف الاسمي التي تعدل"^{١٣}

وكي يتسنى لنا تفسير تأثير الصدمات على سعر الصرف سنحاول تقديم أهم

النقاط والنتائج التي قدمها (Mundell (1963)، (Fleming (1962)، Dornbusch

¹³ C. BLOT, «sensibilité du taux de change aux chocs monétaires et budgétaires: une analyse en termes de VAR des fluctuations eu ro /dollar », avril 2005, p93

(1976) ثم سنشير إلى أعمال أخرى مقدمة من طرف (Obstfeld et Rogoff (1995 و (Betts et Devereux (2000).

نموذج "منديل فليمنج":

يعد نموذج "منديل فليمنج" من أهم النماذج في مجال دراسة اختيار نظام سعر الصرف فقد اقترح "روبرت منديل" (1961) و"جون فليمنج" (1962) الأخذ بعين الاعتبار حركة رؤوس الأموال، فيعتبر نموذج "منديل فليمنج" كتكملة أو امتداد لنموذج (ISLM) الذي يدرس التوازن بين الاستثمار والادخار من جهة، ومن جهة أخرى بين العرض والطلب على النقود وزيادة على ذلك فهو يأخذ بعين الاعتبار كذلك ميزان المدفوعات (BP) أي على نموذج (IS-LM-BP) ككل فهو نموذج سهل وينطبق على مختلف أنظمة سعر الصرف وفق درجات مختلفة لحركية رؤوس الأموال، وقد سمح نموذج "منديل فليمنج" إلى الوصول إلى العديد من نتائج هامة، سنتناول من بينها معرفة تأثير السياسات الاقتصادية (السياسة النقدية بالخصوص) في كل نظام صرف.

وتتمثل فرضيات النموذج في ما يلي:¹³

- ISLM في اقتصاد مفتوح.
- ثبات الأسعار والأجور.
- عدم التشغيل الكامل.
- نظام صرف ثابت أو مرن.
- عدم حرية أو حركية رؤوس الأموال.

قام "منديل فليمنج" بالتمييز بين عدة حالات؛ فهو يرى أن فعالية السياسة النقدية أو السياسة المالية تختلف حسب نظام سعر الصرف المتبع (ثابت أو عائم)، وسنركز فيما يلي على تأثير السياسة النقدية على سعر الصرف في ظل سعر الصرف الثابت.

تأثير السياسة النقدية التوسعية في ظل سعر الصرف الثابت:

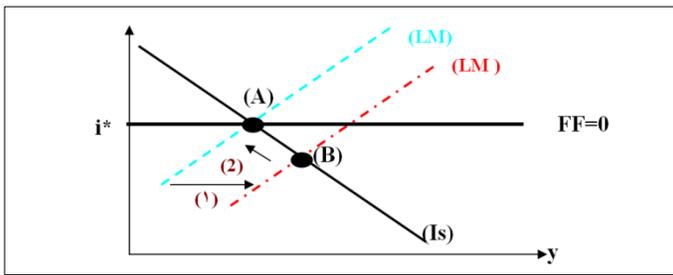
في حالة حركية رؤوس الأموال:

¹³ سي بول هالوود، رونالد ماكديونل، "النقود والتمويل الدولي"، دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية، 2007، ص 129

أي زيادة عرض النقود وبالتالي انخفاض سعر الفائدة مما يؤدي إلى انخفاض أسعار الفائدة التي بدورها تؤدي إلى خروج رؤوس الأموال، فبعد تبني سياسة نقدية توسعية ينزاح (LM) إلى اليمين (LM') عند النقطة (B)، ولكن خروج رؤوس الأموال نتيجة انخفاض أسعار الفائدة تؤدي إلى العودة إلى الوضع التوازني الأول في النقطة (A) وبالتالي ليس هناك تأثير.

الشكل 1: تأثير السياسة النقدية التوسعية في نموذج "منديل فلمنج" في ظل ثبات أسعار

الصرف وحركية رؤوس الأموال



المصدر: P. WANG, « The economics of foreign exchange and global finance, 1962 Vol 9, p144

والملاحظ أنه في حالة نظام صرف ثابت وحركية رؤوس الأموال فإن السياسة

النقدية غير فعالة .

في حالة عدم حركية رؤوس الأموال :

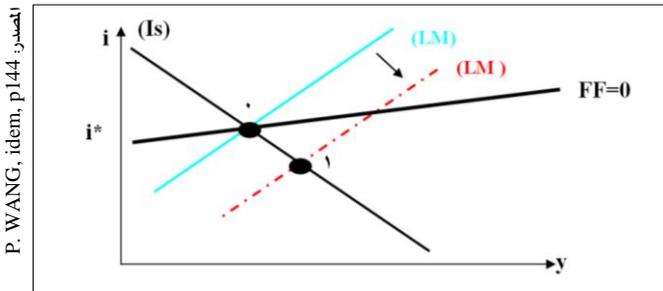
في هذه الحالة يؤدي انخفاض سعر الفائدة (i) والزيادة في عرض النقود إلى نزوح

(LM) إلى اليمين وصولاً إلى (LM') من النقطة 0 إلى النقطة (1) كما هو مبين في

الشكل 2.

الشكل 2: تأثير سياسة نقدية توسعية في نموذج "منديل فلمنج" في ظل ثبات أسعار الصرف

وعدم حركية رؤوس الأموال



المصدر: P. WANG, idem, p144

فعلى المدى القصير تسمح السياسة النقدية بدخل أكبر وسعر فائدة أقل وهي حالة جيدة. ولكن على المدى الطويل فإن النقطة (1) تقع تحت المنحنى (FF) الذي يمثل توازن ميزان المدفوعات وهذا ما يعنى أن هناك عجز في ميزان المدفوعات لأن زيادة الطلب تؤدي إلى عجز الميزان الجاري ولا تستطيع السلطات النقدية تمويل العجز لمدة طويلة لذا فعلى المدى الطويل، يعود (LM') إلى وضعه الأول وتصبح السياسة النقدية غير فعالة.

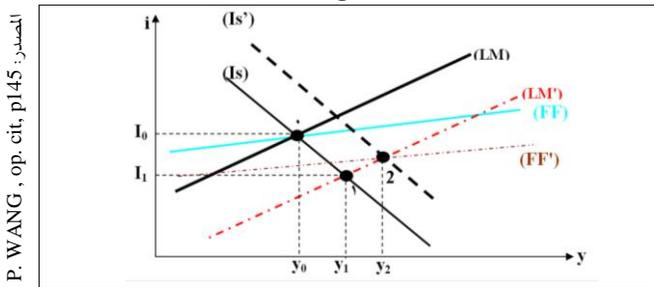
في حالة نظام الصرف الثابت وعدم حركية رؤوس الأموال فإن السياسة النقدية تكون فعالة على المدى القصير وغير فعالة على المدى الطويل.

تأثير السياسة النقدية التوسعية في ظل سعر الصرف المرن :

ونموذج "مندل فلمنج" في نظام صرف مرن فإن تغيرات سعر الصرف هي التي تسمح بتحقيق توازن ميزان المدفوعات مما يبين أنه ستكون استقلالية في السياسة النقدية وربما فعالية عكس نظام الصرف الثابت.

وفي هذه الحالة فإن (LM) ينزاح إلى اليمين (LM')، وينتج عن سياسة نقدية توسعية انخفاض سعر الفائدة، وهذا ما يؤدي إلى تدهور ميزان المدفوعات وذلك من خلال خروج رؤوس الأموال نتيجة انخفاض أسعار الفائدة ونقص تنافسية الصادرات نتيجة ارتفاع الدخل والمتمثلة في النقطة (1) التي تقع تحت منحنى (FF)، الذي يدل على وجود عجز في ميزان المدفوعات فهذه الحالة تؤدي إلى انخفاض سعر الصرف وبالتالي زيادة تنافسية الصادرات، وبالتالي ينزاح (IS) إلى اليمين (IS') ويتجه (FF) إلى الأسفل (FF') ونحصل على التوازن الجديد في النقطة (2). وفي ظل مرونة سعر الصرف فإن السياسة النقدية فعالة مهما كانت درجة حركية رؤوس الأموال.

الشكل 3: تأثير سياسة نقدية توسعية في نموذج "مندل فلمنج" في ظل مرونة سعر الصرف



التعديل الزائدي لسعر الصرف:

حسب "دورانبوش" فإن رد الفعل المفرط للصرف حيال الأزمة النقدية يتوضح من خلال كون مختلف الأسعار في إطار الاقتصاد لا تصحح جميعها بنفس السرعة عقب إضراب معين، فأسواق الصرف والأصول المالية تصحح بوتيرة أسرع من أسواق السلع، وهذا الاختلاف في سرعات التصحيح سيكون مصدر تطورات صرفية غير قابلة للتفسير في النماذج التي تفترض المرونة التامة والفورية لجميع الأسعار.¹⁴ حيث تقوم نظرية "دورانبوش" على الفرضيتين التاليتين:¹⁵

- في المدى الطويل نظرية تعادل القوى الشرائية النسبية قابلة للاختبار في المدى الطويل وكذا النظرية الكمية للنقود.

- سوق السلع والخدمات يستجيب ببطء للصدمات بينما السوق المالي يتأثر مباشرة. لشرح النظرية نفترض أن العالم يتكون من منطقتين مع وجود حالة توازن في المدى الطويل أين كل المتغيرات الاقتصادية ثابتة وتوقعات المتعاملين المستقبلية مستقرة. نفرض حدوث t لحظة صدمة خارجية وغير متوقعة من قبل المتعاملين، وهي ارتفاع كمية النقود في المنطقة الأولى بـ 10%، هذا الارتفاع لن يؤدي مباشرة إلى ارتفاع المستوى العام للأسعار للسلع والخدمات في تلك المنطقة، حيث أن الأسعار ستغير ببطء. لكن المتعاملين يرون أنه في المدى البعيد سترتفع بـ 10% (وفقا لنظرية الكمية).

ومنه سعر الصرف التوازني المتوقع الجديد في المدى الطويل: $r^a = 0.90 \text{ €}$ ، ومن جهة أخرى ارتفاع كمية النقود يؤدي إلى انخفاض فوري في معدلات الفائدة. سعر الصرف r يتعدل حسب هذا التغير الجديد في معدلات الفائدة مع الأخذ بعين الاعتبار سعر الصرف المتوقع الجديد r^a

وبموجب نظرية تعادل أسعار الفائدة الغير مغطاة الممثلة في العلاقة التالية:

$$\text{Taux d'intérêt de l'euro} - \text{taux d'intérêt de dollar} = (r^a - r)/r$$

$$r = 0.85$$

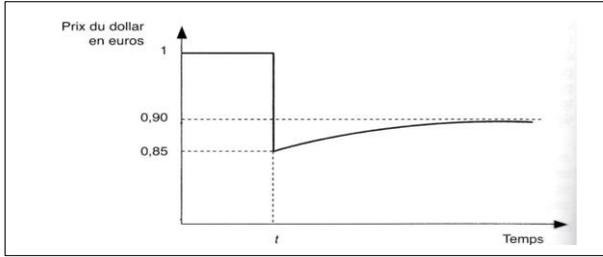
ومنه :

$$(r - 0.9)/r = 6\%$$

¹⁴ R. DORNBUSCH, « Expectations and exchange rate dynamics », the journal of political economy, vol 84.n°-(dec 1976), p1164 éd, Paris, Dunod, 2001, pp 237 - 238 ¹⁵ B. GUILLOCHON, « Economie internationale »,

حيث إن سلوك المستثمرين في سوق المال، التي هي نتيجة لارتفاع كمية النقود في المنطقة ١ يخلق تدهور لقيمة عملتها، أكبر مما يتوجب حدوثه من أجل تعويض الفارق في معدلات التضخم حسب نظرية تعادل القوى الشرائية النسبية وهذه الزيادة المفرطة تسمى برد الفعل المفرط أو التعديل الزائدي لسعر الصرف.

الشكل ٤: رد الفعل المفرط لـ "دورنبوش"



المصدر: B. GUILLOCHON, op. cit., p 238.

وفي المرحلة التي تتبع هذا التعديل المفرط لأسعار الصرف، انخفاض أسعار الفائدة سينشط الاستثمارات، إذن تدهور قيمة العملة يؤدي إلى زيادة الصادرات، والطلب على السلع والخدمات سيتعرض أيضا للتضخم. في هذه المرحلة الأرصدة الحقيقية لعملة المنطقة ستخضع وتعود إلى المستوى الداخلي للصدمة النقدية، هذا الانخفاض في الأرصدة الحقيقية يعمل على رفع معدلات الفائدة (السلوك الكينزي لتفضيل السيولة) فيرتفع المعدل من ٤% إلى ١٠%، والفارق بين المعدلات في المنطقتين سينخفض وسعر الصرف يرتفع. هذا النموذج يركز على السلوك النقدي وهو يمثل تفسيرات إيجابية لسعر الصرف.

أعمال "أوبستفالد و"روكوف":

الأعمال المقدمة من طرف "أوبستفالد و"روكوف" حول انتقال مختلف الصدمات في إطار نموذج مكون من دولتين، الهدف منها لم يكن وضع بحث نظري مفصل لأدبيات الموضوع ولكن ببساطة الاستدلال ببعض المقالات التي وضعت مبادئ هذه المقاربة، حيث أن obstfeld et rogofff1995 يستلهمون من أعمال المقدمة من طرف rankin 1990 و sevensson et van wijnbergen 1989، و svennssoon 1987،

الذين قاموا بتطوير نماذج اللاتوازن معتمدين على أسس الاقتصاد الجزئي، وتم الارتكاز على فرضيتين وهما الثبات الاسمي والمنافسة الاحتكارية.

والنتائج المحصل عليها فيما يخص أبحاث Obstfeld et Rogoff 1995 وبالتحديد حول استجابة سعر الصرف للصدمات النقدية هي قريبة لتلك النماذج من نوع "معدل فليمنج" و"دورنبوش"، بحيث يبين أن السياسة النقدية التوسعية تؤدي إلى انخفاض اسمي، وفي نفس الوقت، سعر الصرف يتعدل تدريجيا ويعود إلى قيمته الجديدة التوازنية ولا يلاحظ أي ظاهرة للتعديل الزائدي، وهذا وفقا لقانون السعر الواحد، حيث أن أسعار نفس السلعة المستعملة في دولتين مختلفتين هما متطابقين بمجرد تقويمهم بنفس العملة بما في ذلك تقويم سلة من السلع المتشابهة في دولتين وبهذا تعميم نظرية تعادل القوى الشرائية.

كما أظهر كل من Obstfeld et Rogoff أن ارتفاع عرض النقود يؤدي إلى الانخفاض الاسمي، بينما سعر الصرف يتعدل تدريجيا إلى قيمته الحقيقية بعكس نظرية التعديل الزائدي المقدمة من طرف "دورنبوش" 1976 بما أنه لا يوجد أي انحراف (تغيير) لسعر الصرف الفعلي، هذا الانخفاض يزيد الطلب الموجه للمنتجين المحليين وبالتالي الإنتاج المحلي في المدى القصير، والانتقال الدولي للصدمة في هذه الحالة غير مؤكد (غامض).¹⁶

من ناحية أخرى المنتجين الأجانب تقل قدرتهم التنافسية الأمر الذي يؤدي انخفاض إنتاجهم، ومن ناحية أخرى انخفاض معدلات الفائدة يزيد من الاستهلاك العالمي الأمر الذي يلح معظم المنتجين على إنتاج كميات أكبر، بينما من المؤكد أن الإنتاج المحلي يتزايد نسبة إلى الإنتاج الأجنبي. من جانب آخر يتضح أن تواجد تأثير الوفرة المرتبط بظهور فائض في الحساب الجاري المحلي، هذا الأثر ينص على أن للصدمات تأثيرات متتالية.

وقد قام Betts et Devereux (2000) بإحداث تغييرات على الإطار المقدم من طرف Obstfeld et Rogoff عن طريق دمج فرضيتين إضافيتين، يفرض من ناحية أن المنتجين يميزون ما بين مختلف الأسواق التي تباع من خلالها منتجاتهم. هذه الفرضيات

Economy vol.103 n°3, p 624-660¹³ M. OBSTFELD et K. ROGOFF (1995), « Exchange rate dynamics redux », Journal of Political

وأخرى مكملة لها التي من خلالها بعض الأسعار تحرر بالعملة المشتري-local-currency- pricing.

فالأسعار يفترض أنها ثابتة في المدى القصير، وانخفاض العملة المحلية لا تتضمن بالضرورة ارتفاع أسعار السلع الأجنبية. هذه الفرضيتين تسمح بتوضيح قانون السعر الواحد الناتج عن علاقة نظرية تعادل القوى الشرائية، الصدمات النقدية إذن تؤدي إلى تطاير (volatilité) أقوى لسعر الصرف، وبالتالي فهذا يجب أن يكون أكثر قوة من انعكاس انحرافات الصرف على أسعار السلع المستوردة غير التامة، بينما سعر الصرف الاسمي يمكن له تحت بعض الشروط أن يخضع لظاهرة التعديل الزائدي لقيمته في المدى الطويل.

من جانب آخر بما أن فرضية PTM-LCP تنص على انعكاس انحرافات سعر الصرف الاسمي للأسعار النسبية للسلع غير التامة، فانخفاض العملة المحلية لا يتضمن نظاميا أثر انعكاس الطلب على أرباح المنتجين المحليين، انخفاض معدل الفائدة المحلي، ارتفاع عرض النقود، وزيادة استهلاك المحلي وبالتالي الطلب الموجه على مجموع المنتجين، وكلما يكون درجة pricing-to market مرتفعة كلما قل أهمية تأثير انعكاس الطلب وكلما ارتفع احتمال الانعكاس الإيجابي للصدمات النقدية التوسعية.

وفي الأخير تجدر الإشارة أن betts et devereux 2001 تظهر أن فرضية "pricing-to-market" ليست أساسية من أجل تحليل الصدمات المالية، ونجد إذن تشابه مع الأعمال المقدمة من طرف obstfeld et rogoff 1995، فالانخفاض المتعلق بالاستهلاك المحلي يؤدي إلى انخفاض اسمي ضروري للتعديل في سوق الصرف، هذا الانخفاض هو حقيقي أكثر عند betts et devereux 2001 والتأثيرات على الإنتاج هو غير أكيد بحيث هو مرتبط التطور المرتبط بالاستهلاك العالمي العام والخاص.¹⁷ وكخلاصة obstfeld et rogoff 1995 أظهرت أن الصدمات النقدية والمالية التوسعية تؤدي في المدى القصير إلى ارتفاع نسبي للإنتاج في البلد الأصل للصدمة، نفس هذه الصدمات يمكن أن تؤثر في المدى الطويل على أساس تواجد أثر الوفرة في نفس

¹⁷ C. BETTS et M. DEVEREUX (2000): « Exchange rate dynamics in a model of pricing-to-market », Journal of International Economics 50, pp 215-244

الوقت، نظرية تعادل القوى الشرائية تجبر على تعديل سعر الصرف الحقيقي مما لا يسمح بالتطير المفرط لسعر الصرف. و Betts et Devereux 2000 توصلوا إلى نفس النتائج التي وصل إليها Dornbusch 1976 فيما يخص التعديل الزائدي لسعر الصرف لصدمة نقدية.

الدراسة التطبيقية:

من خلال الدراسة التطبيقية سنحاول دراسة تأثير الصدمات النقدية على سعر الصرف في الجزائر خلال الفترة الممتدة ما بين ١٩٩٤ و ٢٠١٠ وهي منتقاة من موقع البنك العالمي وصندوق النقد الدولي .

وتتمثل المتغيرات الاقتصادية فيما يلي:

- IPC المؤشر العام لأسعار الاستهلاك (التضخم)؛
- M2 الكتلة النقدية (المتملة في كمية النقود العينية المتداولة وأشباه النقود)؛
- TC سعر الصرف (سعر صرف الدينار الجزائري مقوم بالدولار الأمريكي)؛
- TI معدل الفائدة .

سنقوم باختبار تأثير الصدمات النقدية على تقلبات أسعار الصرف باستخدام نموذج انحدار الذاتي VAR وبالتحديد سنعمد على تحليل التباين ودوال الاستجابة لاختبار فرضيات الدراسة وهذا محاولة منا للإجابة على إشكالية الدراسة، وصيغة النموذج هي كالآتي:

$$X_t = f(TC, IPC, M2, TI) =$$

ويمكن تلخيصه في شكل المصفوفة التالية:

$$e_t = B_0 e_t \iff \begin{pmatrix} e_{tc} \\ e_{IPC} \\ e_{M2} \\ e_{TI} \end{pmatrix} = \begin{pmatrix} 1 & 0 & 0 & 0 \\ b_{21} & 1 & 0 & 0 \\ b_{31} & b_{32} & 1 & 0 \\ b_{41} & b_{42} & b_{43} & 1 \end{pmatrix} \begin{pmatrix} e_{tc} \\ e_{IPC} \\ e_{M2} \\ e_{TI} \end{pmatrix}$$

اختبار استقرارية السلاسل الزمنية:

نقوم بتقدير النماذج القاعدية الثلاث بحيث نختبر الفرضية التالية: $H_0 : \phi_1 = 1$

بحيث يكون القرار الإحصائي كالآتي:

- إذا كانت $t_{\phi j} < t_{tab}$: نقبل الفرضية الصفرية (H_0): أي أن السلسلة الزمنية للمتغيرات الاقتصادية غير مستقرة، وذلك لوجود جذر أحادي؛
- إذا كانت $t_{\phi j} > t_{tab}$: نقبل الفرضية البديلة (H_1): أي أن السلسلة الزمنية للمتغيرات الاقتصادية لا يوجد بها جذر أحادي، وبالتالي فهي مستقرة.

جدول ١: نتائج اختبار الاستقرارية باستخدام إحصائية Perron و Phillips

	Adj. t-Stat	10%	5%	1%	Prob.*
IPC	-2.281295	-2.673459	-3.065585	-3.920350	0.1888
D(IPC)	-7.438482	-3.324976	-3.759743	-4.728363	0.0002
TC	1.484028	-2.717511	-1.964418	-	0.9590
D(TC)	-4.355287		1.605603	-	0.0003
			-2.728252	-1.966270	-
			1.605026		
M2	-3.245498	-3.310349	-3.733200	-4.667883	0.1109
D(M2)	-6.680113	-2.728252	-1.966270	-1.605026	0.0000
TI	-4.116475	-2.717511	-1.964418	-1.605603	0.0004

المصدر: من إعداد الباحثين بناء على مخرجات برنامج SPSS

نلاحظ أن كل من سلسلة التضخم ومتوسط العام للاستهلاك IPC وسلسلة سعر الصرف TC وسلسلة الكتلة النقدية M2 مستقرة من الدرجة الأولى بينما سلسلة معدل الفائدة TI فهي مستقرة من الدرجة الصفر.

تحليل التباين:

سنقوم بتوضيح تأثير كل صدمة على حدة في تفسير تقلبات سعر الصرف، وحسب ما تشير إليه نتائج تحليل تباين الأخطاء، نلاحظ أن معظم التقلبات الطرفية لجميع المتغيرات في المدى القصير تساهم بنسب ضعيفة في تقلبات سعر الصرف ما عدى الكتلة النقدية هي التي لها أكبر مفسر لسعر الصرف في الجزائر ويقدر تأثيرها بنسبة ٣٣,٤٥ % ثم تليها IPC التضخم ومتوسط أسعار الاستهلاك بنسبة ضئيلة تقدر بـ ١٢,٦٨ % بينما يساهم معدل الفائدة بنسبة جد ضئيلة لا تتجاوز ٠,٢٢ %.

جدول 2: نتائج تحليل تباين الأخطاء

Variance Decompositi on of D(TC):	Period	S.E.	D(TC)	D(IPC)	D(M2)	TI
	1	0.069885	100.0000	0.000000	0.000000	0.000000

2	0.095316	57.47377	9.996755	32.50030	0.029171
3	0.102594	58.14183	12.18038	29.47199	0.205799
4	0.104886	55.62894	12.08221	32.08760	0.201244
5	0.107177	54.38621	12.69442	32.70747	0.211896
6	0.108098	53.57573	12.74483	33.45736	0.222080
7	0.108826	53.02940	12.68782	34.06166	0.221128
8	0.109069	52.97489	12.86296	33.93491	0.227246
9	0.109345	52.71812	12.79810	34.25760	0.226176
10	0.109460	52.69138	12.85609	34.22462	0.227903

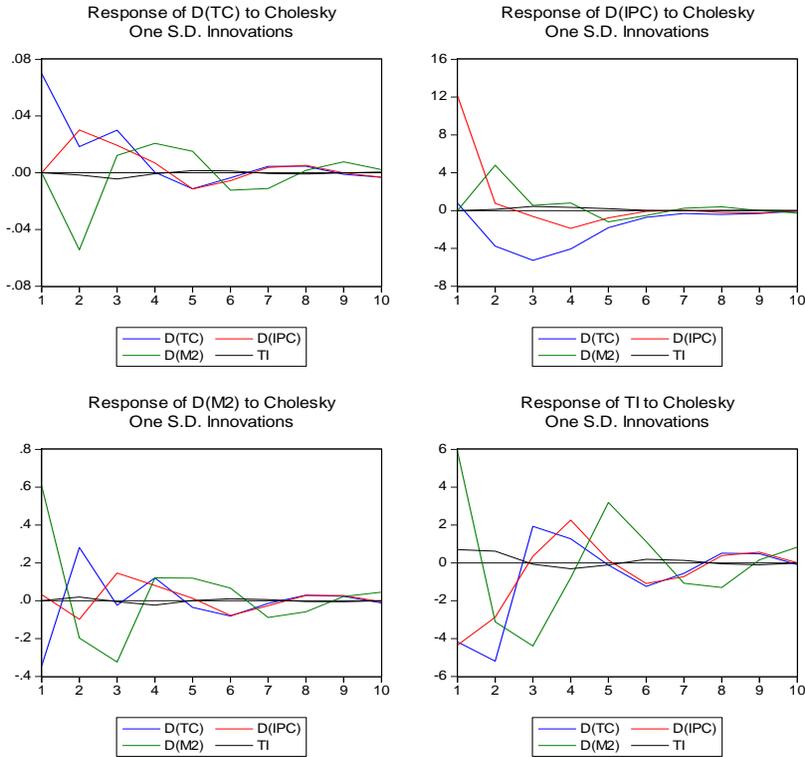
المصدر: من إعداد الباحثين بناء على مخرجات برنامج SPSS

دوال الاستجابة الفورية:

يوضح الشكل (5) استجابة الصدمات بالنسبة لسعر الصرف وحجم تأثيرها خلال ١٠ سنوات لانحراف معياري واحد للمتغيرات الاقتصادية المفسرة في نموذجنا. ومن الملاحظ أن سعر الصرف يستجيب إلى الصدمات التي تحدث في المتغيرات المفسرة وذلك على النحو التالي:

- بالنسبة لاستجابة سعر الصرف لـ **IPC**: أي صدمة في **IPC** سيكون له تأثير إيجابي خلال الفترات الموالية (الفترات الأولى للدراسة) وهذا حتى الفترة الرابعة ليصبح له تأثير سلبي للفترة المحصورة ما بين الفترة الرابعة إلى غاية الفترة السابعة ليعود ويؤثر إيجابا حتى الفترة التاسعة أما خلال الفترة الأخيرة فيؤثر بشكل سلبي.
- بالنسبة لاستجابة سعر الصرف لـ **M2**: لا يستجيب سعر الصرف لصددمات التي تحدث في الكتلة النقدية خلال الفترات الأولى للدراسة ونلاحظ استجابة إيجابية ما بين الفترة الثالثة والرابعة ولا توجد أي استجابة خلال الفترات الموالية ليستجيب بشكل سلبي خلال الفترة السادسة وبشكل إيجابي خلال الفترة الثامنة.
- بالنسبة لاستجابة سعر الصرف لـ **TI**: نلاحظ أن سعر الصرف لا يستجيب نهائيا لتغيرات سعر الفائدة طوال فترة الدراسة.

الشكل (٥): استجابة الصدمات بالنسبة لسعر الصرف وحجم تأثيرها



خاتمة:

عرف الاقتصاد الجزائري تطبيق عدة نظم لسعر الصرف ارتبطت ارتباطا وثيقا بكل مرحلة من مراحل التنمية بداية من سعر الصرف الثابت وصولا إلى سعر الصرف المرن، بحيث عرفت مؤشرات التوازن الاقتصادي الكلي نتائج متفائلة ابتداء من النصف الثاني من سنوات التسعينيات، فتعديل ميزان المدفوعات وتحسن الوضعية العامة واستقرار معدل الصرف الحقيقي وعميق الإصلاحات الهيكلية بتطبيق أسعار فائدة موجبة حقيقية قد سمح للجزائر برفع احتياطياتها من الصرف الأجنبي.

إن أي صدمة تحدث في الاقتصاد إلا ولها تأثيرات على تقلبات أسعار الصرف كزيادة كمية النقود أو غيرها ولكن السياسة سعر الصرف المتبعة من طرف الدولة

تحد من هذه التقلبات، والجزائر اتبعت خلال الفترة المأخوذة للدراسة نظام سعر الصرف المعموم المدار والمعروف أن هذا النظام يسمح للسلطات النقدية التدخل باستخدام ما تملكه من احتياطات من أجل تحقيق أهدافها الاقتصادية ولهذا السبب نلاحظ أن التأثيرات متغيرات السياسة النقدية ضئيلة إلى حد ما.

قائمة المراجع :

قائمة المراجع باللغة العربية:

١. توفيق عبد الرحيم يوسف حسن، " الإدارة المالية الدولية والتعامل بالعملات"، الأردن، دار الصفاء، ٢٠١٠؛
٢. سعيد جابر مشكور العامري، " المالية الدولية: نظرية وتطبيق"، الطبعة الأولى، عمان، دار زهران، ٢٠٠٨؛
٣. سي بول هالوود، رونالد ماك دونالد، "النقود والتمويل الدولي"، دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٧؛
٤. عبد الحسن جليل الغالبي، "سعر الصرف وإدارته في ظل الصدمات الاقتصادية"، عمان، دار الصفاء ٢٠١١؛
٥. لخلو موسى بوخاري، "سياسة الصرف الأجنبي وعلاقتها بالسياسة النقدية"، لبنان، مكتبة الحسين العصرية، ٢٠١٠؛
٦. ماهر كنج شكري، مروان عوض، "المالية الدولية والعملات الأجنبية والمشتقات المالية بين النظرية والتطبيق"، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤؛
٧. محمود حميدات، "مدخل للتحليل النقدي"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، طبعة ٢، ٢٠٠٠؛
٨. هزاع مفلح، "التمويل الدولي"، سوريا، المنشورات الجامعية، حلب، ٢٠٠٨؛
٩. بوثلجة عبد الناصر، أطروحة دكتوراه، "دور المعلومات في تحديد سعر الصرف"، جامعة تلمسان، ٢٠٠٨.

قائمة المراجع باللغة الأجنبية:

1. B. GUILLOCHON, « Economie internationale », ٣^{ème} éd, Pparis, Dunod, 2001 ;

2. C. BETTS et M. DEVEREUX (2000), « Exchange rate dynamics in a model of pricing-to-market », Journal of International Economics 50;
3. C. BLOT, « Sensibilité du taux de change aux chocs monétaires et budgétaires: une analyse en termes de VAR des fluctuations euro /dollar », avril 2005 ;
4. J. L. MUCHEILLI, T. MOYER, « Economie internationale » Paris, Dalloz, 2005 ;
5. M. OBSTFELD et K. ROGOFF (1995), « Exchange rate dynamics redux », Journal of Political Economy vol.103 ;
6. P. DARRISENT, « Finance internationale », 2^{ème} éd, Paris, Dunod, 2008 ;
7. P. WANG, « The economics of foreign exchange and global finance –second éd. –springer mundell R.A the appropriate use of monetary and fiscal policy for international and external stability, imfstaff papers, 1962, vol 9.
8. R. DORNBUSCH, «Expectations and excahnge rate dynamics », the journal of political economy, 1976, vol 84;
9. Y. SIMON, « Marché des changes et gestion de risque de change », Paris, Dalloz, 1995.

فلسفة المعنى في الخطاب الأدبي
(أطروحة ميشال ماير أنموذجا)

د. حفيظ ملواني

أستاذ محاضر: جامعة البليدة ٢



جامعة الأندلس
للعلوم والتكنولوجيا

Alandalus University For Science & Technology

(AUST)

فلسفة المعنى في الخطاب الأدبي (أطروحة ميشال ماير أنموذجاً)

الملخص :

باللغة العربية :

حيث يكون السؤال الأدبي نفسه محط التساؤل؛ موظفاً في ذلك جملة من النصوص الشعرية والقصصية والإجراءات النقدية على سبيل التعليل والاختبار وخدمة الغرض.

تعد هذه الدراسة العلمية ضمن انشغالات البحث في فلسفة المعنى ضمن سياق البنية الدلالية للخطاب الأدبي عبر إنجاز قراءة في أدبية الخطاب من منظور الباحث البلجيكي ميشال ماير؛ وفق آلية أشكلة الأدب تحت مسوغ علم الأشكلة

Le résumé en français :

Cette étude scientifique s'exerce dans le champ des préoccupations de la philosophie du sens dans le contexte de la structure sémantique du discours littéraire ; ce qui prévoit une lecture dans la littérarité du discours, selon la vision du chercheur belge Michel

Meyer ;d'après l'option de la problématisation de la littérature suivant les notions de la problématologie ; afin de questionner le questionnement dont l'objet littéraire ,en traitant des textes poétiques et narratives a l'appui

نظام الأشكلة في الخطاب الأدبي :

لقد تعود الإنسان على اليقينيات والإجابات الجاهزة؛ فينتظرها بشغف دون عناء في كل وقت وحين؛ إنه يبحث عن الطمأنينة؛ يريد أن يصل إلى الصواب ويصدر الأحكام ويكشف عن الحقيقة من أول وهلة؛ مع أن مبعث جوهر التفكير لا يكمن في الإجابة بقدر ما يتجلى في طرح السؤال المؤدي إليها؛ ذلك ما يحرك في العمق وجود علم يعرف بعلم الأشكلة (la problématologie) في سبيل إخضاع السؤال ذاته إلى المساءلة حيث يشكل موضوع هذا العلم بامتياز¹، وكأنك بمنطقه ستضع الإشكالية (la problématique) ذاتها من حيث المبدأ موضوعاً قيد البحث والمساءلة الحثيثة، ولنا أن نتصور صيغة إشكالية الإشكالية (la problématique de la problématique) إن من شأن هذا العلم أن يبحث عن أساس معرفي جديد يجعل من ثنائية السؤال والجواب قاعدة التفكير العقلاني.

ينطلق ميشال ماير (Michel Meyer)² في بسط نظريته تماشياً مع أولويات السؤال الفلسفي الذي يمكن أن يتخذ لنفسه منحى التعبير على شاكلة الخطاب، يستمد مرجعيته من مشارب متعددة كالأطروحة السوقراطية والمحاورات الأفلاطونية والجدلية الهيجلية في ظل تفويض الإجابة التي يكون فيها (السؤال) هو بعينه سبباً فاعلاً في وجودها³، إن أغلب التصورات الكلاسيكية المؤسسة للدرس الفلسفي والنقدي الأدبي على حد سواء تعمل على التمييز بين الشكل والمحتوى بطريقة يعجز الدارس في نظرها الجمع بينهما في آن واحد؛ فالإقرار قائم على مبدأ انعدام التكافؤ بين الكلمة بوصفها شكلاً تعبيرياً، وما يمكن أن تشير إليه باعتباره مضموناً أو شيئاً حسياً؛ فعلى سبيل المثال لا التحديد فلفظة إنسان باستطاعتها أن تدل على معنى مادي محض (وجود إنسان من طبيعة بيولوجية)، أو مفهوم عام للجنس البشري، أو ما

¹ - Michel Meyer. la problématologie Ed Que sais je Paris 2010 .p3-4.

² - ميشال شارل من مواليد 11 نوفمبر 1950؛ فيلسوف من جنسية بلجيكية. أستاذ كرسي بجامعة بروكسيل الحرة (Université libre de Bruxelles): أخذ تعليمه الأولي طالبا اقتصاديا محضاً؛ فقبو من خري جامعة جون هوبكنس بالولايات المتحدة الأمريكية (Johns Hopkins University) تحصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة سنة 1979 اهتماماته في الغالب تجمع بين الإطار البلاغي والحجاجي وفلسفة اللغة؛ تلميذ لحايم بيرلمان (Chaïm Perelman) عالم البلاغة الشهير؛ كما اشتغل في الفلسفة التحليلية عند كانط وكذا الأنطولوجيا.

³ - Michel Meyer. De la problématologie : philosophie, science et langage. Ed pierre Mardaga EDITEUR .BRUXELLES .p48.

يفيد التشخيص (وجود شخص ما)⁴؛ إذاً فقد يعتني المرء بالشكل ليراعي نظام التعبير دون أن يوفق في التركيز على جوهر المعنى بالقدر المستوي من الأهمية؛ وهي الصفة المميزة التي يهتدي إليها الفلاسفة ومواليهم من النقاد، وعليه فتتظر هذه الفئة إلى اللغة باعتبارها مجرد وسيلة تبليغية تواصلية لخدمة المحتوى لا غير، "والواقع أن اللغة أكثر من مجموعة أصوات، و أكثر من أن تكون أداة للفكر أو تعبيراً عن عاطفة. اللغة جزء من كياننا البيولوجي الروحي، وهي عملية فيزيائية اجتماعية بسيكولوجية على غاية من التعقيد، وتتناول أربعة أمور أساسية لتمام العملية المعقدة: أ متكلم /ب مخاطب / ج أشياء أو فكر يتكلم عنها / د كلمات أو مفردات (أو إشارات ملامحية أو يدوية) وهي مجموعة فونيمات لها في الذهن صورة معينة أي معان"⁵، بالمقابل فنجد الناقد الأدبي البنيوي الشكلائي يسير في اتجاه مساءلة العمل الأدبي من ذاته ولذاته دون أن يدخل اعتبارات خارجة عن سياق الداخلي للنص، إنها "نظرة تضع حداً لهذه الثنائية القائمة على الحضور المتزامن للداخل والخارج في لغة النص الأدبي، نظرة تعترف بوجود الداخل فقط على أساس أن اللغة ليست تمثيلاً شفافاً للمعنى الخارجي؛ لأن فكرة الاستخدام الحرفي أو المرجعي للغة وهم يرجع إلى أننا ننسى الجذور المجازية للغة"⁶، فتبقى فرضية الفكرة مسيطرة أو نموذج اللغة المجردة نافذاً؛ مع أن جوهر الأدبية مستمدة من الخطاب الذي يشكلها، فلم يعد الأدب بحسب تصور جان بوسسيير (Jean Bessière) يحقق وجوده من ذاته أو من تسميته؛ فالسؤال عن الأدب يبقى مفتوحاً بغض النظر عن الافتراضات التي أقرت بها النظرية الأدبية⁷، وعليه فالعملية في حاجة إلى إخضاع لغة الخطاب الأدبي بعينه إلى المسألة المحايثة بعيداً عن البينية القائمة بين الجملة والنص؛ والمسألة ذاتها قد تأخذ في نظر ميشال ماير مصطلح الأشكلة (la problématisation)؛ فالمرء وهو مقبل على التحدث أو الكتابة في سياق حياته اليومية؛ ستجده على وجه الضرورة ينطلق من الأسئلة الذهنية التي تثير اهتمامه في نطاق قضية محدّدة، بمعنى وجود مشكلة ما، دون أن يكشف عنها

⁴-Gilles Siouffi .Penser le langage a l'âge classique Ed Arman colin Paris 2010. p7.

⁵-أنيس فريحة. نظريات في اللغة. دار الكتاب اللبناني. بيروت. ط ٢ ١٩٨١ ص ١١.

⁶-عبد العزيز حمودة. المرايا المحببة من البنيوية إلى التفكيك. سلسلة عالم المعرفة أبريل نيسان ١٩٩٨. المجلس الوطني للثقافة. الكويت. ص ١٠٨.

⁷-Jean Bessière .Dire le littéraire : point de vue théorique. Ed pierre Mardaga Editeur bruxelles 1990 .p 6.

بالضرورة مساق التعبير الذي يتمظهر في صيغة الإجابة^٨، كقولك : يبدو الجو اليوم معتدلاً، ما يكشف أن هناك سؤالاً مفاده: هل تتوقع اعتدالاً في الجو؟، والإجابة تقضي بالاحتمال.

ما يعني أن الخطاب اليومي الذي ننجزه قد يبدو في ظاهره عبارة عن كلام تقريبي أما في جوهره فهو لا يغادر المنحى الاستفهامي؛ وعليه فيتوقع أن تكون الإجابة غير المثبتة والمتعلقة بهذا التساؤل المطروح تتماشى أكثر مع ما يصدر في ثنايا هذا الخطاب الذي يجري تشكيكه من خلال عبارة أو جملة أو حتى استدعاء خطاب آخر يلامسه وينضوي تحته^٩ على شاكلة التناص (l'intertextualité)

"لأنني رفضت الدروب القصيرة

وأعلنت رغم الجميع التحدي

وأنني سأمضي

لأعماق بحر بدون قرار

لعلني يوماً

أحطم عاجية الشهريار

أحرر من قبضتي الجواري"^{١٠}

ماذا نقول في شعرية هذه اللغة الصادرة من أحلام مستغانمي في ديوانها على مرفأ الأيام عبر قصيدتها المعنونة بالتحدي، إنها ظاهرة تعبيرية تستقطب الأشكلة من صميم موضوعها، إنها قضية المرأة ووجودها في المجتمع العربي عموماً والجزائر على وجه التحديد إبان الستينيات؛ هذه المرأة تبحث عن كرامتها، عن حريتها، إذأ هي تسأل، تبحث عن مخرج في صيغة الإقرار والمطالبة بشيء سلب منها، وهو صوت أحلام مستغانمي المتمردة على قانون الأعراف والتقاليد، الإجابة (حل الأشكلة) استدعت نصاً آخر نجده في حكايات ألف ليلة وليلة؛ إنه تفاعل نصي حكيم ومدرّوس ومييت، ألا يكمن الحل فيما صنعتة شهرزاد بسحريتها الحكائية أمام عنفوان شهريار؛ أم أن الأمر في حاجة إلى شهرزاد أخرى تعاصرنا، تخاطبنا بلغتنا التي نفهمها ونقدر معناها؟

^٨ - Michel Meyer. Langage et littérature. Ed puf. Paris. 1992. P4.

^٩ - Ibid p 5.

^{١٠} - أحلام مستغانمي. على مرفأ الأيام: مختارات من الديوان. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر ط ١٩٧٢. ص ٣.

هل تعكس صوت الأدبية أحلام مستغانمي أنا المرأة؟ هذه تساؤلات لا تنتهي وإجابات محكومة بطي النسيان، إنها حركة تضمينية نصية أقرتها هذه الإجابة التي بمقدور القارئ أن يصطنعها لنفسه؛ فمع كل قراءة دلالة ومع كل دلالة إجابة، وهو مضمار حل الأشكلة؛ وسرعان ما نكتشف أن أثر هذا التساؤل حسب تصور ميشال ماير سيزول على وقع التعبير المكتوب أو المنطوق على حد سواء، وعليه ستصير الإجابة في حاجة ماسة إلى مرجعية ما يحيل إليها الخطاب ذاته، فلك أن تتصور أن المجاز يقوي هذا النفوذ؛ بصرف النظر إن اعتبرنا المعنى الذي نصبو الوصول إليه هو ذاته المائل في هذا الخطاب بشكل حريّ أو ضمني؛ فهو في حدّ ذاته يشتغل باعتباره مبرراً للبحث عن هذه الإجابة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة¹¹، فقول السارد "عندما شرع النافذة على اتساعها كان يريد أن يرى المدينة التي اشتهاها، والتي ملأته بتفاصيلها الصغيرة، في هذا الفصل بالذات، نيويورك التي تحتله مثل وردة متوحشة. عندما يغادرها ولو لأيام أو لساعات، يشعر بها معه، يسمع تقطع أنفاسها مثل عشيقته في لحظة ألقها، يسحبها وراءه في ذاكرته وبين أشياءه الصغيرة. عندما يفتح حقائبه في المدن البعيدة تسبقه هي بروائحها وعطرها وألوانها وفوضاها الجميلة، وشوارعها التي لا تنتهي، وموسيقاها التي تأتي من المخابئ المنسية وتستقر في القلب بدون استئذان¹²"، فالموضوع هو المدينة هي الإشكالية؛ هي السؤال وهي منبع الجواب، يمكن للقارئ أن يتوخى منها حرفية المعنى فتصير المرجعية تقصد مدينة نيويورك على وجه الحقيقة العينية الملموسة في نطاق مجازي تصير هذه المدينة باعتبارها امرأة ينساق إليها الحنين والتعلق بها فنكتشف الصرح المجازي فيها؛ فالمرجعية حاضرة يختلقها القارئ كيفما شاء .

بدورنا بمنطق الأشكلة عند ماير نطرح هذا التساؤل: ما علاقة هذا المنحى الإشكالي الذي يطرحه ميشال ماير بشأن الخطاب الأدبي المستهدف؟

¹¹ - Michel Meyer. Langage et littérature. p 6.

¹² - واسيني الأعرج، رماد الشرق ١: خريف نيويورك الأخير، منشورات الجمل بيروت-بغداد ط ١ ٢٠١٣. ص ١٠.

قد تظهر الإجابة دون عناء إذا ما تمّ توجيه العناية بصورة مباشرة إلى مضمار ما وراء اللغة (le métalangage)¹³، فالمسألة تراهن على إشكالية البحث في الأدبية، أي أدبية الخطاب، ما يفسر أن الخطاب الأدبي هو ذاته على لسان مؤلفه يطرح فيما إن كان بحق الخطاب الذي شكله؛ يمكن وصفه بالأدب في سياق محاولة الإقرار بأدبيته؟ ودور الأتقنة التي يمارسها المبدع في لغته تعد أكبر دليل على ذلك¹⁴، على نحو جعل الشخصية تتحمل أعباء موقف صاحب الرواية، ولك هذا النموذج "أحبك ... أحبك أيتها العجربة .. قلتها لي فجأة وصمت طويلاً، وصمت أنا أيضاً... وعرفنا كيف يصير الصمت شعراً"¹⁵؛ ولعل المقولة التي تؤمّن هذا المنحى ما يدلي به ماير فيما معناه وهو يقرأ في الجدلية الحاصلة بين المعنى الحرفي والمعنى المجازي؛ على أساس أن الحرفية تشتغل بمثابة طلب الموافقة على المعنى الذي يجري التصريح به، وحتى إن تمت عملية الاستبدال بكلمات أخرى فيبقى المعنى هو نفسه من قبيل أن الفرضية الثانية تشتغل لصالح المعطى المجازي .

وفق ما يمكن توضيحه في الجدول التالي:

الكلمة ١ / القمر	معنى ١ / معنى القمر	حرفي
الكلمة ٢ / الجمال	معنى ٢ / معنى الجمال	حرفي
الكلمة ٢ / الجمال	معنى ١ / معنى القمر	مجازي
الكلمة ١ / القمر	معنى ٢ / معنى الجمال	مجازي

فما يشكل المعنى الحرفي لعبارة ما هو ما يمكن بدوره أن يشكل مجازاً آخر في نطاق عبارة مغايرة.

قد ترتسم في هذا السياق ملامح المعنى المجازي وآلية اشتغاله على قدر محدودة النص في إثارته مرجعية الواقع الذي يستمد منه وجوده؛ فكلما بعدت المسافة بين النص وسياق إنتاجه الخارجي كلما تطعمت فكرة انتساب النص إلى عالم المجاز بدلا من عالم الواقع على سبيل الحرفية في الطرح والتوجه، ما يجعل النص (الخطاب الأدبي)

¹³ -Romane Jakobson trd : N. Ruwet. Essais de linguistique générale Paris, Ed Minuit, Paris 1963, p 217-218.

¹⁴ - Michel Meyer. Langage et littérature. p151.

¹⁵ -غادة السمان الحب. منشورات غادة السمان بيروت ط ١٩٩١ ص ١١ .

في تقدير ماير نصا ملغزا (un texte énigmatique)^{١٦} ، فوقوفنا ضمن هذا الاستهلال من رواية "جملكية آرابيا" قد يخدم المبتغى؛ إذ يفتح السارد خطابه بقوله "كل الحكاية بدأت بكتاب انفتح على الخوف، وانتهى في قلب النار، قبل أن ينام نهائيا في عمق لغة مكسوة بالزغاريد، تشبه الصراخ والخوف قليلا"^{١٧}، إنه واقع لغة سردية لها من الكثافة الدلالية ما يجعل القارئ يبحث عن حل للغز لا يمكن الوقوف عند سحر جوابه إلا بعد أن يتمم قراءته الخطية للرواية، فالخوف والنار فسوء العاقبة، مكبوتات لا تتجلي والفرج معدوم؛ فلا أفق مستتير يبعد شبح هذه الممرارة ؟ تلك هي إشكالية تراود القارئ المقبل على النص فلن تستقر دلالاته إلا وفق مبدأ الاحتمال؛ وبهذه الطريقة نعود بشيء من التمكين في شأن البحث عن أدبية الخطاب بالنظر إلى اللغة التي تصنع السؤال والمعنى الذي يفوض الإجابة المحتملة غير المحسومة؛ بحيث في كل مرة تحتاج إلى تأجيل، ولعل التعاطي مع هذا الصنف من اللغة السردية قد لا نجد لها أثراً في الواقع الحي طالما أن سياق التخييل هو الذي يضع لنا الحد الفاصل بين ما يوجد في هذه الرواية وما يوجد في واقعنا الفيزيائي الطبيعي الملموس^{١٨}.

فالمسألة الأدبية على هذا المنوال ستتجاوز فكرة البحث عن المعنى أو الحصول على الإجابة المواكبة لسؤال سابق؛ المهم وجود مناورة يتحسس منها القارئ للظفر بمعنى ما دون الحاجة إلى تبريره، كما أن انفصال النص عن الواقع لا يعني بالضرورة حسب منظور ماير غيابه الكلي عنه؛ فالرواية على سبيل المثال تأخذ من الأسطورة ومن التاريخ ومن المجتمع، بل من الطبيعة البشرية والقيمة الإنسانية الأخلاقية، ولعل الأخذ بالمنحى الفلسفي هو على سبيل الاستئناس بفضضية الأشكلة التي يعتد بها ميشال ماير انطلاقاً من فكرة أن الفلسفة ستقيم علاقتها مع الخطاب الأدبي، وهي تراهن على الجوهر الذي يشكل طبيعة هذا الخطاب مع وضع المسافة الفاصلة بين ما تقوله هذه الفلسفة وما يريده الحس الأدبي الإبداعي، فتريد بذلك أن تعطي له وجوداً، حضوراً على قدر المساحة المجازية التي يرتضيها حيث يمكن أن تعد حرفيته هي حقيقته؛ مثلما نستشعره في خطاب إبراهيم الكوني بلسان السارد "كلما جرته الأقدار جنوباً

^{١٦} - Michel Meyer. Langage et littérature. P5.

^{١٧} - واسيني الأخرج. جملكية آرابيا. منشورات الجمل. بيروت/بغداد. ط ٢٠١١ ص ٧.

^{١٨} - Michel Meyer. Langage et littérature. p 6.

ووجد نفسه في أحضان الصحراء، استولت عليه الدهشة واستيقظ فيه حنين مجهول . لم يكن إحساسه الخفي حينها، ولكنه وسواس أقوى من الحنين، إنه نداء (نداء عميق، يستعسر على التفسير، برغم أنه حميم، مثله مثل لحن لذيد لم يسبق له أن سمعه بأذن، برغم أن القلب أدركه منذ زمن بعيد، بعيد، لم يعيشه في ميلاده هذا، ولا في الميلاد الذي سبقه، ولهذا السبب يستجيب له بوجيب غامض كابتها، وجيب غامض كالصلاة " ^{١٩}، فشساعة الصحراء لم تستطع أن تؤمن الإنسان من الشعور بالقلق والحيرة والخوف من المجهول، وكأنه خطاب فلسفي على نحو ما نجده في خطابات جان بول سارتر (Jean Paul Sartre) " أما الكاتب الوجودي فهو يقول إن الجبان يجعل نفسه جباناً، والبطل يتصرف تصرف الأبطال، لكن الجبان يستطيع أن ينبذ جنبه، والبطل قد يتخلى عن بطولته. إنما المهم تصرفك العام، التزامك العام، فلا يمكن أن نحكم عليك بالجنب أو البطولة من عمل واحد أو حالة واحدة" ^{٢٠}، ما يفهم من ذلك بأن المرء عندما يشعر بالقلق في الموقع الذي يكتشف ما يهدد كيانه؛ ولذلك تجده يحاول باستماتة أن يفرض وجوده بالطريقة التي ترضيه؛ حتى يقاوم هذا القلق والاستجابة لهذا النداء ولعل ما هو ماثل في نص الرواية (نداء ما كان بعيداً) هو شكل من أشكال إثبات وجود الذات؛ فكونها تتحرك فتفعل فتتجز من أجل مصير وجودها؛ وهكذا فإن طبيعة العلاقة بين الأدب والفلسفة هي خاصة ومعقدة؛ فلا يمكن أن نتظر بأي حال من الأحوال من الأدب ما نتظره من الفلسفة وفق مقولتها الجذرية ^{٢١}، بالمقابل يحرص الباعث الجمالي على نسف أية مرجعية تعيد الخطاب الأدبي إلى الواقع أو ما له صلة بعصر منشئه وهي مصب الأدبية الفعلية التي تشتغل على حركية التعبير ^{٢٢}؛ ومن ثمة فكل نص أدبي يحقق مرجعيته بنفسه من نصه ومن عالمه.

^{١٩} -إبراهيم الكوني . نداء ما كان بعيداً. المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط ٢٠٠٢. ص ١٥ .

^{٢٠} -جان بول سارتر. تر : عبد المنعم الحفني. الوجودية مذهب إنساني . الدار المصرية للطبع والنشر القاهرة ط ١٩٦٤. ص ٤٣ .

^{٢١} -Philippe Sabot. philosophie et littérature .Ed puf Paris 2002.p5.

^{٢٢} - Jean Bessière .Dire le littéraire .p16.

حدود الدلالة :

ينطلق ميشال ماير من فرضية تفيد بأن مبدأ فهم أي نص هو من قبيل القدرة على ترجمته؛ بمعنى إعادة صياغته من جديد، لكنه في الوقت نفسه يتساءل عن جدوى هذا المنحى عندما يتعلق الأمر بالنص الأدبي؟^{٢٣}

فهناك عدة تساؤلات تعترض هذا المسلك: بداية هل من الممكن أن تكون عبارة أدبية تعادل عبارة أخرى تحل محلها فتستوفي معناها؟ هل الدلالة المتوصل إليها هي نتيجة لعملية تجميعية لدلالات جزئية سابقة عنها؟ وما مدى تأثير فكرة الجدلية الثنائية الحاصلة بين هذه الثنائيات: اللغة اليومية واللغة الأدبية، الخيال والواقع، المعنى الحرّيف مقابل المعنى المجازي؟ وهل من الضرورة أن يحيل العمل الأدبي إلى مرجعية موجودة في الواقع بالفعل؛ بالكيفية التي تسمح لنا بتبيين المحسوس منها؛ على نحو تلفظنا بكلمة الشجرة التي نجد في سياقها وجوداً فعلياً على أرض الواقع .

الملاح الأولى التي يعتمدها ميشال ماير في تقديم أطروحته الدلالية المتعلقة بالخطاب الأدبي هي نظرتة الأولى للغة باعتبارها الوسيلة التي يتخذها المرء لطرح انشغالاته، وكذا معالجتها؛ فهي مسلك السؤال والجواب في آن واحد على شاكلة القضية وحلها دون الحاجة إلى تعبير صريح بموقع القضية أو يجيد حلها^{٢٤}، كقولك :

لا يمكن لعمر أن يسافر إلى أوروبا.

إنها جملة منفية تطرح قضية سفر عمر؛ تلك هي الإشكالية المتمثلة في عدم القدرة على السفر، إنه سرّ هذا النفي يجسد عجزاً واضحاً لعدة اعتبارات محتملة:

- عدم توفر القدرة الصحية
- عدم توفر وثائق السفر أو التأشيرة
- عدم وجود المال المستحق
- غياب وسيلة النقل
- التوقيت غير مناسب

^{٢٣} - Michel Meyer. Langage et littérature. P20.

^{٢٤} - Ibid P38-39.

بحسب التحليل الدلالي وفق آلية ميشال ماير نكتشف سياق السؤال: هل يمكن لعمر أن يسافر؟ فالقضية هي إشكالية السفر

الإجابة "لا"، على أساس تلك العوائق السابقة الذكر، حل القضية هو تجاوز هذه العوائق؛ فمضى السؤال والجواب مغيب في تلك الجملة؛ إذ المعنى سيتجاوز حدود التعبير اللفظي الصريح، هكذا نلجأ في تقدير ميشال ماير إلى استعمالنا للغة بطريقة اعتيادية، فالتعبير عندما يخوض في طرح القضية بمنطق السؤال ضمناً فهو مسار لفظي ينحو في الاتجاه الإشكالي (Problématique)، بينما في حال تعرضه بمنطق الإجابة المواتية فيصير في قيد حل الإشكال (apocritique)^{٢٥}؛ الإجابة الجزئية مضمنة في السؤال أما الإجابة الكاملة الموصوفة بالفعلية فستتحقق تبعاً لمنوال الرد على هذا التساؤل .

س : أين تقع الجزائر؟

ج : في شمال إفريقيا.

فالسؤال هو يتضمن إجابة جزئية من قبيل أن للجزائر موقعا جغرافيا لم يتم تحديده بعد تماشياً مع الإشكال، أما الرد المناسب فهو ما يشكل إجابة فعلية توافقاً مع حل هذا الإشكال (apocritique)، وعليه فاللغة بأي حال من الأحوال تبقى عبارة عن وسيلة تعبيرية عن سؤال أو إجابة في فلك القضية وحلها دون الحاجة بالتصريح اللفظي المباشر، فمن يريد النظر في التعبير إن كان سؤالاً أم إجابة في غياب العلامات اللفظية الدالة عليه فيمكن أن يحتكم إلى السياق الذي ورد فيه هذا التعبير^{٢٦}.

فقولك: كم الساعة الآن؟ يمكن الاكتفاء بالظاهر، فتقول أن هذا الأمر من محض السؤال بالمقابل يمكن النظر إليه في موضع الإجابة الضمنية المتعلقة فرضاً بفكرة أهمية الوقت، أي في سياق المواظبة على العمل دون إهدار للوقت كقيمة أخلاقية؛ فحيث نتوخى ما يشكل محتوى التعبير على سبيل فهمه تحت وتيرة الشكل الحامل له قد يتحقق من خلاله وجه الدلالة بعينها (mode significatif) .

^{٢٥} - Ibid P41.

^{٢٦} - Ibid P41.

لا أعتقد بأن إمكانية رسم حدود هذه الدلالة في نطاق اشتغالها ما لم ندرك المرجعية التي تحيل إليها^{٢٧}، بحيث ما من كلام إلا ويقوم على مرجعية يستند إليها فتبرر وجوده وكيانه اللفظي انطلاقاً من الإحالة إلى المعاني أو الأفراد أو الأشياء في عالم الواقع، إنها إحالة إما للإنسان أو المادة أو العالم الذي نعيش فيه بين أحضانه، أو المنحى المعرفي المكتسب أو النهج الفكري الذي نتبناه .

فقولك :عمر متخلق

فنعاين في نطاق النظرية الدلالية التحليلية .

الدلالة الوظيفية :

عمر = كائن حي = إنسان = عاقل = مسلم

متخلق = قيمة أخلاقية = قيمة معنوية = الفضيلة = حسن المعاملة = التقدير = الوفاء = الإخلاص .

الدلالة النحوية:

عمر : اسم = معرب = مبتدأ = معرف

متخلق : اسم = معرب = خبر = نكرة

الدلالة الصرفية :

عمر / متخلق : اسم فاعل = مذكر = مفرد

فكرة الإشكال: من هو عمر ؟ ما هي صفاته الأخلاقية ؟

حل الإشكال: هو إنسان شاب في ريعان العمر يتصف بأخلاق حميدة؛ تشهد بذلك سلوكه الظاهرة في حسن الكلام والتأدب مع الآخرين .

سنكتشف من صميم هذا التعبير اللفظي وصفاً لشخص عمر حيث يتم الإقرار بالهيئة والصفة التي يعرف بها ومنه يتم إصدار الحكم على جدواها، اختصاراً نحن أمام وصف فتعرف ثم إقرار فحكم .

يذهب ميشال ماير إلى أنه ما من دلالة إلا وهي تمثل مرجعية لما يراد التعبير عنه، فالدلالة والمرجعية في نظر ماير تدلان على معنى واحد، وفي اللغة الألمانية لا توجد

^{٢٧} - Ibid . P56.

سوى كلمة واحدة تدل على الأمرين باستخدام لفظة (Bedeutung)²⁸، فما يحكم في الغالب هذه المرجعية باعتبارها تشكل دلالة وفق ما يتم التعارف عليه، ومن ثمة يسمح الإقرار به فقولنا: مفدي زكريا شاعر الثورة الجزائرية .

يستتبط المتلقي الدلالة على أساس ما تحيل إليه هذه الجملة من معلومات حقيقية؛ فإن جهلها المتلقي في غياب المرجعية التي يستند إليها ستعاود في هذا الوضع آلية الأشكلة في الاشتغال، على أساس أنه (المتلقي / القارئ) سيلجأ إلى طرح سؤال أو أسئلة بطريقة ضمنية أو صريحة عن حقيقة وجود هذا الشاعر؟ يسأل عن نسبه؟ عن جنسيته؟ عن مساهماته في الثورة التحريرية؟ كلها تشكل مرجعية هذا التعبير، وفي الوقت ذاته تشكل دلالاته طالما جرى التعرّف على هذه المرجعية؛ فيقع حينئذ نوع من الإقرار .

الوظيفة الأدبية :

ترتسم الوظيفة الأدبية في نظام الخطاب الأدبي بحسب تصور ميشال ماير على وقع التباين الحاصل بين دلالة هذا الخطاب أدبيا ومرجعيته؛ فإن حصل توافق بينهما فهو يشكل حدثا عرضيا غير ملزم²⁹، قد يجد القارئ نفسه في هذه الحالة في موقع اللافهم المؤقت بما أنه لا يجد رابطا موضوعيا بين ما يقوله الخطاب وما يحيل إليه، ما يفيد تلقائيا بأن وجه السؤال المطروح وفق آلية الأشكلة يسوده التباس؛ بمعنى أن القارئ غير قادر على بث إجابة محددة في نطاق منطق حل الأشكلة؛ فالعملية تصير عبارة عن بحث عن الدلالة دون إعطاء الاعتبار لفكرة المرجعية؛ وكأن القارئ بصدد تسخير دلالة عبثية يصطنعها لنفسه، يقينه فيها حيث يقرأ، وما أن ينتهي من القراءة ستحل تلك الدلالة فتتبخر إلى أن يعاود القراءة مرة أخرى، فتتشكل دلالة جديدة مختلفة عن سابقتها متميزة عنها وهكذا دواليك، إنه تفعيل للرمز وإلغاء للمرجعية بشكل غير إرادي، وذلك ما نلتمسه في هذه المقطوعة الشعرية لمحمود درويش:

"واحدٌ نحن في اثنين"
فاذهب إلى البحر، غرّب كتابك،

²⁸ - Ibid. P60.

²⁹ - Ibid. P66.

واغطسُ خفيفاً خفيفاً كأنك تحمل
نفسكَ عند الولادة في موجتين،
تجدُ غابةً من حشائش مائيةٍ خفيفاً
خفيفاً كأنك لا شيء في أي شيء،
تجدنا معاً... " ٢٠

يبدو كأن تلك العبارات من صميم الحياة اليومية " البحر - غابة - حشائش " غير أن التركيبة الأدبية الشعرية تجعل هذا النص عبارة عن شفرات؛ لك أن تتصور بأن الشاعر محمود درويش وفلسطين لا انفصام بينهما، يشكلان طبيعة جذابة؛ إنها ميلاد كائن حي جديد، ويمكن أن تستثمر في الدلالة دون حد ولا قيد؛ فالمسألة تتجاوز الحيز الفيزيائي الضيق؛ ترمي بذات القارئ نحو مساحات خيالية لا حدود لها، فمن يدعي أنه فهم النص على حرفيته فهو بعيد المنال؛ ومن ادعى أن معناه المجازي هو هذا بدلا من ذلك فقد وقع في مغالطة لا يقبلها الأدب ولا الشعر ولا الشاعر بأي حال من الأحوال، فمعنى النص على هذه الشاكلة يتوقف على رد فعل القارئ إزاء ما يقرأ وهو يعايشه كحدث يستقطبه فيحصل ارتحال النص إلى ذهن القارئ بطريقة لا يتم التطابق بين حقيقة النص بوصفه بنية لغوية محضة وطبيعة النص الذي يرتسم في الذهن^{٢١}؛ ما يعني تدخل ثقافة الذات القارئة في رسم المعنى.

ماذا عسى القارئ أن يقول؟ بل هو يسأل و يتساءل قبل أن يجيب؛ فاللجوء إلى أية إجابة تكون في مقام الدلالة لا يعني بأي حال من الأحوال أن تكون الوحيدة والقطعية على أساس الإثبات والإقرار الحاسم، وكأننا في لحظة لم يوفق القارئ في تحديد مسافة السؤال في مقابل الجواب بمنطق ما يشكل سؤالا عند قارئ^{٢٢} ليس بالضرورة ما هو في نظر قارئ "ب"، والوضع نفسه ينعكس على وقع الجواب؛ بل ما يكون قيد السؤال سيصير بالنسبة لآخر موضع الجواب؛ فأى إجابة يتم إقرارها لدى قارئ معين فهو على سبيل الإصرار بأن هذه الإجابة تتمتع بقدر كبير من الاستقلالية مقارنة بالسؤال المطروح، سواء كان بشكل صريح أم ضمني؛ ومنه لا ينبغي الاعتقاد وفق

^{٢٠} -محمود درويش، قصيدة سوناتا II "وقوع الغرب على نفسه في الغرب" ديوان سرير الغربية ط ١٩٩٩، ص ١٨.

^{٢١} -Wolfgang Iser .L'acte de lecture. Ed pierre Mardaga Editeur bruxelles 1985.p 198.

منظور ميشال ماير بأن التفسير الأدبي يشغل على الدوام في حدود استبدال نص بنص آخر على أساس تكافئي، بفرضية وجود معنى أوحده في ظل تعدد الصياغة^{٢٢}، فالفعل التعبيري شيء أما الدلالة فهي أمر آخر بذريعة أن ليس ما يراد قوله سيعبر عنه بصدق ووفاء؛ يشرح ماير هذه العلاقة بين المؤلف والمفسر، فالمؤلف لا يحدد من أول وهلة " ما يقوله وإنما ما يجري تقويله؛ أما المفسر إن كان محققا في تفسيره؛ فما يصدر منه سوى ما أراد المؤلف الإدلاء به"^{٢٣}، فتصير الدلالة حينئذ ذلك الإرث المعنوي الذي يكتسبه المفسر من المؤلف بمبرر وجود عنصر التواصل الحوارية بينهما فيستقر على لسان شخصية ساردة كحال هذا المقطع الروائي "اللافتات الدعائية البلاستيكية والورقية والمصنوعة من القماش الملون تكاثرت في كل زوايا الحي، وأهم مواقع المدينة، المطار الدولي والداخلي، اتحاد العمال، محطة القطر، المحطة البرية، دار الصحافة، الكتاني، رياض الفتح، مداخل المترو، الحافلات، القاطرات، شارع البحر، الميناء، كارفور، كازينو الحافة الذي يرتاده الشباب كثيرا، مدخل الجامعة المركزية ونفق الكليات، الفنادق الكبرى: شيراتون، ميركور، سوفيتال، هيلتون، الأوراسي، كلها تتغنى بالبرج الأول، البرج الأعظم الذي سيخترق عذرية العاصمة"^{٢٤}، وهو بصد رسم فضاء معهود بين المؤلف الفعلي والقارئ المفترض، فكلاهما ينتميان إلى ثقافة واحدة ووطن واحد وهو الجزائر في ظل البيئة نفسها وفي غمار الواقع المغلق؛ تحديدا مع نموذج "مدينة الجزائر" العاصمة التي تكتسحها اللوحات الإشهارية من كل جانب في سياق فكرة الترويج لبناء البرج الأعظم كمنجز تجاري ضخم؛ الذي يهدد كيان البيت الأندلسي حامل التاريخ ومشيد الماضي على عتبة الحاضر؛ باعتباره محل إقامة المشروع، إذا يتعلق الأمر بتفسير الخطاب على قاعدة حرفيته مما يجعل استدعاء المرجعية في قيد الضرورة القسوة التي تكون حلاً نهائياً للأشكلة؛ في حين الذهاب في مضمار المجاز تماشياً مع منطلق الأدبية المحضة، فستذوب حينئذ مقولة القارئ المفترض ولا يصير للخطاب دور الرسالة التي تكفي بوظيفة التبليغ، فيتحول الخطاب إلى رموز

^{٢٢} - Michel Meyer. Langage et littérature. P82.

^{٢٣} - Ibid. P83.

^{٢٤} - واسيني الأعرج. البيت الأندلسي. منشورات الجمل. بيروت/بغداد. ط. ٢٠١٠. ص ١١٧.

ملغزة سيجعل ما يحيل إليه أي قارئ هو ما يشكل اصطناعا مرجعية تستطيع أن تكون وهمية لقارئ أملا منه أن تكون في موضع الحل للأشكلة .

ففي كل الأحوال لا تهتدي دلالة النص إلى فكرة التجميع لدلالات جزئية حسب مؤشرات جمل النص؛ وإنما قد تحصل دفعة واحدة؛ بما أن فهمه يتم في سياق هذه اللحمة التعبيرية التي تشكل بنيته^{٣٥}، مؤدى ذلك أن اشتغال الوظيفة الأدبية هو استحضار للدلالة المجازية (la signification figurée)^{٣٦}، وعليه فالتعرض للخطاب الأدبي هو تمرد أو خروج عن كل دلالة تستفرد بذاتها وتدعي أحقيتها في صنع معناه؛ فما من خطاب يصنف على أنه أدب سيقبل على وجه الضرورة بعدد غير محدود من التفسيرات والتأويلات التي يمكن الأخذ بها واعتمادها في الشق المؤقت؛ فصنع المعنى بحسب المنطق الأدبي الذي يدلي به ميشال ماير في هذا الصدد؛ يعود إلى اعتبارين أساسيين :

الاعتبار الأول: يتمظهر معنى النص من منطلق بنيته النصية المحضنة بمعزل عن كل مؤثر خارجي، ولعل القراءة البنيوية هي الجديرة بالاشتغال في هذا النطاق .

الاعتبار الثاني: بالنظر إلى هوية صاحبه بصيغة من يكون؟ متجاوزا في ذلك صبغته اللغوية التعبيرية؛ بمنطق أننا لا نراعي ما يقوله النص بقدر ما نراعي صورة صاحبه فيستمد الخطاب الأدبي معناه من سلطة المؤلف تلك هي مرجعيته ودلالته في هذا الموضوع.

يحرص مبدئيا ميشال ماير على التعامل مع النص الأدبي باعتباره وحدة منسجمة متماسكة حتى وإن كانت تشكله مجموعة من الجمل المتتالية؛ فعلى ضوءها يتحقق النسيج النصي، ومن ثمة تتجلى صورته الدلالية؛ وفي الوقت نفسه نستقطب قصدية مؤلفه باعتباره المسؤول الأول في تمظهر هذا النسيج بالكيفية التي رآها واختارها؛ لكن ما دمنا في سياق الخطاب الأدبي ستكون هذه القصدية على وجه الإلزام مضمنة، متخفية وراء قناع ما، فيمكن على منوال الخطاب السردي تحديدا استغلال

^{٣٥} - Michel Meyer. Langage et littérature. P88.

^{٣٦} - Ibid. P87-88.

صورة السارد إضافة إلى مضمار الحكاية في عملية الترميم^{٣٧}، فيتحول القارئ دون أن يشعر من قصيدة المؤلف المحضنة إلى حدود القصيدة التي يفرضها نظام الرواية "ابتسمت، وقلت: الكتاب يصرفون جلّ عمرهم في الاتكاء على الاستعارة لتمتين النص، وأنا استعرت لجسدي عكازاً لتمتينه، العكاز بدل من الضائع، راقني هذا التشبيه، وعجبت من حضوره في بالي وأنا في غير حال، خارج المكان والزمان ... فتابعت عرجي مستهلاً بداية التيه في امتحان قدراتي وتهكمي على هذا المشروع الفاشل الذي هو أنا: عبد الجليل الغزال"^{٣٨}، هل مجرد خروج شخص من السجن يمثل مفصل الحدث؟، لم كانت الصحراء موطناً ضيقاً إلى درجة أنه يتجاوز شواعتها المترامية الأطراف ليدخل في عالم الذكريات اللامتناهية؟ فلا يكاد القارئ أن يوقع قصيدة المؤلف/ السارد في نقطة دلالية ما إلا وشعر أن هذا الملمح التصويري الذي تفرضه الرواية هو المؤشر الفعلي الذي على أساسه ينشئ القارئ قصديته بتوجيه من النص وليس المؤلف ولا السارد على حد سواء؛ ما يفسر الاحتكام إلى منطق الإبداع الأدبي في غياب التشخيص المعلن؛ فالدلالة على الصعيد الأدبي هي شديدة الارتباط بما يريد أن يفصح عنه الخطاب بذاته عن ذاته بصرف النظر عن مؤلفه، فإن كان الأمر يقتصر البحث عن قصيدة صاحبه؛ فالوظيفة الأدبية حينئذ تصير شبه مغلقة، ولذلك فترى ميشال ماير يحذر من سلطة قصيدة المؤلف؛ فإن كانت عاملاً مساعداً على ضوء التوازن الذي يمكن أن يحصل بين المؤلف والقارئ فلا ضرر، ما عدا ذلك فالأمر في غالبه غير محمود .

يتحقق مضمار الدلالة في هذا الاشتغال عنده؛ حيث يطرح النص الأدبي المستهدف إشكالية مركزية تقوم على سؤال محوري الذي يتفرع بدوره إلى أسئلة فرعية، وهنا يتجلى دور الأشكلة في صنع المعنى ومنه الدلالة؛ بل قد يصل الأمر إلى مسؤولية القارئ في طرح هذا السؤال المحوري وهو يتعامل مع النص كوحدة ملتحمة قائمة نصب عينيه، والإجابة عن هذا السؤال (حل الأشكلة) يكون خيارها في المجاز باعتباره معلماً من معالم الدلالة المتوصل إليها، والنموذج الروائي السابق شاهد على ذلك؛

^{٣٧} - Ibid. P92.

^{٣٨} - أحمد علي الزين. حافة النسيان: ثلاثية عبد الجليل الغزال. دار الساقى بيروت ط ١، ٢٠١٠، ص ١١ .

فلنتوقع في هذه الصيغة ما لا يقال؛ فعلى قدر كون السؤال مجازي فإن صور وجود الإجابة الحرفية المستقاة من النص ذاته والعكس صحيح^{٣٩}، فمفتاح الدلالة وعصبها ما يكون بين الأشكلة وحلها، أي في وجود علاقة سؤال وجواب هنا سينتظم حيز الدلالة^{٤٠}.

منهاج القراءة الأدبية :

لا نتوقع من هذا المسلك الوصول إلى آلية محكمة مرسومة نهائية على أساسها يجد الدارس غايته المثلى من هذه القراءة، "إن الأعمال الأدبية قطع بلاغية وتقارير أيضا تتطلب نمطاً من القراءة على درجة بالغة من اليقظة، نمطاً متبها للنبرة والحالة المزاجية والسلاسة والجنس والنحو والتراكيب والنسيج والإيقاع وبنية السرد وعلامات التقطيط والإبهام، بل لكل ما ينطوي عليه موضوع الشكل"^{٤١}، فكونك تقرأ نصاً أدبياً، فمعنى ذلك أنك تتعامل مع النص في كليته لا تقتصر على أجزائه، ولعل من الصورة الأولية التي يدرك بها القارئ هذا المنحى في تتبع سيرورة الحكاية الماثلة في ثانيا النص القصصي من بدايتها إلى نهايتها^{٤٢}، وقد نجد في التماس أثر الأشكلة عندما يحاول القارئ قطع الصلة بين النص وعالم الواقع ولو مؤقتاً وهو يقرأ بالمنظومة السردية التي على أساسها بني هذا الخطاب أي النص القصصي؛ إنه بهذه الوسيلة بصدد البحث عن دلالة من الدرجة الثانية إن صح التعبير طالما أنه تجاوز مستوى الحكاية في نطاق المحتوى الخالص إلى حدود مبنى هذه الحكاية وفق الترتيبات السردية التي أحكم صناعتها السارد ومنه الكاتب القصصي ذاته، فعندما تقرأ نصاً أدبياً بغض النظر عن تركيبته اللغوية المحضة ونظامه البلاغي الذي يشيده فما يشدك أكثر هو منهله التعبيري، أي الحديث، والتركيز في هذا الموضع على طبيعة الأسلوب الأدبي الذي سيحقق تأثيراً بلاغياً لافتاً لدى متلقيه، ولعل هذا ما يؤمن خصوصية النص من جهة ويشعر القارئ بقدر من اللذة أو المتعة دون سابق إنذار، وهو ما يشكل

^{٣٩} - Michel Meyer. Langage et littérature. P94.

^{٤٠} - Ibid. P96.

^{٤١} - تيري إيغلتنون تر: محمد درويش. كيف نقرأ الأدب؟. الدار العربية للعلوم ناشرون/منشورات جامعة بال .

ط ٢٠١٣ ص ١٧ .

^{٤٢} - Michel Meyer. Langage et littérature. P123.

مصدر جاذبية قوية بالنسبة للقارئ إزاء النص الذي يقرأه؛ إذ يشعره بأنه معني به يلازمه دون انقطاع، قد نتبين ذلك مع هذا النموذج "دقت دنيا زاد آخر الابتسامات في قلبها، ثم انسحبت باتجاه الفراغ الذي كان يملأ القلب والذاكرة، كانت تعرف أكثر من غيرها أن العد الزمني توقف عند هذه اللحظة بالذات، فالليلة السابعة استمرت زمنا لم يستطع تحديده علماء الخط والرمل، ولا حتى الذين عرفوا أسرار النجوم والبحار حين تفيض وتملأ الشواطئ المهجورة والأصداف . كانت دنيا زاد تعرف الكثير مما خبأته شهرزاد عن الملك شهريار، فالأسرار والأخبار المنسية كانت تأتيها من القلعة والحقول المسيجة والبراري وأسوار المدينة والحيطان الهرمة التي كانت تدفع أمواج السواحل الرومانية"⁴³، كما يمكن في الوقت ذاته أن يشتغل النص الأدبي على وقع الوظيفة المعرفية ضمن إطار ضمني ملتبس لا ترتفع إلى مقام المعلومة المؤكدة التي يجري ترسيخها مقارنة بالخطاب العلمي باعتباره من صنع الخيال الإبداعي المحض⁴⁴، يرد في نص كتاب الأمير "بدأ يقرأ بتدرج، رأى العنوان الذي كان يرتسم بخطوط عريضة واضحة جدا: عبد القادر في قصر أمبواز . مهدى إلى السيد لويس نابليون بونابرت رئيس الجمهورية الفرنسية بقلم مونسنور أنطوان -أدولف دييوش أسقف الجزائر السابق، ثم في أسفل الصفحة كلمة بورردو مكتوبة بخط بارز، وتحتها الطبع والليتوغرافيا ل:ح -فاي -شارع سان كاترين ١٣٩ أفريل ١٨٤٩"⁴⁵، وقد تكون السمة الجوهرية التي تجعل النص أدبا في تصور ميشال ماير هو ما يفصح عنه هذا النص دون أن يشير إليه بصريح العبارة، فالتركيز يكون على ما يراد قوله من لغة الخطاب على حساب ما تمّ الإقرار به علنا في نطاق لغة الواقع⁴⁶ على نحو ما يرد في المقطعين الشعريين التاليين:

"هي ذي الينابيع تذوب في النهر
والأنهار تسرع إلى اليم
ها هي الرياح تتزواج في الأعالي أبدا

⁴³ -واسيني الأخرج .رمل المائة .فاجعة الليلة السابعة بعد الألف .داركنعان للنشر والتوزيع دمشق. ط ١٩٩٣. ص٧.

⁴⁴ - Michel Meyer. Langage et littérature. P115.

⁴⁵ -واسيني الأخرج .كتاب الأمير: مسالك أبواب الحديد. منشورات الفضاء الحر الجزائر العاصمة. ط ٢٠٠٤. ص ١٨-١٩ .

⁴⁶ - Michel Meyer. Langage et littérature. P115.

في عذوبة ورقة حس
 ما من شيء يظل وحيدا في هذا العالم
 فكل ما في الكون
 يتمازج في ناموس سماوي
 فلماذا لا نكون كذلك .. أنا وأنت ؟
 ٢

انظري للجبال الشم تقبل السماوات العلية
 وللأمواج التي تتصافح
 ما من زهرة شقيقة تُمنح الغفران إن ازدرت شقيقتها
 وانظري لضياء الشمس الذي يعانق أديم الأرض
 ولضوء القمر الذي يقبل وجه البحر
 ما كل تلك القبلات .. ما تساوي ؟
 إن أنت لم تقبليني ؟^{٤٧}

قد يجري في ذهن المتلقي أنه خطاب الأحبة غزل محض ورومانسية متناغمة، غير أن المتلقي في حد ذاته قد لا يجد مانعا في أن يتوقع شيئا آخر مخالفا لما هو معد سلفا، كأن تكون هذه الرسالة النصية مشفرة لها غرض آخر يجد عاشق وطنه فيه مقصده، والمحتاج عون، والفقير غناه، والضعيف قوته، قد نقرأ بما يراد قوله فنتجاوز حرفية المعنى في هذا المطلب .

يشير ماير في السياق ذاته من إمكانية انقطاع تواصل القارئ بالنص الأدبي المستهدف بسبب الهوة التي تفصل بينهما؛ خاصة عندما يكون ارتباط القارئ بعالم الواقع على حساب عالم الخيال الإبداعي، وحتى يتم تفادي هذا النفور المؤقت أو النهائي يستدعي من النص الأدبي أن يمارس وظيفة التمويه^{٤٨}، لنا في سياق ذلك أن نجد العلاقة بين المجاهدة جميلة بوخيرد والجميلات الأخرى نساء الجزائر على درب النضال الواحد، وعليه ستشتغل هذه الآلية على التمويه باعتبارها لغة سحرية افتراضية بمنطق

^{٤٧} - يبرسي، بيش شللي، تر: ماجد الحيدر، نشيد الحرية وقصائد أخرى: قصيدة، فلسفة الحب المقطع ١ و ٢ . www.pdfactory.com . ص ١١ .

^{٤٨} - Michel Meyer. Langage et littérature. P115.

قولك ماذا تفضل وماذا تترك إن كانت كل جميلة هي امرأة جزائرية تدافع عن شرفها وشرف وطنها؛ تبعاً لما نعاينه في هذا المقطع الروائي على سبيل الإشارة:

"إن جميلة هي دائماً و أبداً في هذه البلاد امتداد لجميلة حتى أنه ليصعب على المرء أن يميز بين تينهنان وبين باقي الجميلات، ليس من السهل بروز جميلة، حقيقة ناصعة كالشمس، تمنت جميلة وتهتدت وأغمضت عينيها، تتأمل بعض فصول حياتها"^{٤٩}.

كما أنه في موقع الجدير أن يقدم النص الأدبي المعلومة إلى القارئ حتى يجد نفسه أمام فسحة من المتعة انطلاقاً من مقوم الجاذبية السابقة الذكر والفائدة من قبيل المعرفة التي يتلقاها مهما كان مصدرها ومكانتها؛ المهم في ذلك أن تؤمن الصياغة هذا المنحى؛ حتى يصير للمعلومة مصداقية فنقتنع حينئذ بأن النص الأدبي بإمكانه أن يؤدي وظيفة معرفية بإقرار من القارئ نفسه^{٥٠}، فالخطاب يمكن أن يفهمك ماذا تعني الثورة التحريرية الجزائرية وبأية وسيلة تحقق وجودها وكيف وصلت إلى نجاحها؟ بحسب هذا التصور الوارد في هذا الشاهد الروائي:

"إن ثورتنا المسلحة لم تتمكن من تجنيد الشعب إلا بالإسلام؛ لقد كان الثوار يحملون لقب المجاهدين ولا يزالون؛ المعارك كانت تبدأ بالتكبير، تبدأ الله أكبر، تماماً مثلما كان الأمر في معركة بدر أو أحد أو اليرموك، بذلك فقط انتصر الشعب الجزائري المسلم العربي على الكفار"^{٥١}، وعلى منوال القراءة الأدبية أيضاً يتحقق منطق الأشكلة الذي بدوره يكون فاعلاً حيويًا في مدّ عمر القراءة وتفعيل عنصر التواصل بين النص وقارئه وهو في الحيز الأدبي بحيث بإمكان القارئ وهو يتابع مسار الأحداث بتوافق مع المسار السردي الذي يشكلها بالدافع الاسترجاعي أو الاستباقي على حد سواء، فالقضايا التي تعرضها الرواية على وقع أهمية الأحداث بأسلوبها المميز قد يتبادر للقارئ من الوهلة الأولى عنصر الاهتمام الذي يزوج فيه بين الاعتبار الموضوعاتي والفني على حد سواء^{٥٢}، ولعل هذا المقطع الروائي الذي يرد على لسان الشخصية بقولها:

^{٤٩}- الطاهر وطار. العشق والموت في الزمن الحراشي. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ط ٢ الجزائر ١٩٨٢، ص ٧٩.

^{٥٠} - Michel Meyer. Langage et littérature. P116.

^{٥١} - الطاهر وطار. العشق والموت في الزمن الحراشي. ص ١٠١.

^{٥٢} - Michel Meyer. Langage et littérature. P119.

«إن متعتي الأساسية تكمن في القراءة ... فأنا أحاول أن أنقل تلك المتعة للآخرين، أتعرف أن المتعة لا يمكن أن تكون كاملة لو ظلت فردية الطابع، بل قد تنقلب إلى منغص لو أن الآخرين سخروا منك؟! إحساسي بجمال شيء يظل قاصرا لو لم يشاركني هذا الإحساس أحد آخر، بل ويقوى لو كان أكثر من واحد أو اثنين أو عشرة»^{٥٢}.

هو أقرب لأن يكون تنفيسا للشخصية في حد ذاتها وهي تبشّر بأهمية القراءة وانتشارها في أوساط المجتمع تحت مظلة متعة القراءة وحب الفضول والمطالعة، وكأن هذا الخطاب الروائي نفسه يدعو لأن يقرأ؛ أو كأن الكاتب يحثّ قارئه بأن يقرأ روايته حتى وإن لم يقبل على أداء فعل القراءة بعد وحتى يوسّع من رقعة تلقي هذه الرواية؛ إنه أسلوب فني يدفع إلى الدهشة والتشويق فتتحقق على ضوئه فكرة ربط الفائدة في نطاق الموضوع بالجانب الفني استدعاء لمقوم الاستمتاع بجمالية السرد في آن واحد؛ ذلك إحساس قد يراود قارئ هذه الرواية وهو يقف على عتبة هذا العنوان (المخالب و الفريسة) باعتباره فاعلا مستقطبا للقراءة وما يشير إليه الكاتب نفسه في تقديم روايته؛ وهو يقول بصريح العبارة « ربما لا يكون الأمر قد حدث بنفس الترتيب أو بنفس الطريقة إلا أنه قد يكون في قلب الحقيقة... والحقيقة أن الكل يلعب، رغم أن الملعب لا يتحمل »^{٥٣} «لأكبر دليلا على ذلك بمعنى القارئ في تساؤلاته بمنطق الأشكلة فيعتقد أن الكاتب قد قدّم له ذلك الجواب السحري، غير أنه ما تم تقديمه عبر هذه المقولة لا يتعدى طعم انتهاء القراءة، فيكون حينها قد بعثه من مسار الجواب الملمّغ إلى تساؤلات غير منتهية؛ فيتبادر القارئ لحظتها إلى ذهنه أن حل الإشكال يتمثل في قراءة الرواية؛ دون الحسم في نتيجة الجواب المتوصل إليه من طرفه؛ هكذا تشتغل لعبة الدلالة الأدبية بالطريقة التمويهية المبالغية، وقد يحدث أثناء قراءة الرواية أن يضطر القارئ إلى استحضار السياق التاريخي والاجتماعي الذي يدور في كنفه الحدث على نحو ما يقدمه هذا المقطع ونحن نقارن بين صورة المرأة في الواقع المجتمعي العربي الراهن و صورة المرأة التي تصورها الرواية في شخصية مريم حيث

^{٥٢} -عبد الهادي عبد الرحمن. المخالب و الفريسة. المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ط. ١٩٩٠. ص. ٦٧.

^{٥٣} -الرواية نفسها. مقولة التقديم. ص. ٧.

تقول: « جلوسي وسط هذه الكومة من الرسائل و القصاصات و المسدّس المفتوح الشهية و كمان والدي ، لا مبرر له سوى شيء واحد : أن أقنع نفسي بأنني لست امرأة من ورق و خشخاش ، و لكنني كائن حي كبقية الخلق...لست مريم التي اشتهاها الجميع و لم تشته نفسها

لست امرأة الأنوثة و الرقة الفائضة .لست حنين الرجال التأهين و لست مخبأ الآمهم
لست العذراء و حبيبي لم يكن مسيحاً منزلاً

لست اللاشيء عندما تندفع آلامي إلى الواجهة ؟^{٥٥} و حتى يجد القارئ إجابة لسؤال طرحه من قبل ؛بناء على نظام الأشكلة و حلها بشرط حسب تصور ماير ألا يضحى بسياق الدلالة ضمن نظام النص؛ ما يفترض الانتقال من عالم الخيال إلى عالم الواقع ثم العودة إلى العالم الأول بطريقة سلسلة^{٥٦} إنها حركة شبيهة بحركة المتسلل لمنطقة ممنوعة، فيدخلها ثم يخرج منها بسلام

إن أي تفسير يلجأ إليه القارئ يفترض أنه يعبر عن رؤية ما في نطاق فكرة تتفق مع ما يمكن للنص الأدبي أن يروجه بناء على طرح المؤلف أو في نطاق النسيج النصي ذاته فكل الاحتمالات واردة ، و إن كنا نتعامل مع الخطاب الأدبي بدافع البحث عن فكرة معينة فنحن بصدد الكشف عن الأثر الأيديولوجي المتضمن في النص ، و عليه فنحن مرغمين على الربط بين النص و الواقع و قضايا المجتمع ككل ، بمنظار أن هذا النص الأدبي يشتغل في قيد الاستجابة و منه الإجابة إزاء ما يحيط به على نحو ما ورد في هذا النص الروائي و هو يصور أشكال الابتزاز السياسي " ترشح إلى انتخابات القسمة، و فاز قبل حمو المجاهد ،اعتمد على العروضية التي تحرمها قوانين الحزب و تعتبرها من المخالفات الكبرى ، و استولى على المسؤولية الوحيدة في القرية"^{٥٧} هل الرواية تقصد الواقع بحذافيره أم تطمح إلى رسم وضع سياسي جديد و الجزائر في عهد الاستقلال لم لا يكون صوت المجاهد هو الوحيد المؤهل للممارسة السياسية النبيلة؟ و لعل هذه الوصفة التحليلية؛ هي التي تسمح جدلية السؤال و الجواب أن

^{٥٥} - واسيني الأخرج. أنثى السراب. دارالآداب، بيروت ط ٢٠١٠. ص ٧٦.

^{٥٦} - Michel Meyer. Langage et littérature. P121.

^{٥٧} - الطاهر قطار. العشق و الموت في الزمن الحراشي. ص ٩٣.

تكرس من جديد^{٥٨}، و من زاوية الأدبية أيضا يمكن للنص المسمى أدبا أن يشكل طفرة نوعية في سبيل تحطيم سلطة القيم و التقاليد المفروضة في الواقع، و كأننا نريد أن نقول بهذا التصور ما يكون قيد الممنوع فهو المرغوب في الواقع الاجتماعي و ذاته ما يمكن للكاتب و منه النص أن يفصح عنه بتأييد من القارئ الذي يريد تخطي عتبة الخط الأحمر فيصير الأدب عبارة عن تغطية لعجز الأيديولوجيا دون أن يلزم نفسه بها، حتى لا يقع في فخها؛ بمعنى ليس من واجب الأدب أن يشغل فراغا أو يتطلع إلى قيمة أيديولوجية جديدة أو أخلاقية بالضرورة؛ و هذا ما نلمحه في حكاية المتزوجة العاشقة تبعا لمقطع من رواية "بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات" لمحمد برادة؛ حيث يرد سرد هذه الحالة على لسان إحدى شخصياتها و هي تأخذ بدور العاشق لها "زوجها كنت تدلله و تحترمه، تطيعه و تغدق عليه الحنان و الاهتمام أمام الآخرين كأنما غريزتها كانت توجه خطواتها لتضمن بعد موته استقلالاً مادياً؛ ووضعية تقيها من دواير الزمان و إذلال من يستلذون امتهان المرأة؛ زوجة كانت أم عشيقة و أنا كنت محتاجا إلى هذه العلاقة مثل هذه تسعفني على اجتياز طريق قفر لا أعلم متى أغادره"^{٥٩} و في السياق نفسه قد يتمظهر هذا العجز بمنطق الأسئلة المطروحة أي الأشكلة و تجاوز العجز ما هو إلا صفة الحل لهذه الأشكلة^{٦٠} يبقى في كل الأحوال في كون الأدب يملك مشروعية صنع استقلاليته اعتبارا إلى النسيج النصي الذي يشكله دون أن يشهر مشروعه على الملأ حتى تتكسر مقولة النص على حساب مقولة الواقع أو الأيديولوجيا.

^{٥٨} - Michel Meyer. Langage et littérature. P153.

^{٥٩} - محمد برادة، بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، دارالآداب بيروت ط ٢٠١٤، ص ٨.

^{٦٠} - Michel Meyer. Langage et littérature. p 159.

المراجع :

- (١) أنيس فريحة. نظريات في اللغة. دار الكتاب اللبناني. بيروت. ط ٢ ١٩٨١ ص ١١.
- (٢) عبد العزيز حمودة. المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك. سلسلة عالم المعرفة أبريل نيسان ١٩٩٨. المجلس الوطني للثقافة. الكويت. ص ١٠٨.
- (٣) أحلام مستغانمي. على مرفأ الأيام : مختارات من الديوان. الشركة الوطنية للنشر و التوزيع. الجزائر ط ١٩٧٢. ص ٣.
- (٤) واسيني الأعرج. رماد الشرق ١ : خريف نيويورك الأخير. منشورات الجمل بيروت - بغداد ط ١ ٢٠١٣. ص ١٠.
- (٥) غادة السمان. الحب. منشورات غادة السمان بيروت ط ٩ ١٩٩١ ص ١١.
- (٦) واسيني الأعرج. جملكية آرابيا. منشورات الجمل. بيروت / بغداد. ط ١ ٢٠١١ ص ٧.
- (٧) إبراهيم الكوني. نداء ما كان بعيداً. المؤسسة العربية للدراسات و النشر ط ٢ ٢٠٠٩. ص ١٥.
- (٨) جان بول سارتر. تر : عبد المنعم الحفني. الوجودية مذهب إنساني. الدار المصرية للطبع و النشر القاهرة ط ١ ١٩٦٤. ص ٤٣.
- (٩) محمود درويش. قصيدة سوناتا II "وقوع الغريب على نفسه في الغريب" ديوان سرير الغريبة ط ٢ ١٩٩٩. ص ١٨.
- (١٠) واسيني الأعرج. البيت الأندلسي. منشورات الجمل. بيروت / بغداد. ط ٢٠١٠. ص ١١٧.
- (١١) أحمد علي الزين. حافة النسيان : ثلاثية عبد الجليل الغزال. دار الساقى بيروت ط ٢٠١٠. ص ١١.
- (١٢) تيري إيغلتون تر : محمد درويش. كيف نقرأ الأدب ؟. الدار العربية للعلوم ناشرون / منشورات جامعة بال.
- (١٣) واسيني الأعرج. رمل المائة. فاجعة الليلة السابعة بعد الألف. دار كتعان للنشر و التوزيع دمشق. ط ١ ١٩٩٣. ص ٧.

- ١٤) واسيني الأعرج. كتاب الأمير : مسالك أبواب الحديد .منشورات الفضاء الحر
الجزائر العاصمة. ط ١ ٢٠٠٤. ص ١٨ - ١٩ .
- ١٥) بيرسي بيش شلي. تر: ماجد الحيدر. نشيد الحرية و قصائد أخرى :قصيدة.
فلسفة الحب المقطع ١ و ٢. ص ١١ .
- ١٦) الطاهر وطار. العشق و الموت في الزمن الحراشي. الشركة الوطنية للنشر و
التوزيع ط ٢ الجزائر ١٩٨٢. ص ٧٩ .
- ١٧) ١ - عبد الهادي عبد الرحمن. المخالب و الفريسة. المؤسسة الوطنية للكتاب
الجزائر ط ١٩٩٠. ص ٦٧ .
- ١٨) واسيني الأعرج. أنثى السراب. دار الآداب. بيروت ط ١ ٢٠١٠. ص ٧٦ .
- ١٩) الطاهر وطار. العشق و الموت في الزمن الحراشي. ص ٩٣ .
- ٢٠) محمد بريدة. بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات. دار الآداب بيروت ط ١
٢٠١٤. ص ٨ .

- 1) Michel Meyer. la problématique Ed Que sais je Paris 2010 .p3-4.
- 2) Michel Meyer .De la problématique : philosophie, science et langage. Ed pierre Mardaga EDITEUR .BRUXELLES .p48.
- 3) Gilles Siouffi .Penser le langage a l'âge classique Ed Arman colin Paris 2010. p7.
- 4) Jean Bessière .Dire le littéraire : point de vue théorique. Ed pierre Mardaga Editeur bruxelles 1990 .p 6.
- 5) Michel Meyer. Langage et littérature. Ed puf. Paris. 1992. P4.
- 6) Romane Jakobson trd : N. Ruwet. Essais de linguistique générale Paris, Ed Minuit, Paris 1963, p 217-218.
- 7) Philippe Sabot .philosophie et littérature .Ed puf Paris 2002.p5.
- 8) Wolfgang Iser .L'acte de lecture. Ed pierre Mardaga Editeur bruxelles 1985.p 198.

**دور بريطانيا في الصراع الهاشمي السعودي
في الحجاز 1908-1925م**

**The Role of Britain in the Hashemite-Saudi Conflict
In Hijaz (1908-1925)**

د. أحمد أحمد العرامي

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد، قسم التاريخ- كلية التربية والألسن. جامعة عمران



جامعة الأندلس
للعلوم والتكنولوجيا

Alandalus University For Science & Technology

(AUST)

دور بريطانيا في الصراع الهاشمي السعودي في الحجاز 1908-1925م

ملخص البحث:

بريطانيا من سيطرة عبدالعزيز آل سعود على الحجاز في عام ١٩٢٥م، ووضح محددات السياسة البريطانية التي كانت توازن بين المكتب العربي في القاهرة التابع لوزارة الخارجية البريطانية وحكومة الهند البريطانية إذ كان المكتب العربي يتبنى سياسة دعم الشريف حسين، وكانت حكومة الهند البريطانية تتبنى سياسة دعم عبد العزيز ابن سعود.

تناول هذا البحث دور بريطانيا في الصراع الهاشمي السعودي في الحجاز خلال الفترة (١٩٠٨ - ١٩٢٥م)؛ إذ تم التطرق إلى جذور الخلاف بين أشرف مكة وآل سعود، كما تم إيضاح محددات السياسة البريطانية في شبه الجزيرة العربية، وصولاً إلى موقف بريطانيا من النزاع الهاشمي السعودي حول واحتي تربة والخرمة (١٩١٧ - ١٩٢١م)، كما أبان موقف

Abstract :

This study investigated the role of Britain in the Hashemite-Saudi conflict in Hijaz during the era of (1908-1925) with reference to the origins of the conflict between the Saudis and the Sherifs of Mecca. Then, the study pointed out the British policy in the Arabian Peninsula showing the British viewpoint regarding the conflict between the Hashemites and Saudis on the two Oasis's of Turba and Al-Xarma (1917-1921) and their viewpoint regarding Abdul-Aziz ruling of Hijaz (1925). This study

also discussed the British policy which was balancing between the Arabic Bureau in Cairo affiliated to the British Ministry of Foreign Affairs and the Indian-British Government. It was shown that the Arabic Bureau in Cairo was supporting Sherif Hussein while the Indian-British Government was supporting King Abdul-Aziz.

مقدمة البحث :

كان في شبه الجزيرة العربية وتحديداً مطلع القرن العشرين خمس إمارات مستقلة استقلالاً داخلياً وتلك الإمارات هي (آل رشيد في حائل، وآل سعود وسط نجد، وآل حميد الدين في اليمن، والأدرسة في عسير، والهاشميون في الحجاز). وقد مثل الصراع بين إمارة آل سعود في نجد، وإمارة الأشراف الهاشميين في الحجاز، أهم حلقات الصراع بين تلك الإمارات؛ فقد استند كل منهما إلى أساس ديني في شرعية الحكم، تمثلت الزعامة السعودية في شخص (عبدالعزیز بن عبدالرحمن آل سعود)، وكان يطمح لاسترداد ملك آبائه وأجداده في نجد، وتمثلت الزعامة الهاشمية في شخص (الشريف الحسين بن علي)، الذي كان يطمح في ملك العرب وخلافة المسلمين.

مشكلة البحث: تكمن مشكلة البحث في الإجابة على السؤال الآتي: ما دور بريطانيا في الصراع الهاشمي السعودي في الحجاز (١٩٠٨ - ١٩٢٥م)؟ وما نتائج هذا الدور في هذا الصراع؟

أهمية البحث: يلاحظ أن الدراسات والأبحاث التي تناولت دور بريطانيا في شبه الجزيرة العربية خلال فترة البحث أهملت دور بريطانيا في موضوع البحث؛ لذا فإن أهمية البحث تكمن في الآتي:

- عدم دراسة الموضوع مع أهميته .
- ظهور الكثير من الوثائق والمصادر مؤخراً يجعل القيام بالبحث أمراً ضرورياً.
- الدور البريطاني في الصراع كان حاسماً وأدى إلى زوال الحكم الهاشمي في الحجاز وتمكن الأمير عبدالعزيز ابن سعود من تأسيس أكبر دولة في شبه الجزيرة العربية .

وتم تحديد العام ١٩٠٨م بداية للبحث لأنه العام الذي تولى فيه الشريف حسين بن علي شرافة مكة متطلعاً إلى ملك العرب وتولي خلافة المسلمين، وجاء اختيار العام ١٩٢٥م نهاية للبحث لأنه العام الذي تمكن فيه الأمير عبد العزيز ابن سعود من السيطرة على الحجاز وإنهاء الحكم الهاشمي فيه.

- أهداف البحث: كان الباحث الرئيس لاختيار الموضوع تحقيق الأهداف الآتية :
- إيضاح جذور الخلاف بين أشرف مكة وآل سعود في نجد .
 - تحليل واستقصاء دور بريطانيا في الصراع الهاشمي السعودي في الحجاز خلال فترة البحث (١٩٠٨ - ١٩٢٥م).
 - عرض نتائج الصراع الهاشمي السعودي خلال فترة البحث (١٩٠٨ - ١٩٢٥م).
- منهجية البحث: استخدم الباحث المنهجية العلمية التاريخية التحليلية ، بالاطلاع على مصادر البحث الأساسية وتحليلها ونقدها ، سواءً كانت وثائق الخارجية البريطانية ، أو الكتابات التاريخية المعاصرة لفترة البحث ، وكذلك كتب المذكرات ، إضافة إلى المراجع الحديثة ، وكذلك بعض المصادر والمراجع الأجنبية ، وبعض الكتب الموسوعية ، فضلا عن بعض الرسائل الجامعية.
- تقسيم البحث : يتكون البحث من أربعة محاور ، يسبقها مقدمة ، ويتبعها خاتمة ، وقائمة المصادر والمراجع .
- تناولت المقدمة الوضع السياسي في شبه الجزيرة العربية مطلع القرن العشرين ، ومشكلة البحث ، وأهميته ، وأهدافه ، ومنهجه ، وتقسيمه.
- وضع المحور الأول جذور الخلاف بين أشرف مكة وآل سعود منذ تأسيس الدولة السعودية الأولى (١٧٤٤ - ١٨١٨م) إلى اندلاع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م.
- وشرح المحور الثاني محددات السياسة البريطانية في شبه الجزيرة العربية ، التي اتسمت بتعدد الجهات ، وكان بينها تناقضات تصل إلى حد الصراع ، وهو تعدد يصب في مصلحة السياسة البريطانية ، وانعكاس هذا التعدد على الصراع الهاشمي السعودي.
- وتناول المحور الثالث موقف بريطانيا من النزاع الهاشمي السعودي حول واحتى تربة والخرمة خلال الفترة (١٩١٧ - ١٩٢١م) ، وهو موقف اتسم بحفظ التوازن بين الطرفين وضبط الصراع مع الإبقاء على أسبابه وجذوره ، ثم بدء يتجه نحو التخلي عن الشريف حسين ودعم الأمير عبد العزيز ابن سعود .
- وعرض المحور الرابع موقف بريطانيا من سيطرة الأمير عبد العزيز ابن سعود على الحجاز عام ١٩٢٥م ، وإنهاء الحكم الهاشمي في الحجاز ، وقيامها بترتيب الحدود بين

الأمير عبد العزيز آل سعود والهاشميين في العراق وشرق الأردن، وينتهي البحث بالخاتمة التي تضمنت النتائج التي تم التوصل إليها، وأخيراً احتوى البحث على قائمة المصادر والمراجع التي أسهمت في بنائه .

المحور الأول: جذور الخلاف بين أشرف مكة وآل سعود

بدأت العلاقة بين الأشرف في الحجاز وآل سعود في نجد في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، عند ظهور الحركة الوهابية في نجد على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكان انتشارها عقب اتفاق بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود في عام ١٧٤٤م، وهو اتفاق كانت نتيجته قيام الدولة السعودية الأولى (١٧٤٤ - ١٨١٨م)^(١).

في ضوء ذلك انتشرت الوهابية في مختلف أنحاء شبه الجزيرة العربية، واستطاع آل سعود في عام ١٨٠٥م السيطرة على الحجاز. وبذلك بدأ النزاع مع الأشرف في الحجاز، وأدى ذلك الوضع إلى استعانة الدولة العثمانية بوالي مصر محمد علي باشا (١٨٠٥ - ١٨٤٩م) لإخراج السعوديين من الحجاز، والقضاء على حكمهم في نجد، وجهاز محمد علي باشا جيشاً بقيادة ابنه إبراهيم الذي تمكن من إخراج السعوديين من الحجاز، ودخل عاصمتهم الدرعية في عام ١٨١٨م، وبذلك انتهت الدولة السعودية الأولى^(٢). ومنذ عام ١٨١٨م أصبح الحجاز تحت حكم محمد علي باشا، حتى عام ١٨٤١م عندما عاد الحجاز لحكم الدولة العثمانية^(٣).

وفي عام ١٨٤٤م قاد شريف مكة محمد بن عبد المعين بن عون جيشاً إلى نجد بأمر من الدولة العثمانية لقتال أمير الرياض فيصل بن تركي آل سعود، وانتهى الأمر بالصلح بعد أن وافق السعوديون على دفع ضريبة سنوية للدولة العثمانية^(٤). ولم يطرأ أي جديد في العلاقات بين الطرفين حتى عام ١٩٠٨م عندما تولى الشريف الحسين بن علي

^١ - أحمد بن زيني دحلان، أمراء البلد الحرام منذ أولهم في عهد الرسول ﷺ حتى الشريف حسين بن علي، ط٤، الدار المتحدة للنشر والتوزيع، بيروت، (د.ت)، ص٣٢٨.

^٢ - عثمان بن عبد الله بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، ج١، تحقيق عبدالرحمن آل الشيخ، ط٢، وزارة المعارف السعودية، ١٣٩١هـ، ص٢٥٧.

^٣ - أحمد بن زيني دحلان، أمراء البلد الحرام، مصدر سابق، ص٣٢٨.

^٤ - المصدر نفسه، ص٥٢٩.

الشرافة في مكة^(٥)، وأخذ يتطلع إلى بسط نفوذه على ما تبقى من أنحاء شبه الجزيرة العربية، والاستقلال عن الدولة العثمانية.

وكان أهم عقبة واجهت الشريف الحسين بن علي لتحقيق طموحه هو الأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، الذي استطاع إعادة الدولة السعودية في عام ١٩٠٢م بعد أن كان لاجئاً مع أهله في الكويت عقب هزيمتهم على يد أمير حائل محمد بن رشيد الذي قضى على الدولة السعودية الثانية في عام (١٨٩١م)^(٦).

وسارت العلاقات في بادئ الأمر بين الشريف حسين وعبد العزيز آل سعود سيراً حسناً؛ نظراً لانشغال الشريف حسين خلال عامي ١٩٠٨ - ١٩٠٩م بتوطيد نفوذه بين قبائل الحجاز وكسب ولائها، والحد من سلطات الوالي العثماني ورجاله، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لانشغال عبد العزيز بن سعود بالنزاع مع آل الرشيد في حائل^(٧).

وبدأ الاحتكاك بين الشريف حسين والأمير عبد العزيز بن سعود عندما استعانت به قبائل عتيبة، وهي من أكبر قبائل شبه الجزيرة العربية، وتقع منازلها في نجد والحجاز شاكية من ابن سعود الذي أرسل جباته لجمع الزكاة منها. وكانت بعض قبائل عتيبة في منطقة القصيم تابعة إدارياً للحجاز مما أدى إلى اصطدام الشريف حسين مع عبد العزيز بن سعود^(٨).

وعندما أخذ جباة عبد العزيز بن سعود يطالبون قبيلة عتيبة بالزكاة، وهي تابعة للشريف حسين كتب إلى ابن سعود يبلغه بأنه يريد استعادة حقوق الأشراف في تولي السيادة على قبيلتي عتيبة وحرب، وجمع الزكاة من عشائرها، ولكن ابن سعود رفض، فقام الشريف حسين بجمع جيش أواخر يوليو من عام ١٩١٠م، وزحف باتجاه الشرق إلى القصيم، ونزل القويعة من منازل عتيبة، وتمكن من أسر سعد (الأخ الأصغر لعبد العزيز بن سعود) وأخذه رهينة^(٩)، وكان عبد العزيز قد أرسل سعداً لجمع الزكاة من قبائل عتيبة في ذلك الوقت.

^٥ - أحمد السباعي، أمراء مكة المكرمة، ج ١، ط ٧، (د.ن)، مكة، ١٩٩٤م، ص ٥٦١.

^٦ - محمد عبد الله ماضي، النهضة الحديثة في جزيرة العرب، ج ١، ط ٢، دار إحياء الكتب العربية، الرياض، ١٩٥٢م، ص ٨٨.

^٧ - John, Philby, Saudi Arabia, First Published, London, 1955, P.257.

^٨ - سليمان الموسى، الحركة العربية في سيرا المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة، ط ١، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٠م، ص ١٦٩.

^٩ - المصدر نفسه، ص ١٧١، ١٧٠.

مما سبق يتضح أن الشريف حسين لا يريد الاشتباك مع ابن سعود، وإنما يريد دفعه للقبول ببعض الشروط، كما أن ابن سعود لم يكن باستطاعته حشد قوات كبيرة في ذلك الوقت، بسبب تفرق القبائل التابعة بحثاً عن عيون الماء المتباعدة، ويبدو أن ابن سعود كان يواجه ثلاث جبهات هي (آل رشيد في حائل، وأبناء عمه الذين خرجوا عليه في نجد، وشريف مكة)^(١٠).

كتب الشريف رسالة إلى ابن سعود يخبره بوجود أخيه سعد ضعيفاً عنده، وكان الوسيط حينئذٍ محمد بن هندي شيخ مشايخ عتيبة، وهو من حمل الرسالة المتضمنة مطالب يريد الشريف موافقة ابن سعود عليها.

وفي ٥ سبتمبر من عام ١٩١٠م وافق ابن سعود على مطالب الشريف، مشروطاً بحثها مع ابن عمه عبد العزيز بن تركي، ومحمد بن هندي شيخ مشايخ عتيبة^(١١)، ويبدو أن توقيعه كان تحت مسمى (خادم الدولة والملة والوطن، أمير نجد وعشائرها)، وبعد يومين بعث ابن سعود رسالة ثانية إلى الشريف يظهر فيها اهتمامه بمصير أخيه وخشيته عليه، محذراً من مغبة عدم إطلاق سراحه، وكانت الرسالة تراوح بين اللطف والضيق، وبين الود والتلويح^(١٢). وانتهت تلك الحادثة بقبول ابن سعود دفع الفدية لإطلاق أخيه، وقبوله بسلطة الدولة العثمانية، ودفع الضرائب السنوية لها^(١٣).

وبعد تلك الحادثة يمكن وصف علاقة ابن سعود في نجد والشريف حسين في الحجاز بأنها كانت ساكنة باستثناء بعض الاحتكاكات البسيطة إلى أن اندلعت الحرب العالمية الأولى حيث وقف ابن سعود في البداية على الحياد من تلك الحرب، وتمت المراسلة مع الشريف حسين والزعماء العرب في شبه الجزيرة العربية من أجل درء خطر الحرب عن البلاد العربية^(١٤).

^{١٠} - عبد الله الصالح العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج ٢، ط ٣، (د.ن)، الرياض، ١٩٩٧م، ص ١٢٥.

^{١١} - سليمان الموسى، الحركة العربية، مصدر سابق، ص ١٧٠-١٧١.

^{١٢} - محمد عبدالله ماضي، النهضة الحديثة، مصدر سابق، ص ١٢٨.

^{١٣} - Philby, Saudi Arabia, OP. Cit., P.258.

^{١٤} - محمد حسين العقبي، التنافس الإنجليزي - الفرنسي في شبه الجزيرة العربية في القرن التاسع عشر، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة الأزهر، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ٥٧.

ولما كان الشريف الحسين بن علي شريف مكة آنذاك أبرز الزعماء العرب وأهمهم مركزاً، كان لابد من التعاون معه وضممان انحيازه إلى جانب بريطانيا، وفي الوقت نفسه لم تهمل بريطانيا الزعماء العرب الآخرين، بل وضعتهم في الحسبان من أجل حفظ توازن القوى داخل شبه الجزيرة العربية، ومن أجل إضعاف القوى التي قد تحاول الخروج عن الخطة البريطانية^(١٥).

وعندما قامت الحرب العالمية الأولى أصبحت بريطانيا والدولة العثمانية في حالة حرب في نوفمبر من عام ١٩١٤م؛ فتسابقت الدولتان إلى كسب ود ابن سعود، فقدم من المدينة المنورة وفد عثمانى برئاسة محمود شكري الألوسي، وهو صديق لابن سعود، كما وصل إلى القصيم قادماً من العراق وفد عثمانى آخر برئاسة طالب باشا النقيب^(١٦)، وفي تلك الأثناء سارعت بريطانيا إلى استمالة عبد العزيز ابن سعود إلى صفها حتى وإن لم يقم بالمشاركة الفعلية في الحرب، ولاسيما بعد أن بدأت بريطانيا مفاوضات ناجحة مع الحسين بن علي شريف مكة لقيادة ثورة عربية ضد الدولة العثمانية^(١٧).

ويبدو أن همّ عبد العزيز بن سعود الأول خلال الحرب العالمية الأولى كان منصباً على عدوه الأول ابن رشيد في حائل؛ فلم يحارب الشريف حسين كما أرادت الدولة العثمانية، ولم يشترك في محاربة الدولة العثمانية كما أرادت بريطانيا؛ بل كانت سياسته سياسة المترقب المتأنّي، إلا أنه كان أميل إلى بريطانيا منذ البداية، غير أنه لم يصرح بذلك، إلا بعد توقيع (معاهدة دارين) مع بريطانيا في عام ١٩١٥م^(١٨).

ولعلّ تبدل موقف الحسين بن علي بإعلانه الثورة على الدولة العثمانية في ٢ يونيو من عام ١٩١٦م قد أدى إلى تعديل كلي للموقف في الجزيرة العربية؛ إذ أصبح لبريطانيا حليفاً استراتيجياً يعتمد عليه في طرد القوات العثمانية، وحماية الجناح الأيمن لقواتها في سيناء، وحرمان الألمان والعثمانيين من أي قواعد لغوصاتهم في البحر الأحمر^(١٩).

^{١٥} - بنوا ميشان، عبد العزيز آل سعود، سيرة بطل ومولد مملكة، ترجمة عبد الفلاح ياسين، (د.ن)، بيروت، (د.ت)، ص ١٢٨-١٢٩.

^{١٦} - Philby, Saudi Arabia, OP. Cit, P.393.

^{١٧} - مديحة درويش، تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين، ط ١، (د.ن)، جدة، ١٩٨٠م، ص ٨٤.

^{١٨} - فهد بن عبد الله السماري، موسوعة تاريخ الملك عبد العزيز الدبلوماسية، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ١٩٩٩م، ص ٣٦.

^{١٩} - محمد عدنان مراد، بريطانيا والعرب، تاريخ الاستعمار البريطاني في الوطن العربي، ط ١، دار طلاس للنشر، دمشق، ١٩٨٩م، ص ٢٩٤.

وهو ما جعل ابن سعود مندهشاً من تخلي الحسين عن العثمانيين وانضمامه إلى جانب بريطانيا، و من ثم اتضحت له كثير من الأمور الغامضة؛ حيث علم من الثوار السوريين من جماعة حزب الفتاة الذين جاؤوا لطلب مساعدته، أنهم متفقون مع الشريف حسين على تلك الخطة، كما فهم السبب الذي من أجله جعل أمير الكويت مبارك الصباح يحذره من التعرض للحجاز، كما بدا له السبب الذي جعل السيد (بيرسی كوكس Percy Cox) - كبير المقيمين السياسيين البريطانيين في منطقة الخليج - يلزمه بعدم مهاجمة حلفاء بريطانيا في المنطقة^(٢٠).

وعندما أعلن الشريف الحسين الثورة العربية على الدولة العثمانية، تخوف ابن سعود من طموحه، بتوحيد البلاد العربية تحت زعامته بمساعدة بريطانيا، والحقيقة أن السلطات البريطانية في القاهرة أخذت منذ بداية الحرب العالمية الأولى تجري مفاوضات مع شريف مكة لدعمه في القيام بثورة مسلحة على الدولة العثمانية، وحينما كادت المفاوضات تنتهي مع الشريف حسين بدأت مفاوضات بريطانية أخرى مع ابن سعود الذي كان بينه وبين الشريف حسين عداً مستحكماً، وكان أمير نجد آنذاك يقف موقفاً محرماً في قلب شبه الجزيرة العربية بالنسبة للقوات البريطانية في العراق؛ إذ كان يحارب ابن الرشيد في الشمال^(٢١)، وفي الجنوب كانت منطقة نفوذه تمتد حتى قبيلة (عنزة) القوية المتاخمة لحدود العراق، كما كانت المشيخات في الكويت، وقطر، والبحرين، تخشى من اتساع نفوذه، على الرغم من تمتعها بالحماية البريطانية، لذلك فصلت بريطانيا بين اتفاقها مع شريف مكة، وبين اتفاقها مع أمير نجد، حيث كلفت بريطانيا سلطاتها في القاهرة بالتفاوض مع الشريف الحسين، وتركت مفاوضة عبد العزيز ابن سعود (لبيرسي كوكس)^(٢٢). وفي الوقت الذي كانت فيه بريطانيا قد أبرمت أمر الثورة مع الشريف في نهاية عام ١٩١٥م، كانت قد عقدت معاهدة (دارين) مع ابن سعود من قبل ثلاثة أشهر من اتفاقها مع الشريف

^{٢٠} - بنوا ميشان، عبد العزيز آل سعود، مصدر سابق، ص ١٣٥.

^{٢١} - محمد سالم العليوات، علاقات عبد العزيز آل سعود بالقوى المتواجدة في نجد والخليج العربي ١٩٠٢-١٩٢٢م، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ١٩٩٦م، ص ٣٧.

^{٢٢} - قدرى قلعي، الخليج العربي، دار الكاتب العربي، بيروت، ١٩٦٥م، ص ٣٩٢-٣٩٤.

حسين^(٢٣)، وفيها اعترفت بريطانيا بآبن سعود وسلالته حكاماً على نجد والإحساء، وتعهدت بتقديم المعونة البريطانية لابن سعود إذا ما تعرض لغزو خارجي، كما قامت بريطانيا بالإشراف على الشؤون الخارجية لنجد، فضلاً عن تعهد ابن سعود بعدم اعتدائه على إمارات الكويت، وقطر، والبحرين، وكل حلفاء بريطانيا في المنطقة^(٢٤). وبعد ذلك أخذت العلاقات تتوثق بين ابن سعود والحكومة البريطانية^(٢٥).

ونجحت السلطات البريطانية في معالجة كل حالة بسرية تامة؛ وكان كلٌّ من ابن سعود والشريف حسين يجهل اتفاق الآخر مع بريطانيا، ويجهلان ما يجري بين بريطانيا وفرنسا حول اتفاقية (سايكس بيكو Sykes-Picot)، لاقتسام منطقة الهلال الخصيب ومفاوضتها مع اليهود لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين^(٢٦). وهكذا انتهجت بريطانيا سياسات مختلفة للهيمنة على منطقة الجزيرة العربية؛ فعقدت الاتفاقيات مع الدول المنافسة لها لتحديداتها، وأبرمت المعاهدات والاتفاقيات مع شيوخ وأمرأ المنطقة للسيطرة عليهم، واستخدمت في ذلك أسلحتها المؤثرة، كالدعم المالي، والدعم العسكري، ووعودها لهم بالاعتراف والاستقلال والحماية^(٢٧).

المحور الثاني: محددات السياسة البريطانية في شبه الجزيرة العربية

اتسمت السياسة البريطانية في تلك المرحلة بتعدد جهات الاختصاص المسؤولة عن رسم السياسات البريطانية في شبه الجزيرة العربية، وكان بين تلك الجهات تناقضات قد تصل أحياناً إلى حد الصراع، وقد انعكست تلك الازدواجية على علاقاتها مع كل من عبد العزيز بن سعود في نجد، والشريف الحسين في الحجاز^(٢٨). وهي ازدواجية أملت المصالح البريطانية في الدرجة الأولى لكل من حكومة الهند البريطانية أو (وزارة الهند India office)، ووزارة الخارجية البريطانية عن طريق (المكتب العربي

²³ - AL-Jazairi, M. Z. A Diplomatic History Of Saudi Arabia (1924-1964), University Microfilms, 1970. P.128.

²⁴ - يونان لبيب رزق، موقف بريطانيا من الوحدة العربية، ١٩١٩-١٩٤٥م دراسة وثائقية، ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩م، ص١٣-١٤.

²⁵ - محمد طارق مرزوقة، العلاقات السعودية البريطانية خلال الفترة ١٩٠٢-١٩٥٣م، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ٢٠٠١م، ص١٠٣.

²⁶ - علي محافظة، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، (١٩١٩-١٩٤٥م). مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٥م، ص٤٨-٤٩.

²⁷ - أمين الريحاني، تاريخ نجد وملحقاته وسيرة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل الفيصل وآل سعود، ط٥، (د.ن)، الرياض، ١٩٨١م، ص٢٣.

²⁸ - مديحة درويش، تاريخ الدولة السعودية، مصدر سابق، ص٨٩.

Arab Bureau) في القاهرة التي رأت في الشريف حسين خير منفذ لمخططاتها أثناء الحرب العالمية الأولى^(٢٩).

أي إنه كان هناك مدرستان مختلفتان للسياسة البريطانية في تعاملها مع المنطقة، أولاهما: المدرسة البريطانية الهندية، أو وزارة الهند البريطانية التي ترى أن مصلحة بريطانيا تكمن في ضمان تأمين طريق الهند عبر الخليج العربي، وأن السيطرة على بلاد العرب يجب أن تتفق مع مصالح بريطانيا في الهند^(٣٠)، وأن يكون ذلك عن طريق بسط النفوذ على مناطق الخليج العربي وما جاورها من هذه البلاد؛ إذ لا ضرورة في إشراك العرب مع البريطانيين في الحرب ضد الدولة العثمانية خوفاً من غضب مسلمي الهند، الأمر الذي يضعها في موقف حرج، كما أنها لا تعترف بروح العرب الاستقلالية التي كانت آخذة في الانتشار آنذاك. وترى أن سياستها سوف تؤدي إلى حفظ مصالح بريطانيا بالتمكن من بناء هذا الجسر الواصل بين الشرق والغرب دون أن يشاركها فيه أحد، وترى أنه من الضروري التقرب من الزعيم العربي ابن سعود، وتقوية نفوذه، والاعتراف به زعيماً على العرب ليكون واسطة لتنفيذ أهداف بريطانيا^(٣١).

أما المدرسة الثانية فتقع ضمن نطاق عمل وزارة الخارجية البريطانية في لندن التي كان يمثلها المكتب العربي في القاهرة، وكان ينظر إلى المصلحة البريطانية من زاوية البحر المتوسط عن طريق تأييد الأسرة الهاشمية بصفتها أنسب أداة لتحقيق أهدافه، وخاصة بعد تعاون العرب معها في طرد العثمانيين، ومساعدتها لجيوش الحلفاء أثناء الحرب العالمية الأولى، ويرى في ذلك وفاءً للشريف حسين وأنجاله الذين انضموا إليهم في الحرب، وقادوا الجيوش العربية لطرد العثمانيين من المنطقة؛ إذ يرى أنه بالإمكان وضع حاجز يمنع امتداد نفوذ فرنسا إلى الهند، بإنشاء حكومة أو حكومات عربية ولاسيما في دمشق لحماية قناة السويس وطريق الهند^(٣٢).

ورأت وزارة الخارجية البريطانية في لندن التي كان يمثلها المكتب العربي في القاهرة في شخص الشريف حسين خير منفذ لمخططاتها؛ وذلك لموقعه الجغرافي في

^{٢٩} - جوزيف كوستنر، العربية السعودية (١٩١٦-١٩٣٦م) من القبيلة إلى الملكية، ترجمة شاكراً إبراهيم، (د.ن)، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ١٣-١٤.

^{٣٠} - فان در مولين، الملك ابن سعود والجزيرة العربية الناهضة، دار الملك عبد العزيز، الرياض، ١٩٩٩م، ص ٧٢.

^{٣١} - يونان لبيب رزق، موقف بريطانيا من الوحدة العربية، مصدر سابق، ص ١٣.

^{٣٢} - Robert, Lacey, The Kingdom, Harcourt Brace Jovanich Publishers, New York, 1981, P. P.160-161

الجزيرة العربية، وبحكم موقعة الديني الذي يعطيه أفضلية على غيره من الحكام العرب كشريف مكة، وخدام للأماكن المقدسة في الحجاز، ونسبه يمتد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، الأمر الذي جعله مؤهلاً لقيادة الثورة والتفاف العرب حوله^(٣٣).

كما أن السياسة البريطانية في تلك الفترة تأثرت بعدد من الساسة البريطانيين البارزين الذين كان لهم أثر كبير في مجرى السياسة البريطانية في المنطقة، ومنهم الكابتن شكسبير (Shakespeare) الذي كان البادئ في الاتفاق مع ابن سعود على توقيع معاهدة دارين في عام ١٩١٥م، وجون فيلبي (John Philby)^(٣٤)، وكلاهما كان على اتصال وثيق بابن سعود في الرياض، في حين كان هناك في الجانب الآخر من شبه الجزيرة العربية لورانس (Lawrence)^(٣٥) وكان من أكبر المؤيدين للشريف حسين وسياسة الهاشميين في المنطقة^(٣٦).

لذلك يمكن معرفة ودراسة نشأة الدولة السعودية الثالثة، والدول الهاشمية في المشرق العربي من واقع العلاقات البريطانية مع القوى العربية في مطلع القرن العشرين، فمنذ أن بدأ ضعف الدولة العثمانية واضعاً للعيان بدأت المصالح البريطانية التي كانت محصورة في الساحل تأخذ طريقها إلى الداخل في شبه الجزيرة العربية، الأمر الذي

^{٣٣} - فتى العفيفي، مشكلات الحدود السياسية لشبه الجزيرة العربية، ط٢. مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٨م، ص ٣١١.

^{٣٤} - هاري سنت جون فيلبي، (١٨٨٥-١٩٦٠م): أو الحاج عبدالله فيلبي: مستشرق وكاتب بريطاني، ولد في سيلان، وتعلم في بريطانيا، وخدم حكومته في الهند ١٩٠٨-١٩١٥م، ثم في العراق، ودخل الرياض عام ١٩١٧م مع وفد بريطاني، وتعرف إلى عبدالعزيز آل سعود، وسافر إلى جدة، ويقول: إنه اختلف مع حكومته في سياسة الشرق الأوسط، وسافر إلى بلاده مستقبلاً، وعاد بعد سنة إلى العراق، وأصبح مستشاراً في حكومة العراق عام ١٩٢٠م، ثم رئيساً للمعتدين البريطانيين في شرق الأردن ١٩٢١-١٩٢٤م، واستقال ثانية لخلاف مع الأمير عبدالله، وعاد إلى بلاده، ثم عاد عام ١٩٢٦م إلى السعودية، عمل بالتجارة الحرة في جدة، ومنذ ذلك الوقت كان يعمل بصفة شخصية، وأنشأ في السعودية شركات لاستيراد السيارات وغيرها، وقام برحلات اجتاز بها الربع الخالي بدعم من عبدالعزيز، وأعلن إسلامه عام ١٩٣٠م فازداد قرباً من الملك عبدالعزيز، ودخل معه مكة والطائف، وصنف (١٥) كتاباً بالإنجليزية منها: تاريخ نجد، وأرض الأنبياء، ويوبيل الجزيرة العربية، وبلاد العرب السعيدة، ثم طرده الملك سعود بن عبدالعزيز بسبب انتقاده لسياسته توفي في بيروت عام ١٩٦٠م.

^{٣٥} - لورانس توماس إدوارد (١٨٨٨-١٩٣٥م): سياسي بريطاني، عرف بلورانس العرب، درس التاريخ والآثار في جامعة أكسفورد، وانضم إلى بعثة الآثار في بلاد ما بين النهرين عام ١٩١١م، وبقى بعد البعثة في البلاد العربية يتعلم لهجتها المحلية حتى عام ١٩١٤م، ثم التحق بجهاز المخابرات التابع للجيش البريطاني أثناء الحرب العالمية الأولى في مصر، ثم انضم عام ١٩١٦م إلى القوات العربية ضد الدولة العثمانية بقيادة الأمير فيصل بن الحسين، ولعب دوراً مهماً في تلك الثورة، وعمل على قطع الخط الحديدي الواصل بين المدينة ودمشق، وقاد الجيش العربي إلى العقبة، ودخل مع الجيش العربي دمشق عام ١٩١٨م، ورافق الأمير فيصل إلى مؤتمر السلام في فرساي عام ١٩١٩م، ولعب دوراً في تنفيذ سياسة بريطانيا، وبعد فشل مؤتمر السلام رجع إلى بلاده بعد أن نكث الحلفاء بوعودهم للعرب، وانضم إلى القوات الجوية البريطانية باسم مستعار "روس" ونشر مذكراته، وله من الكتب: ثورة الصحراء، وأعمدة الحكم السبعة.

^{٣٦} - فان درمويلين، الملك ابن سعود، مصدر سابق، ص ٧٤-٧٥.

أدى في النهاية إلى اتصال مباشر بين البريطانيين وابن سعود في نجد، وبينهم والشريف حسين في الحجاز^(٣٧).

وكان الحسين بن علي يتمتع بموقع جيد من ناحية المساعدة العسكرية البريطانية، إضافة إلى قيمة تدخله السياسي أيضاً، فمن الناحية العسكرية كان شريف مكة يحتل منطقة واقعه وسط الخطوط العثمانية في شبه الجزيرة العربية، في حين لم يكن في مقدور الإدريسي في عسير والإمام يحيى في اليمن القيام بأكثر من شل حركة القوات العثمانية في مناطقهم، وفي الوقت الذي كان فيه ابن سعود بعيداً عن مراكز العثمانيين وخطوطهم كان في مقدور الحسين ضرب القوات العثمانية في بلاد العرب، وقطع خطوط مواصلاتها مع الشمال، مع نفوذه الديني في العالم الإسلامي^(٣٨).

وتفانقم الخلاف بين الشريف حسين وابن سعود عندما أعلنت ملكية الحسين بن علي في ٢٩ أكتوبر من عام ١٩١٦م، من دون أن يتم التفاهم مسبقاً على ذلك مع سائر أمراء العرب ورؤسائهم، وفي طليعتهم الأمير عبد العزيز بن سعود أمير نجد، ثم أخذ الشريف يعامل أمراء العرب بمن فيهم ابن سعود معاملة الأتباع، فبعد إعلان الثورة وإعلان نفسه ملكاً على العرب، بعث إلى ابن سعود بهدية، وخمسة آلاف جنيه، وخمسة عشر ألفاً أخرى في عام ١٩١٧م، وذلك خلاف العادة - وكأنه يريد أن يقول له: استعن بهذه النقود على ضبط الأمور في ولايتك فقد أصبحت تابعاً لنا - ويبدو أن ابن سعود قد فهم المغزى، وكان رده أن أرسل إلى الشريف حسين رسالة يطلب إليه تحديد الحدود بين نجد والحجاز؛ كي يفهم الشريف أن بلاد نجد مستقلة، ومما جاء في الكتاب الذي أرسله ابن سعود إلى الشريف في هذا الصدد قوله: (قد يكون حدث بيننا وبينكم سوء تفاهم في الماضي، فلا بد إذاً من التفاهم وذلك بأن تحدد الحدود بيننا وبينكم فتزول الشكوك، وتتضاعف من أهل نجد المساعدات)، فلم يكن من

^{٣٧} - سليمان الموسى، النهضة العربية الحديثة، مصدر سابق، ص ٦٥٦.

^{٣٨} - أحمد شلي، موسوعة التاريخ الإسلامي، مج ٧، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٥م، ص ١٩٣.

الشريف إلا أن رده عليه بقوله: (إما إنك سكران يا ابن سعود، وإما إنك مجنون، أفلا تعلم لأي أمر قمنا!! وأي غرض نبغي)^(٣٩).

وكان ابن سعود قبل ذلك قد أوحى إلى السلطات البريطانية بقبول تتويج الشريف حسين بن علي ملكاً على العرب عندما عرضت عليه السلطات البريطانية لقب الخلافة؛ حيث رد عليهم بقوله: (لا طمع لي بالخلافة، وإني لا أرى من هو أجدر بها من الشريف حسين)^(٤٠)، إلا أنه اضطر لسحب قبوله هذا فيما بعد^(٤١). وفي ضوء موقف ابن سعود من الشريف حسين وتطلعاته القيادية للعرب انتقد ابن سعود الشريف الحسين، وأخبره بأن موارد المال والسلاح التي تقدمها بريطانيا له تذهب سُدى؛ كونها توزع على أعداد كبيرة من الشيوخ والأتباع عديمي الفائدة^(٤٢). والظاهر أن ابن سعود كان يخشى من الإمدادات البريطانية للشريف حسين التي قد تؤهله لزعامة العرب، وإقصاء منافسيه عن الساحة بمن فيهم ابن سعود نفسه.

ولما كانت ردود الشريف حسين سلبية على مطالب ابن سعود حول تحديد الحدود؛ إذ لم يعترف الشريف بحدود داخل شبه الجزيرة العربية، أدرك ابن سعود مغزى الشريف حسين، الذي يريد معاملته كتابع له وليس كحاكم مستقل لنجد؛ لذا سارع ابن سعود إلى الاتصال بالبريطانيين، واجتمع مع (كوكس)، لغرض الإيضاح له بعدم قبوله للتبعية للشريف حسين أو الثقة بنواياه، إلا أن (كوكس) تعهد له بحمايته من اعتداءات الحسين، تنفيذاً لمعاهدة دارين، كما تعهد بعدم اعتراف بريطانيا بالشريف حسين ملكاً على البلاد والعرب كلها، وإنما ملكاً على الحجاز فقط، كما طمأن (كوكس) ابن سعود بإيجاد تسوية مشرفة بعد الحرب^(٤٣). واتضح الرفض البريطاني لإعلان الشريف حسين نفسه ملكاً على العرب في مراسلات بريطانيا مع الشريف حسين إثر تلقيه بهذا اللقب في عام ١٩١٦م؛ إذ لفتت بريطانيا نظر الشريف حسين إلى ذلك من خلال المذكرة التي بعثت بها الحكومة البريطانية للشريف حسين، وجاء

^{٣٩} - أمين الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص ٢١٢.

^{٤٠} - المصدر نفسه، ص ٢٣١.

^{٤١} - Hodgkin, E.C., Two King in Arabia, Letters form Jedah 1923-1925 and 1936-1939, Reader Buillard, Ithaca Press, 1993, P.149.

^{٤٢} - Ibid, P. 150.

^{٤٣} - حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، ط ٤، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦١م، ص ١٨٨.

فيها: (ترغب حكومة جلالته أن تلفت انتباه سموكم إلى النقاط التالية: تلاحظ الحكومة البريطانية أن اللقب الذي اتخذتموه سيادتكم يقوم على أساس قومي، وليس على أساس الأقطار، وهي تسجل ما صدر عنكم من أن ابن سعود والإدريسي يحكمان بلديهما، وأنه لا رغبة لسموكم التدخل في شؤونهما)، كما لفتت الحكومة البريطانية نظر الشريف حسين مسبقاً وحذرت من إعلان نفسه خليفة للمسلمين، حيث جاء في الرسالة: (وتلاحظ حكومة جلالته أنكم تركتم قضية الخلافة للعالم الإسلامي ليقدر فيما بعد من الذي يحتل هذا المنصب الخطير، وهي تتفق مع هذه الخطة الحكيمة)^(٤٤).

ويتضح من تلك المذكرة البريطانية تحذير الملك حسين بعدم التدخل في شؤون الإدريسي وابن سعود، كما تضمنت تحذيره من القدوم على إعلان نفسه خليفة للمسلمين في المستقبل.

وهكذا اعترفت بريطانيا بالحسين ملكاً على الحجاز فقط، كما لم تعترف به فرنسا وإيطاليا إلا بوصفه ملكاً على الحجاز، ولم يحضر ممثلاً فرنسا وبريطانيا الاحتفال الذي توج فيه الشريف حسين ملكاً على العرب في جدة في ٤ نوفمبر ١٩١٦م. وقد عبرت السلطات البريطانية عن رفضها تلقي الشريف حسين بلقب ملك العرب، في البرقية التي بعث بها السير هنري مكماهون (H.MackMahon) إلى وزارة الخارجية البريطانية التي جاء فيها: (إننا نظراً لمعاهداتنا التي نعترف بها باستقلال الحكام العرب عن الآخرين، نستطيع الاعتراف بالشريف حسين ملكاً للحجاز فقط)^(٤٥)، كما عبرت فرنسا وروسيا عن ذلك الموقف بالتعاون مع بريطانيا من خلال مذكرة مشتركة أرسلتها إلى الأمير عبد الله بن الحسين باسم حكومات بريطانيا العظمى، وفرنسا، وروسيا، بتاريخ ٣ ديسمبر ١٩١٧م، أوضحت تلك المذكرة أن هذه الدول تعترف بالشريف حسين رئيساً أسمياً للشعوب العربية في ثورتها على الحكم العثماني، وأنها تعترف بسموه فقط حاكماً شرعياً واقعياً للحجاز، كما أوضحت أن هذه الدول لا تستطيع أن تعترف باتخاذ الشريف حسين أي لقب ملكي قد يثير الفرقة

^{٤٤} - على محافظة، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا، مصدر سابق، ص ٥٠.

^{٤٥} - F. O. 371/2782/22/0339, Dated 6 Nov. 1916

بين العرب في الوقت الحاضر؛ مما قد يضر بالتسوية السياسية النهائية للبلاد العربية على أساس مرض؛ فالتسوية النهائية للبلاد العربية يتم التوصل إليها بالاتفاق العام مع الحكام العرب الآخرين، وهذا أمر متوقع ما دامت الدولتان حليفين لبريطانيا ومتفقتين معها بموجب اتفاقية (سايكس بيكو) على تقسيم المشرق العربي، والنكث بالوعود المعطاة للشريف حسين^(٤٦). ولا شك أنه كان لابن سعود دور في الحؤول دون اعتراف بريطانيا بلقب الحسين؛ إذ إن ابن سعود رفض منذ البداية تفاوض الشريف مع بريطانيا باسم العرب، كما أن موقف مدرسة الهند البريطانية المؤيدة لابن سعود، والمناوءة للشريف حسين، لعبت دوراً مهماً في حمل الحكومة البريطانية في التصدي لتطلعات الشريف حسين وطموحاته السياسية.

ولقد دفع الخلاف بين مدرستي الهند والقاهرة الحكومة البريطانية إلى العمل على وضع خطة جديدة للتوفيق بين المدرستين، فأرسلت السلطات البريطانية رونالد ستورز (Ronald Storrs) من مكتب القاهرة لزيارة البصرة في مطلع عام ١٩١٧م للتداول مع البريطانيين المشتغلين في شؤون الخليج العربي، ثم قرر زيارة الرياض لمقابلة ابن سعود، ولكنه اضطر لمرض أصابه في الطريق أن يعود دون زيارة ابن سعود^(٤٧).

ووجدت بريطانيا في الصراع بين الشريف حسين والأمير عبدالعزيز بن سعود فرصة لضمان ولائهما معاً لتحقيق أكبر مكاسب من كلا الطرفين؛ لذلك عملت على تغذية أسباب النزاع بين الطرفين لصالح سياستها التي تمثلت في تلك المرحلة في القضاء على النفوذ العثماني في شبه الجزيرة العربية، وشعر كل من ابن سعود والشريف حسين بأنه يتمتع بتأييد بريطانيا في مواجهة الآخر لتثبيت ملكه^(٤٨).

المحور الثالث: موقف بريطانيا من النزاع الهاشمي السعودي حول واهتي تربة والخرمة (١٩١٧-١٩٢١م)

تجدد الخلاف بين الشريف حسين وابن سعود قبيل انتهاء الحرب العالمية الأولى، وكان سبب الخلاف النزاع على تبعية تربة والخرمة، وهما واهتان واقعتان إلى الشرق

⁴⁶ - F.O.382/13 Dated 6 Nov., 1916; Ruling Families of Saudi Arabia, vol. I, P.197.

^{٤٧} - حافظ وهبة، جزيرة العرب، مصدر سابق، ص ٢٠٠-٢٠١.

⁴⁸ - Mohamad, Iqbal, *Emergency of Saudi Arabia*. (a Political study of King Abu - Al- Aziz Ibn Saud 1901-1953), Mohamad Iqbal - Sudiyah, Publishers, India, 1st ed, 1977, P.35

من الطائف، وراء جبل حضن على تخوم المنطقة الشرقية للحجاز والغربية لنجد، وهما من المناطق الحدودية بين نجد والحجاز، وسكانهما من البادية، وقد خضعتا للدولة السعودية الأولى، وتراوحت فيهما المبادئ السلفية ما بين مد وجزر^(٤٩). وقد كانت تلك المنطقة مثاراً للخلاف بين ابن سعود والشريف حسين، حيث كان الشريف حسين يرى أن هذه الجهات تابعة للحجاز، ويعتبر سكانها من رعاياه، وأراد منهم أن يظهروا الولاء والخضوع له، وكان أمير منطقة الخرمة من الأشراف العبدالة الذين ينتمي إليهم الشريف حسين نفسه، وهو الذي يقوم بتعيين أمير الخرمة، وهذا يعني أن المنطقة إدارياً كانت تتبع الحجاز^(٥٠). وكانت هذه حجة الحسين، أما ابن سعود فقد برر ادعائه بملكية الخرمة على أساس ولأئهم له^(٥١).

ومما زاد من جفاء العلاقات أن سكان الواحيتين المذكورتين كانوا قد اتبعوا الدعوة الوهابية السلفية منذ أيام الدولة السعودية الأولى^(٥٢)، ولما استعاد عبد العزيز آل سعود الرياض في عام ١٩٠٢م، ونشر نفوذه في نجد اتصل بهم، وتواصلوا معه، وجددوا عهدهم له، وعدوا أنفسهم من رعاياه، وأخذ ابن سعود يكاتبهم، ويرسل من يتعهد بنشر التعاليم الوهابية بينهم وجمع الزكاة منهم^(٥٣)، ونتيجة لذلك احتج الشريف حسين لدى السلطات البريطانية، التي حاولت التوفيق بينهما، والتوسط من أجل حل الخلاف^(٥٤). وقد عللت السلطات البريطانية أسباب النزاع حول التربة والخرمة إلى سببين: أحدهما ديني، وثانيهما سياسي، وأن السبب السياسي هو النزاع بشأن الملكية الفعلية لمنطقة الخرمة، كما أشارت التقارير إلى تخوف بريطانيا آنذاك من اتصال (فخري باشا) ممثل الدولة العثمانية بالشريف حسين أو ابن سعود، وحذرت بريطانيا ابن سعود من معارضة التنظيمات الإدارية في الخرمة^(٥٥).

^{٤٩} - إيف بيسون، ابن سعود ملك الصحراء، ترجمة عبدالله الدليبي، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، ١٩٩٩م، ص ١٨٨.

^{٥٠} - سعود بن هذلول، تاريخ ملوك آل سعود، ط ١، (د.ن)، الرياض، ١٩٦١م، ص ١٣٣-١٤٤.

^{٥١} - مصطفى النحاس، آل سعود في الجزيرة العربية من القبيلة إلى الدولة، ط ١، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ١٠٥.

^{٥٢} - أحمد بن زفي دحلان، أمراء البلد الحرام، مصدر سابق، ص ٣٢٤.

^{٥٣} - جوزيف كوستنر، العربية السعودية، مصدر سابق، ص ٢٩-٣٠.

^{٥٤} - F.O.371/4146 [91521]- Dated 24 Jun, 1919, Ruling Families of Saudi Arabia, vol. I, P, P.197-198.

^{٥٥} - نجدة فتحي صفوة، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، مج ٤، ط ١، (د.ن)، (د.م)، ١٩٦٦م، ص ٢٦٨-٢٦٩.

في حين طلب ابن سعود مساعدة بريطانيا ضد هجمات الحسين المتكررة على الخرمة، مهدداً بالتوقف عن ضبط الإخوان إذا لم يتوقف الحسين عن مهاجمة الخرمة، بقوله: (والله لن أكون مسؤولاً عما سيحدث)^(٥٦).

ويظهر أن كلاً من ابن سعود والشريف حسين كان يسعى لكسب ولاء القبائل المقيمة في تلك المناطق عن طريق الدعم المادي، وتقديم المعونات والهدايا - وبخاصة الشريف حسين - الذي استطاع خلال الثورة تجنيد الكثير من أبناء القبائل للقتال ضد الدولة العثمانية عن طريق الأموال والسلاح، في حين أن ابن سعود لم يستطع آنذاك منافسة موارد الشريف المالية؛ حيث كانت خزائن ابن سعود خاوية، الأمر الذي اضطره إلى مهادنة الشريف حسين؛ في عامي ١٩١٦م و١٩١٧م. وقد كانت الولاءات آنذاك لصالح الحسين^(٥٧).

وأرسل الشريف حسين في عام ١٩١٧م ثلاث حملات متتالية على الخرمة بعد أن أعلن الشريف خالد بن لؤي تمرده على الشريف حسين، وأخذ يستنهض همم الأهالي للوقوف معه ضد القوات الحجازية، وجمع رجاله في الخرمة وتحصن فيها، واتصل بابن سعود، ودخل في طاعته، وأخذ ينشر الدعوة الوهابية بين القبائل، وفي تلك الأثناء عين الشريف حسين قاضياً للخرمة، إلا أن خالد بن لؤي طرده وأرجعه إلى مكة، وعلى الرغم من مطالب الشريف المتكررة إلى خالد بن لؤي بالحضور إلى مكة إلا أنه رفض الحضور، موضحاً للشريف حسين استقلاليته، فأمر الشريف حسين بعزله، وعين أحد أبناء عمه بدلاً منه^(٥٨).

واستطاع خالد بن لؤي هزيمة الحملات التي أرسلها الشريف حسين إلى الخرمة، ولما ترامت أنباء النصر إلى القبائل المجاورة المحيطة بترية والخرمة، انضمت إلى خالد فقويت شوكته، وأخذ يشعر بقوته، لكنه لم يستهن بالخطر المحدق به من قبل الحجاز، فأرسل إلى ابن سعود يطلب مساعدته مقابل أن يضع نفسه تحت حمايته^(٥٩).

56- Asher, Susser, The Hashemites in the Modern Arab World, Frank Cass, London, 1995. , P.59.

^{٥٧} - أحمد عسة، معجزة فوق الرمال، ط٣، المطبعة الأهلية اللبنانية، (د.م)، ١٩٧١م، ص ٧٤.

^{٥٨} - أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى (تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن)، مج٣، (د.ن)، القاهرة، (د.ت)، ص ص ١٣٧-١٣٨.

^{٥٩} - عبدالله العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، مصدر سابق، ص ص ١٥٩-١٦٠.

وقد استجاب ابن سعود لطلب خالد بن لؤي، ورأى الوهابيون أن الوقوف مع أهل الخرمة ضرباً من الجهاد^(٦١)، حيث إن سكان الواحيتين هم من أتباع المذهب الوهابي. وفي ذلك الوقت لعب الوهابيون دوراً مهماً في نشر الدعوة الوهابية، ودعم استقرار القبائل البدوية، مما عزز مواقف ابن سعود الذي أرسل في أكتوبر من عام ١٩١٨م حوالي (٤٥٠) أربعمئة وخمسين مقاتلاً لمساعدة خالد بن لؤي ضد الشريف^(٦٢).

وقد شجع انتصار خالد بن لؤي على قوات الشريف حسين عبد العزيز ابن سعود على الإسراع لدعم خالد بن لؤي، كما أن هناك عوامل أخرى دفعت ابن سعود لاغتنام الفرصة، والوقوف إلى جانب خالد بن لؤي، فإلى العاملين الديني والسياسي، كان العامل الاقتصادي مهماً في دخول ابن سعود الصراع مع الشريف حسين؛ حيث كانت تربة والخرمة تشكلان سوقاً مهماً لبيع منتجات ومواشي إقليم نجد في الحجاز، وكذلك العامل الاستراتيجي فهما يمثلان خط دفاع أول على الحدود بين نجد والحجاز، وإن تركهما للشريف حسين يعني تعرض ممتلكات ابن سعود للخطر^(٦٣).

وأخذ الشريف حسين يبعث الحملة تلو الأخرى لإخضاع سكان واحتي تربة والخرمة الذين ثاروا ضده، وطلبوا النجدة من ابن سعود، الأمر الذي استدعى الوساطة البريطانية بين الطرفين، إلا أن تلك الوساطة فشلت في مهمتها بسبب رفض الشريف حسين الاعتراف بأي حق لابن سعود، وبسبب أن تلك المساعي البريطانية كانت عن طريق الربط بين مساعي السلطات البريطانية الموجودة في القاهرة، والمتصلة بالشريف حسين، وبين مساعي السلطات البريطانية في العراق، التي تتبع وزارة الهند، وتؤيد ابن سعود ضد الشريف؛ حيث كان فيلبي في لجنة الوساطة منحازاً لابن سعود^(٦٤)، لذلك حذر الضباط البريطانيون في القاهرة في عام ١٩١٨م من خطورة عدم التزام بريطانيا مع الشريف حسين، ودعوا إلى دعمه ضد ابن سعود، كما حذرت من تنازل الحسين عن العرش، وهو أمر يعد مضرراً بالحركة العربية ضد العثمانيين، كما حذرت

^{٦١} - بنوا ميشان، سيرة بطل، مصدر سابق، ص ٣٠٥.

^{٦٢} - Suser, *The Hashemities*, OP. Cit., P.59.

^{٦٣} - مديحة درويش، تاريخ الدولة السعودية، مصدر سابق، ص ٩٩-١٠٠.

^{٦٤} - Philby, *Saud Arabia*, OP. Cit., P.372.

التقارير البريطانية الصادرة من القاهرة في يناير من عام ١٩١٨م من تسليح ابن سعود ومساعدته في العمليات العسكرية على مستوى كبير^(٦٤).

وعلى إثر الهزائم المتتالية التي منيت بها قوات الشريف حسين، قام في عام ١٩١٩م بإعداد حملة ضخمة قوامها حوالي سبعة الاف مقاتل، داعماً إياهم بتجهيزات كافية^(٦٥)، وعهد لابنه الأمير عبدالله بقيادة تلك الحملة للسيطرة على الخرمة وتربة، وتأديب خالد بن لؤي وسكان المنطقة، وإعادتهم إلى السيادة الحجازية، وقام ابن سعود بمواجهة ذلك فأعد جيشاً كبيراً بقيادة خالد بن لؤي أمير الخرمة، وباغت الأخير القوات الحجازية التي يقودها الأمير عبدالله بن الحسين ليلة ٢٥ مايو من عام ١٩١٩م في حين هي مستغرقة في النوم، فأوقعوا الذعر في المعسكر، وتمت هزيمة الجيش الحجازي، وكادت تكون نهاية عبد الله بن الحسين الذي استطاع الفرار ناجياً بروحه، بعد هذه المعركة تمكن الإخوان من دخول تربة والخرمة^(٦٦). ويذكر الملك عبدالله أن نجاته في تلك المعركة كانت معجزة من المعجزات^(٦٧).

ويمكن القول أن هزيمة تربة مثلت ضربة قاصمة للحكم الهاشمي في الحجاز، وصارت بداية النهاية له، كما أثرت الهزيمة سلباً على الحسين وأبنائه، وأهل الحجاز بعامة، وأظهرت ضعف الحسين أمام خصومه، الأمر الذي شجع ابن سعود للعمل على السيطرة على الحجاز. وقد أشار الملك عبدالله في مذكراته إلى أن الفترة الواقعة بين واقعة تربة والخرمة، وبين قدومه إلى شرق الأردن هي فترة اضطراب وقلق على الوطن ومصيره، وعلى النهضة، وعلى الوالد نفسه، (فلقد وجدته عند رجوعي إلى المركز كثير النسيان، كثير التردد، قليل الاعتماد على من كان يعتمد عليه، وأنه كانت لتلك الهزيمة خطورتها)^(٦٨).

ومن ثم شكلت تلك الموقعة منعطفاً خطيراً في تاريخ العلاقات الحجازية النجدية؛ إذ أصبح ابن سعود يتمتع بهيبة أكبر أمام رعاياه مبرهنناً على أنه القوة الضاربة في المنطقة.

⁶⁴ - Susser, *The Hashemities*, OP. Cit, P.55

⁶⁵ - نجدة فتحي صفوة، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، مصدر سابق، ص ١٤٠.

⁶⁶ - أمين سعيد، ملوك المسلمين المعاصرين ودولهم، (د.ن)، القاهرة، (د.ت)، ص ٣٤٢-٣٤٧.

⁶⁷ - عبدالله بن الحسين، مذكراتي، الدار الأهلية للنشر، مكتبة برهومة، عمان، ١٩٨٩م، ص ٢١٣-٢١٤.

⁶⁸ - المصدر نفسه، ص ٢١٨-٢١٩.

وعندما علم الشريف حسين بهذه الأخبار، دُعر من هذه الحادثة، وأخذ يستتجد بالسلطات البريطانية خشية من متابعة ابن سعود الطريق إلى مكة والمدينة، واحتلال الحجاز، وقضائه على حكم الأشراف فيها، وقد كانت السلطات البريطانية آنذاك - لاسيما مدرسة القاهرة وعلى رأسها لورانس - لا تزال تؤيد الشريف حسين كقوة أولى في شبه الجزيرة العربية، في حين كان (فيلبي) يقف في الجانب الآخر المؤيد لابن سعود^(٦٩)، ويرى أن ابن سعود هو الشخص الذي يمكن المراهنة عليه في تحقيق المصالح البريطانية في المنطقة، وأن له من الإمكانيات والمقومات ما تجعله الشخصية الأقوى في شبه الجزيرة العربية^(٧٠).

وقد رجحت كفة السلطات البريطانية في القاهرة في تأييد الشريف حسين في نزاعه مع ابن سعود حول واحتي تربة والخرمة، ووجهت السلطات البريطانية إنذاراً إلى ابن سعود بإخلاء المنطقة والعودة بجيشه إلى نجد، وحذرت من التوغل في الأراضي الحجازية، ووعده بتسوية المشاكل العالقة بين الفريقين المتنازعين، ورضخ ابن سعود للأمر الواقع، وانسحب بقواته إلى نجد؛ خوفاً من بريطانيا التي كان في حاجة ماسة إلى مساندها^(٧١).

وبعد تلك الحوادث والوساطات البريطانية سادت الحدود النجدية الحجازية فترة من السكون والهدوء خلال عامي (١٩١٩ - ١٩٢٠م) وتبادل خلالها الطرفان المكاتبات الودية، ودارت بين مندوبيهما عدة مباحثات، أسفرت عن سماح الشريف حسين للنجديين بالحج.

وعلى الرغم من تبادل الرسائل الودية بين ابن سعود والحسين بن علي، إلا أن ذلك لم يضع حداً للنزاع القائم بين نجد والحجاز؛ وذلك لتماس الحدود الجغرافية التي لم تحدد بوضوح، الأمر الذي ترك المجال مفتوحاً بين الطرفين في ادعاء كل منهما ملكيتها أو تابعيتها له، بالإضافة إلى الخلافات المذهبية بينهما، والأطماع في السيطرة على كامل شبه الجزيرة العربية لدى كل من ابن سعود والحسين، خاصة بعد أن

⁶⁹ - Suser, The Hashemities, OP. Cit., P.P.55-57.

^{٧٠} - أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى، مصدر سابق، ص ١٤٠.

^{٧١} - أمين الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص ٢٤٩-٢٥٠.

كشفت ابن سعود قوة الحسين في تربة، ومما زاد الخلاف بينهما أن الشريف حسين عاد ومنع أهل نجد من تأدية فريضة الحج في عام ١٩٢١م^(٧٢). وفي ظل تلك الظروف ساءت علاقة الشريف الحسين بن علي بالحكومة البريطانية، التي اتهمها الحسين بمحاباة خصمه ابن سعود، ودعمه مادياً ومعنوياً، وقد عبر الحسين عن ذلك في رسائل شديدة اللهجة بعث بها إلى الحكومة البريطانية؛ ففي برقية مؤرخة بتاريخ ١٩ يونيو من عام ١٩١٩م إلى المتمد البريطاني في جدة هدد الحسين بن علي بريطانيا بالتنازل عن حكم الحجاز؛ إذ يقول في البرقية: (إنه إذا رفضت بريطانيا دعمه بالطائرات والرشاشات، فإن من الأفضل التنازل عن العرش)^(٧٣).

أي إن محاولات الصلح التي أجرتها بريطانيا بين الشريف حسين وابن سعود منذ صيف عام ١٩١٩م حتى صيف ١٩٢٠م، لم تكن سوى تغييرات طارئة تعامل معها ابن سعود بشكل يضمن تحالفه مع بريطانيا، وضمان وصول المعونات إليه^(٧٤)، إذ كان بإمكان بريطانيا إيقاف العمليات العسكرية قبل قيامها، لكنها لم تتخذ إجراءً رادعاً ضد ابن سعود، بل ما اتخذته لا يعدو أكثر من بعض المساعي الدبلوماسية التي تسمح بها أهداف السياسة البريطانية، وكان موقف بريطانيا من النزاع في تربة والخرمة من ضمن هذه الأهداف^(٧٥).

وعندما انتهت الحرب العالمية الأولى توجه الحسين باسم العرب إلى بريطانيا مطالباً إياها بالوفاء بالتزاماتها، ووعودها لتحقيق الدولة العربية الكبرى، وعندما لمست بريطانيا أن الشريف حسين بمطالبه هذه سيخرج عن الدائرة المرسومة له وفقاً للسياسة البريطانية، وللحد من طموحات الحسين، قامت باتخاذ إجراءات منها: تخفيض المساعدات الشهرية للشريف حسين، في الوقت نفسه استمرت في دفع المعونات العسكرية والمادية لابن سعود، على الرغم من صدور قرار بإيقاف هذه المساعدات، أي إن بريطانيا بدأت تتخلص من التزاماتها تجاه الحسين، وأخذت تميل نحو ابن سعود.

٧٢ - المصدر نفسه، ص ٢٧٧.

٧٣ - F.O.636/7/ Dated 16 Jun. 1919, Ruling Families of Saudi Arabia, vol. I, P. 199.

٧٤ - إيف بيسون، ابن سعود ملك الصحراء، مصدر سابق، ص ١٩٣.

٧٥ - Susser, The Hashemities, OP. Cit., P. 56.

المحور الرابع: موقف بريطانيا من سيطرة ابن سعود على الحجاز في عام ١٩٢٥م

اتبع ابن سعود بعد انتصاره في موقعة تربة في عام ١٩١٩م وسيطرته على عسير في عام ١٩٢٠م، وعلى حائل في عام ١٩٢١م سياسة الانتظار مع الحجاز خلال السنوات الثلاث التالية، مستغلاً تدهور علاقات الحسين مع بريطانيا، وعزلته عن البلدان العربية الأخرى، فأخذ يعد العدة لغزو الحجاز^(٧٦).

ويمكن القول: إن فكرة غزو الحجاز بدأت تترسخ في ذهن ابن سعود قبل عام ١٩٢٤م؛ فانتصار قواته على جيش الشريف حسين في موقعة تربة في عام ١٩١٩م قد فتحت الطريق أمام قواته للتقدم نحو مكة المكرمة، إلا أن بريطانيا منعت، وجعلت قواته تتراجع عن التقدم نحو الحجاز.

ومما زاد من تحمس ابن سعود لمهاجمة الحجاز هو إعلان خلافة الحسين في عمان في ١٥ مارس ١٩٢٤م، الأمر الذي أغضب ابن سعود، ومن ثم شن حملة ضد الشريف حسين؛ معتبراً أن خلافته غير شرعية^(٧٧).

كما أن فشل مؤتمر الكويت في عامي ١٩٢٣ - ١٩٢٤م في تسوية المشاكل الحدودية بين الهاشميين في الحجاز، والعراق، وشرق الأردن، وابن سعود في نجد، قد أقنع ابن سعود بأن جيرانه من الأشراف أصبحوا يحيطون به من كل الجهات.

وبناءً على ما تقدم من خلاف الحسين مع بريطانيا، ووصول الأمور إلى درجة القطيعة بينهما، وجد ابن سعود أن الوضع السياسي ملائماً له من جميع النواحي من أجل التقدم إلى مكة، وإنهاء الحكم الهاشمي في الحجاز، وكانت مناداة الحسين بالخلافة في عمان في عام ١٩٢٤م قد أغضبت مسلمي الهند ومصر وأكثرية العالم الإسلامي ولاسيما ابن سعود، فأخذ يرسل الرسائل عن طريق ابنه فيصل إلى لجنة الخلافة في الهند، التي كانت تقف موقفاً ضد الشريف حسين مبيناً النظرة السعودية في الخلافة التي تؤكد على أنه لا يحق لمجموعة إسلامية واحدة تقرير مصير الخلافة،

⁷⁶ - Fouad, AL-Farsy, Saudi Arabia, a case Study in Development, London, 1978, P.41.

⁷⁷ - عمر الحضرمي، العلاقات الأردنية - السعودية، دار مجد لاوى، عمان، ٢٠٠٣م، ص ٥٧-٥٨.

وأنه يجب عقد مؤتمر إسلامي يحضره ممثلون حقيقيون عن المجتمعات الإسلامية للبت في أمر الخلافة^(٧٨).

وكان الوفد الذي أرسلته لجنة الخلافة الهندية إلى الحجاز قد وصل في شهر يناير عام ١٩٢٥م، قد أعلن وقوفه مع ابن سعود، ومساعدته لإنشاء دولة لا يكون فيها أي دور للشريف الحسين وأولاده^(٧٩)، وبكسب الموقف الهندي ضمن ابن سعود التأييد البريطاني؛ الأمر الذي شجعه على احتلال الحجاز.

وأخيراً عندما وجد ابن سعود نفسه محاطاً بالخصوم من كل جهة بعد أن توزع الهاشميون في العراق وشرق الأردن والحجاز، وبعد فشل مؤتمر الكويت، وإلقاء تبعية فشل المؤتمر من قبل بريطانيا وابن سعود على الملك الحسين، وعدم حسم السلطات البريطانية الصراع بين الملك حسين وابن سعود عقد الأخير اجتماعاً في الرياض في يونيو عام ١٩٢٤م، حضره كبار الإخوان النجديين، وبين لهم ضعف الحسين، وعدم امتثاله لأي حلول، وإصراره على منع النجديين من الحج الذي هو ركن من أركان الإسلام، كما أثار في ذلك المؤتمر قضية الخلافة، لذلك طلب منهم تقرير الخطة التي سيسيرونها عليها إزاء الهاشميين^(٨٠). وبعد البحث والمداولة تم الاتفاق على مهاجمة الأقطار الثلاثة التي يحكمها الهاشميون في وقت واحد، من أجل شغل أبناء الملك الحسين في شرق الأردن والعراق عن نجدة والدهما في الحجاز^(٨١).

وتحركت القوات حسب الخطة الموضوعة تجاه الأردن والعراق والحجاز، ولما كانت شرق الأردن والعراق تحت الانتداب البريطاني، تم دحر قوات الإخوان بمساعدة القوات البريطانية في تلك المناطق وتكبيدها خسائر فادحة.

وأرسل ابن سعود الجزء الأكبر من قواته لمهاجمة الحجاز جبهته الرئيسية مع الأشراف، وشرع يهاجم الحدود الحجازية النجدية، وبعد مقاومة لم تدم طويلاً من القوات الحجازية استولى الجيش النجدي على الطائف في ٦ سبتمبر ١٩٢٤م^(٨٢).

⁷⁸ - Susser, *The Hashemities*, OP. Cit., P.78.

⁷⁹ - Hodgkin, *Two kings in Arabia*, OP. Cit., P.82.

⁸⁰ - Iqbal, *Emergency of Saudi Arabia*, OP. Cit., P.133.

^{٨١} - عبداللطيف الصياغ، بريطانيا ومشكلات الحدود بين السعودية وشرق الأردن، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٤٥.

⁸² - AL-Farsy, *Saudi Arabia*, OP. Cit., P.41.

ولعل السقوط السريع لمدينة الطائف وما ارتكب فيها من جرائم قد نشرت الخوف في أنحاء شبه الجزيرة العربية، وفي الوقت نفسه استتجد الشريف حسين بالحكومة البريطانية، إلا أنها اعتذرت عن إمداده بالمؤن والذخائر متذرة بعدم تدخلها في الأمور الدينية في المنطقة، ولكنها أبدت استعدادها بتوسيط قنصلها بين الطرفين إذا طلب منه ذلك. واكتفت بإرسال برقية إلى ابن سعود تحذره من التعرض لحياة الحجاج البريطانيين (الهنود)، أو عرقلة دخولهم إلى الأماكن المقدسة، ولم تشر البرقية البريطانية إلى كيفية التعامل مع الحسين أو مع أي حقوق له في الحجاز، واستتج ابن سعود من تلك البرقية أن بريطانيا قد تخلت عن الحسين، ويؤكد هذا الموقف التقارير البريطانية التي أشارت إلى أن ابن سعود يحلم هو الآخر كما يحلم الشريف حسين بإمبراطورية عربية يحكمها هو وخلفاؤه، لكن الحسين اعتمد - كما تشير تلك التقارير - على مرتزقة، في حين كان تحت إمرة ابن سعود قوات كبيرة يدفعها التعصب الديني إلى أشد أنواع التضحية بالنفس، كما تُشير التقارير إلى أن جزيرة العرب لم تكن متحدة، ولا يمكن أن تكون كذلك، وأن الحركة الحالية لابن سعود هي رد فعل طبيعي ضد الفكرة القومية، وأن تنازل الشريف حسين عن العرش سيسرع في تدهور الحركة العربية في شكلها الحاضر، وبذلك سوف يتيسر حل المسائل في العراق وسوريا وفلسطين، حسب خطوط تكون مقبولة على السواء للحلفاء والأهالي في تلك البلدان^(٨٣).

وبهذا فإن بريطانيا أعطت الضوء الأخضر إلى ابن سعود لكي يتقدم إلى مكة، وينهي الحكم الهاشمي في الحجاز؛ إذ إن بريطانيا اعتمدت على تحالف ابن سعود معها؛ فقد كانت رافضة لمطامع الملك حسين، وتمسكه بالعهود التي قطعها له إبان الاتصال معه قبل إقدامه على قيادة الثورة العربية ضد الدولة العثمانية؛ لذلك شجعت بريطانيا ابن سعود وأمدته بالمال والسلاح للقضاء على حكم الأشراف في الحجاز^(٨٤).

إن دخول الإخوان مدينة الطائف هو بداية لحكم السعوديين للحجاز، ونهاية حكم الأشراف فيها؛ حيث توالى الأحداث، وتنازل الحسين عن العرش لأكبر أبنائه

^{٨٣} - نجدة فتحي صفوة، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، مصدر سابق، ص ٢٨٢.

^{٨٤} - جلوب باشا، حياتي في المشرق العربي، ترجمة عبدالرحمن الشيخ، ط ١، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٢م، ص ١٨٩.

الأمير علي؛ بناء على طلب علماء وأعيان الحجاز^(٨٥) الذين ألحوا على الملك حسين بالتنازل عن العرش^(٨٦)، وقد اعتذر الأمير علي بن الحسين في البداية عن قبول البيعة بالملك بدلاً من والده؛ حفظاً لكرامة والده، فأرسل أهل مكة وأهل جدة إلى الحسين بن علي البرقية التالية: بما أن الشعب الحجازي بأجمعه واقع الآن في الفوضى العامة بعد فناء الجيش المدافع، وعجز الحكومة على المحافظة على الأرواح والأموال، وبما أن الحجاز بلاد مقدسة يعني أمره عموم المسلمين؛ لذلك فإن الأمة قررت نهائياً تنازل الشريف حسين، وتصيب ابنه الأمير علي ملكاً على الحجاز فقط، مقيداً بالدستور، شريطة أن ينزل على رأي المسلمين وأهل الحجاز في تحقيق آمالهم ورغائبهم في إصلاح شؤون البلاد المادية والمعنوية، وأن يكون للبلاد مجلسان: أحدهما نيابي وطني لإدارة الأمور الداخلية والخارجية، والآخر شوروي يتكون من أعضاء منتخبين من المسلمين على اختلاف بلادهم، مهمته الإرشاد والمساعدة على إصلاح الشؤون الداخلية والخارجية، والله الموفق لما فيه الصلاح^(٨٧).

وبعد مكاتبات متعددة بين الهيئة الحجازية التي تولت قضية تنازل الحسين عن العرش، تردد الحسين أولاً، ثم أبدى استعدادَه للتنازل عن العرش، لكنه اشترط أن يكون التنازل لأي من أولاده باستثناء الأمير علي^(٨٨)، غير أن الهيئة ردت عليه بالبرقية الآتية: (الحالة حرجة ولا وقت للمخابرات، فإن كنتم لا تتنازل للأمير علي فنسترحم بلسان الإنسانية أن تتنازلوا جلالتم حتى تتمكن الأمة من تشكيل حكومة مؤقتة حقناً لدماء الأبرياء من المسلمين، ويمكنها المخابرة مع من يرون طريقاً لنجاتهم، وليعينوا من شاوروا، وإذا تأخرتم في إجابة هذا الطلب فدماء المسلمين ملقاة على عاتقكم، والرجاء نزولكم على رأي الأمة). وفي نهاية الأمر قبلت الرسائل بموافقة

⁸⁵ - Suser, *The Hashemities*, OP. Cit, P.22.

⁸⁶ - أمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، دار الكاتب العربي، بيروت، (د.ت)، ص ١٥٥-١٥٦.

⁸⁷ - Iqbal, *Emergency of Saudi Arabia*, OP. Cit.p.139.

⁸⁸ - أمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، مصدر سابق، ص ١٥٦-١٥٧.

الملك حسين على طلب أهالي الحجاز بالتنازل عن العرش للأمير علي^(٨٩)، الذي وافق على الملكية الدستورية في ٤ أكتوبر من عام ١٩٢٤م^(٩٠).

وبعد أن أُجبر الشريف حسين بن علي على التنازل لابنه علي غادر إلى جدة، وانزوى فيها ستة أيام لا يقابل فيها أحداً، ثم أبحر بعدها إلى العقبة في ٨ يونيو من عام ١٩٢٤م^(٩١).

وغادر الملك الجديد علي بن الحسين مكة إلى جدة؛ لإدراكه أن قواته أضعف من أن تقاوم القوات السعودية، وفي اليوم نفسه دخلت القوات السعودية مكة، وفشلت جميع المفاوضات والوساطات التي قدمها الملك الجديد (علي) للصلح مع ابن سعود^(٩٢)، ورفضت بريطانيا الوساطة، وأعلنت ووقوفها على الحياد^(٩٣)، وقد كان من غير المأمول بقاء المملكة الهاشمية في الحجاز؛ لأن السعوديين شعروا أنهم أكثر قوة، وأن البريطانيين لا يريدون أن يفعلوا شيئاً لبقاء الهاشميين في الحجاز^(٩٤).

وبعد انسحاب الملك علي إلى جدة أصبح الطريق مفتوحاً أمام قوات ابن سعود إلى مكة، فدخلها في ١٦ أكتوبر من عام ١٩٢٤م، وتم تعيين خالد بن لؤي أميراً على مكة، وأعلنت الدول الإسلامية والأجنبية ووقوفها على الحياد في الحرب الدائرة، وركزت فقط على سلامة رعاياها في المنطقة^(٩٥). وعلى الرغم من المحاولات المتعددة لإجراء محادثات سلام بين الفريقين إلا أنها انتهت دون التوصل إلى أي اتفاق، حيث أصر ابن سعود على شروطه القديمة، وهي أن يتنازل الملك علي بن الحسين لأنه ضعيف، وواقع تحت تأثير وسيطرة والده الشريف حسين، وطالب بمغادرة الأشراف نهائياً عن الحجاز^(٩٦).

^{٨٩} - عبدالله الزين، الملك عبدالعزيز عبدالرحمن الفيصل السعود موحد الجزيرة العربية، منشورات ذات السلاسل، الكويت، (د.ت)، ص ١٩٦-١٩٧.

^{٩٠} - Iqbal, *Emergency of Saudi Arabia*, OP. Cit., P.184

^{٩١} - Hodgkin, *Two Kings in Arabi*, OP. Cit., P.104.

^{٩٢} - *Ibid*, P.98.

^{٩٣} - جورج أنطونيوس، بقطة العرب، تاريخ حركة العرب القومية، ط ٥، ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، (د.ن)، بيروت، ١٩٧٨م، ص ٤٥٦.

^{٩٤} - Susser, *The Hashemities*, OP.Cit., P.24.

^{٩٥} - أمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، مصدر سابق، ص ١٦٩-١٧٠.

^{٩٦} - Hodgkin, *Two Kings in Arabia*, OP. Cit., P.98.

وبدخول مكة وقع الملك علي والسلطان عبدالعزيز بن سعود شروط التسليم بعد أن أصر ابن سعود على الحرب، وعلى إثر ذلك توقيع شروط التسليم في ٢٢ ديسمبر من عام ١٩٢٥م^(٩٧) غادر الملك علي جدة متجهاً إلى البصرة على متن بارجة بريطانية، لينزل بجوار أخيه الملك فيصل بن الحسين في بغداد^(٩٨).

وبعد وصول الحسين إلى العقبة بعد تنازله عن العرش، أخذ بالتعاون مع نجله الأمير عبدالله أمير شرق الأردن، بجمع المتطوعين من أبناء فلسطين وشرق الأردن، وإمدادهم بالمال والسلاح، وإرسالهم إلى الحجاز^(٩٩) لدعم الملك علي، إلا أن ابن سعود هدد باحتلال معان والعقبة إذا ما استمر الحسين وأمير شرق الأردن بتلك التصرفات التي من شأنها أن تطيل أمد الحرب في الحجاز، ورداً على ذلك، قررت الحكومة البريطانية ضم معان والعقبة لشرق الأردن، وقامت بنفي الملك الحسين بن علي إلى قبرص، كما عملت بريطانيا على تسوية مشاكل ابن سعود مع الهاشميين في العراق والأردن؛ حيث عملت على عقد اتفاقية (بحرة) في ١ نوفمبر من عام ١٩٢٥م، التي تناولت الحدود العراقية مع نجد، واتفاقية (جدة) في ٢ نوفمبر من عام ١٩٢٥م، التي عالجت مشاكل الحدود النجدية الأردنية^(١٠٠).

خاتمة البحث:

مثل الصراع بين إمارة آل سعود في نجد، وإمارة الأشراف الهاشميين في الحجاز أهم حلقات الصراع في شبه الجزيرة العربية في الربع الأول من القرن العشرين، وقد كان للسياسة البريطانية الدور الحاسم والأهم في تحديد مسار ذلك الصراع وتناججه، وقد عرض البحث لتلك الأحداث وخلص إلى:

- اتخذ الصراع بين الطرفين طابع الحذر وجس النبض منذ عام ١٩٠٨م، وحتى اندلاع الحرب العالمية الأولى.

⁹⁷ - Al-Farsy, Saudi Arabia, OP. Cit., P.41

^{٩٨} - جورج أنطونينوس، يقظة العرب، مصدر سابق، ص ٤٥٦.

^{٩٩} - أمين الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص ٣٥١-٣٥٢.

^{١٠٠} - جورج أنطونينوس، يقظة العرب، مصدر سابق، ص ٤٦٢.

- قامت الإستراتيجية البريطانية على أساس احتواء الطرفين بهدف كسبهما إلى صفها في الحرب ضد الدولة العثمانية، ولتحقيق هذا استغلت طموح الشريف الحسين، والأمير عبد العزيز بن سعود في التوسع والحكم.
- تفاوضت بريطانيا مع كل طرف على حدة دون علم الآخر.
- اتسمت السياسة البريطانية حول الصراع الهاشمي السعودي في الحجاز بالتباين بين وزارة الخارجية البريطانية عن طريق المكتب العربي في القاهرة الذي دعم الشريف حسين، وحكومة الهند البريطانية التي كانت تدعم الأمير عبدالعزيز بن سعود خلال فترة الحرب العالمية الأولى وحتى عام 1924م. ضبقت بريطانيا الصراع بين الطرفين، وأبقت على أسبابه وجذوره.
- منذ اندلاع الحرب العالمية الأولى وحتى عام 1918م كانت الكفة في الصراع تميل لصالح الشريف حسين؛ لأن دوره في الحرب ضد الدولة العثمانية كان الأهم، ومع ذلك لم تتعامل معه سوى أنه ملك للحجاز فقط، ولم تعترف به ملكاً للعرب وكان قد أعلن نفسه ملكاً عام 1916م.
- منذ عام 1919م وحتى عام 1924م بدأت موازين القوى تتحول لصالح عبدالعزيز بن سعود؛ نتيجة دعم بريطانيا له، وتخليها التدريجي عن الشريف حسين.
- إن سيطرة عبد العزيز بن سعود على الحجاز في عام 1925م كان بدعم بريطانيا التي تخلت عن الشريف الحسين، واكتفت بضم معان والعقبة إلى إمارة شرق الأردن.

المصادر والمراجع :

وثائق وزارة الخارجية البريطانية:

1. F. O. 371/2782/22/0339, Dated 6 Nov. 1916.

2. F. O. 371/4146 [91521], Dated 24 Jun, 1919, Ruling Families of Saudi Arabia, vol. I.
3. F. O. 382/13 Dated 6 Nov., 1916; Ruling Families of Saudi Arabia, vol. I.
4. F.O.636/7/ Dated 16 Jun. 1919, Ruling Families of Saudi Arabia, vol, I.

المصادر والمراجع العربية:

١. أحمد بن زيني دحلان، أمراء البلد الحرام منذ أولهم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى الشريف حسين بن علي، ط٤، دار المتحدة للنشر والتوزيع، بيروت، (د.ت).
٢. أحمد السباعي، أمراء مكة المكرمة، ج١، ط٧، (د.ن)، مكة، ١٩٩٤م.
٣. أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، مج٧، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٥م.
٤. أحمد عسة، معجزة فوق الرمال، ط٣، المطبعة الأهلية اللبنانية، (د.م)، ١٩٧١م.
٥. أمين الريحاني، تاريخ نجد وملحقاته وسيرة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل الفيصل وآل سعود، ط٥، (د.ن)، الرياض، ١٩٨١م.
٦. أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى (تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن)، مج٣، (د.ن)، القاهرة، (د.ت)، صص ١٣٧- ١٣٨.
٧. ملوك المسلمين المعاصرين ودولهم، (د.ن)، القاهرة، (د.ت).
٨. تاريخ الدولة السعودية، دار الكاتب العربي، بيروت، (د.ت).
٩. بنوا ميشان، عبد العزيز آل سعود، سيرة بطل ومولد مملكة، ترجمة عبد الفتاح ياسين، (د.ن)، بيروت، (د.ت).
١٠. إيف بيسون، ابن سعود ملك الصحراء، ترجمة عبدالله الدليمي، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، ١٩٩٩م.
١١. جلوب باشا، حياتي في المشرق العربي، ترجمة عبدالرحمن الشيخ، ط١، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٢م.
١٢. جورج أنطونيوس، يقظة العرب، تاريخ حركة العرب القومية، ط٥، ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، (د.ن)، بيروت، ١٩٧٨م.

١٣. جوزيف كوستتر، العربية السعودية (١٩١٦ - ١٩٣٦م) من القبيلة إلى الملكية، ترجمة شاكر إبراهيم، (دن)، القاهرة، ١٩٩٦م.
١٤. حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، ط٤، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦١م.
١٥. سعود بن هذلول، تاريخ ملوك ال سعود، ط١، (دن)، الرياض، ١٩٦١م.
١٦. سليمان موسى، الحركة العربية في سير المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة، ط١، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٠م.
١٧. عبدالله بن الحسين، مذكراتي، الدار الأهلية للنشر، مكتبة برهومة، عمان، ١٩٨٩م.
١٨. عبد الله الصالح العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج٢، ط٢، (دن)، الرياض، ١٩٩٧م.
١٩. عبدالله المزين، الملك عبدالعزيز عبدالرحمن الفيصل السعود موحد الجزيرة العربية، منشورات ذات السلاسل، الكويت، (د.ت).
٢٠. عبداللطيف الصباغ، بريطانيا ومشكلات الحدود بين السعودية وشرق الأردن، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩م.
٢١. عثمان بن عبد الله بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، ج١، تحقيق عبدالرحمن آل الشيخ، ط٢، وزارة المعارف السعودية، ١٣٩١هـ.
٢٢. علي محافظة، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، (١٩١٩-١٩٤٥م)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٥م.
٢٣. عمر الحضرمي، العلاقات الأردنية - السعودية، دار مجد لاوى، عمان، ٢٠٠٣م.
٢٤. فان در مولين، الملك ابن سعود والجزيرة العربية الناهضة، دار الملك عبد العزيز، الرياض، ١٩٩٩م.
٢٥. فتحى العفيفي، مشكلات الحدود السياسية لشبه الجزيرة العربية، ط٢، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٨م.
٢٦. فهد بن عبد الله السماري، موسوعة تاريخ الملك عبد العزيز الدبلوماسي، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ١٩٩٩م.

٢٧. قدري قلعجي، الخليج العربي، دار الكاتب العربي، بيروت، ١٩٦٥م.
٢٨. محمد حسين العقبي، التنافس الإنجليزي - الفرنسي في شبه الجزيرة العربية في القرن التاسع عشر، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة الأزهر، القاهرة، ١٩٧٩م.
٢٩. محمد سالم العليوات، علاقات عبد العزيز آل سعود بالقوى المتواجدة في نجد والخليج العربي ١٩٠٢ - ١٩٢٢م، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ١٩٩٦م.
٣٠. محمد طارق مرزوقة، العلاقات السعودية البريطانية خلال الفترة ١٩٠٢-١٩٥٣م، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ٢٠٠١م.
٣١. محمد عبد الله ماضي، النهضة الحديثة في جزيرة العرب، ج ١، ط ٢، دار إحياء الكتب العربية، الرياض، ١٩٥٢م.
٣٢. محمد عدنان مراد، بريطانيا والعرب، تاريخ الاستعمار البريطاني في الوطن العربي، ط ١، دار طلاس للنشر، دمشق، ١٩٨٩م.
٣٣. مديحة درويش، تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين، ط ١، (د.ن)، جدة، ١٩٨٠م.
٣٤. مصطفى النحاس، آل سعود في الجزيرة العربية من القبيلة إلى الدولة، ط ١، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٨٦م.
٣٥. نجدة فتحي صفوة، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، مج ٤، ط ١، (د.ن)، (د.م)، ١٩١٦م.
٣٦. يونان لبيب رزق، موقف بريطانيا من الوحدة العربية ١٩١٩-١٩٤٥م دراسة وثائقية، ط ٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩م.

المصادر والمراجع الأجنبية:

1. AL-JAZairi, M. Z. A Diplomatic History Of Saudi Arabia (1924-1964), University Microfilms, 1970.
2. Asher, Susser, The Hashemites in the Modern Arab World, Frank Cass, London, 1995.

3. Fouad, AL-Farsy, Saudi Arabia, a case Study in Development, London, 1978.
4. John, Philby, Saudi Arabia, First Published, London, 1955.
5. Hodgkin, E.C., Two King in Arabia, Letters form Jedah 1923-1925 and 1936-1939, Reader Buillard, Ithaca Press, 1993.
6. Mohamad, Iqbal, Emergency of Saudi Arabia, (a Political Study of King Abu – Al- Aziiz Ibn Saud 1901-1953), Mohamad Iqbal – Sadiyah, Publishers, India, 1St ed, 1977.
7. Robert, Lacey, The Kingdom, Harcourt Brace Jovanich Publishers, New York, 1981.

مفهوم الإيمان بين أهل السنة والجماعة والشيعة الاثنا عشرية

د.يوسف محمد يحيى المحمادي

عضو الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والمذاهب

عضو تدريس متعاون بجامعة أم القرى



جامعة الأندلس
للعلوم والتكنولوجيا

Alandalus University For Science & Technology

(AUST)

مفهوم الإيمان بين أهل السنة والجماعة والشيعة الاثنا عشرية

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد :

فإن مسألة الإيمان من مسائل العقيدة الجليلة ، ومن أوائل المسائل التي وقع فيها الخلاف ، ومما يدل على أهمية التصور الصحيح لها ما يترتب عليها من أحكام ومسائل عملية ، عبر عنها العلماء بمسائل «الأسماء والأحكام» ، بمعنى: اسم العبد في الدنيا هو هل مؤمن أو كافر أو ناقص الإيمان..؟ وحكمه في الآخرة أمن أهل الجنة هو أم من أهل النار ، أم ممن يدخل النار ثم يخرج منها ويُخلد في الجنة؟ ولإدراك علماء أهل السنة والجماعة أهمية هذه المسألة صنّفوا فيها المصنفات ، وعدوها من مباحث العقيدة الكبار .

وقد انحرف كثير من أهل الأهواء والبدع عن القول الصواب في مفهوم الإيمان ، فكانوا بين غالٍ متشدد ومفرط مرجي متساهل ، ومن بين هؤلاء المنحرفين الشيعة الاثنا عشرية ، فأدخلوا في مسمى الإيمان ما ليس منه ، وقد جاء قولهم مضطرباً بين المرجئة والوعيدية ، متأثراً بما أصلوه من عقائد حاكموا الناس عليها ، فمن وافقهم صار مؤمناً موحداً ، ومن خالفهم صار من المستحقين للوعيد ، ووصفوه بأوصاف تصل إلى حد التكفير والبدعة المغلظة .

لذا جاء هذا البحث ليكشف عن قولهم وأدلتهم التي استدلوا بها دراسة نقدية ، تحت عنوان: مفهوم الإيمان بين أهل السنة والجماعة والشيعة الاثنا عشرية؛ جعلته في تمهيد وثلاثة مباحث :

التمهيد : وفيه التعريف بأهل السنة والجماعة ، وبالشيعة الاثنا عشرية .

المبحث الأول: بيان مفهوم الإيمان عند أهل السنة والجماعة وأدلتهم عليه .

المبحث الثاني: مفهوم الإيمان عند الشيعة الاثنا عشرية وأدلتهم عليه .

المبحث الثالث: نقض مخالفات الشيعة الاثنا عشرية في الإيمان.

وختمت البحث بخاتمة وفيها أبرز النتائج وأهم التوصيات.

وقد قمت بعزو الآيات والأحاديث النبوية، وتوثيق النقول من مصادرها، وعمل

الفهارس اللازمة.

سائلاً الله أن يتقبله، وأن ينفع به. وصلى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله

وصحبه أجمعين.

أولاً: التعريف بأهل السنة والجماعة:

السنة في اللغة: السيرة والطريقة، حميدة كانت أو ذميمة^(١). ومنه قول النبي ﷺ: ((

لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع...))^(٢). وسنن الذين من قبلنا الواردة

هنا بمعنى: طريقته^(٣).

والسنة في المفهوم العقدي عند علماء السلف: هي ما وافق الكتاب والسنة وإجماع

السلف من الاعتقادات والعبادات، وتقابلها بهذا المعنى البدعة^(٤).

وهي مراد ابن مسعود رضي الله عنه في قوله: ((القصد في السنة خير من الاجتهاد في

البدعة))^(٥).

يقال: فلان من أهل السنة، معناه: من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة، كما قال

الحافظ ابن رجب -رحمه الله -: ((والسنة هي الطريق المسلوك فيشمل ذلك

التمسك بما كان عليه صلى الله عليه وسلم هو وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال،

وهذه هي السنة الكاملة؛ ولهذا كان السلف قديماً لا يطلقون اسم السنة إلا على ما

يشمل ذلك كله))^(٦).

(١) انظر: مقاييس اللغة (١٢٠/٣)، لسان العرب (٨٩/١٧).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل ص (٥٨٠) ح (٣٤٥٦)، ومسلم كتاب: العلم، باب: اتباع سنننا للهود

والنصارى ص (١١٦٢) ح (٦٧٨١).

(٣) انظر: شرح النووي على مسلم (٢١٩/١٦).

(٤) انظر: الموافقات (٣/٤).

(٥) أخرجه الدارمي في سننه (٨٣/١) ح (٢٢٣)، والمروزي في السنة برقم ٨٨ ص ٣٠، واللالكاني في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ج ١ (٦٢٦١/١).

(٦) جامع العلوم والحكم (١٢٠/٢)، وانظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للألكاني (١٦٤٠١٥٥/١).

والجماعة لغة: من الاجتماع، وضدها التفرق، والجماعة هم القوم الذين اجتمعوا على أمر ما، والعدد الكثير من الناس، والطائفة من الناس يجمعها غرض واحد.^(٧)

ويطلق لقب أهل السنة والجماعة: على المستمسكين بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ المجتمعين عليها، من الصحابة والتابعين، وأئمة الهدى المتبعين لهم، ومن سلك سبيلهم في الاعتقاد والقول والعمل إلى يوم الدين، الذين استقاموا على الاتباع، وجانبوا الابتداع في أي مكان وزمان، وهم باقون منصورون إلى يوم القيامة.^(٨)

ويعد نشوء الفرق ووجود من لا يأخذ بالسنة الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ، جعل بعض العلماء لمصطلح أهل السنة والجماعة إطلاقين :

إطلاق عام: يدخل فيه جميع أهل الإسلام عدا الرافضة . فيقال هذا سني في مقابل الرافضي، وهذا الاصطلاح مشتهر عند العامة؛ لأن الرافضة هم المشهورون عندهم بمخالفة السنة، فإذا قال أحدهم: أنا سني فإنما يقصد بذلك أنه ليس رافضياً.^(٩)

وإطلاق خاص: ويقصد بهم أهل السنة المحضة الخالصة من البدع، ويخرج بذلك سائر أهل الأهواء والبدع.

وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - هذين الإطلاقين لأهل السنة بقوله: ((فلفظ أهل السنة يراد به من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة، فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة، وقد يراد به أهل الحديث والسنة المحضة فلا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعالى، ويقول إن القرآن غير مخلوق، وإن الله يرى في الآخرة، ويثبت القدر وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسنة))^(١٠).

ثانياً: التعريف بالشيعة الاثنا عشرية:

الشيعة في اللغة: أتباع الرجل وأنصاره وأعوانه ومن يرى رأيه، والقوم إذا اجتمعوا على أمر.^(١١)

(٧) انظر: لسان العرب (٥٣/٨). القاموس المحيط ص ٩١٧.

(٨) انظر: مجموع الفتاوى (٣٧٥/٣). مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة. د. ناصر العقل ص ٩.

(٩) انظر: مجموع الفتاوى (٣٥٦/٣).

(١٠) منهاج السنة النبوية (١٣٢/٢). وانظر: وتناقض أهل الأهواء والبدع في العقيدة (٢٣٢١/١). وسطية أهل السنة بين الفرق ص ٥٢-٥٣.

(١١) انظر: جمهرة اللغة (٦٣/٣).

وفي الاصطلاح: هم الذين شايعوا علياً عليه السلام وقدموه على سائر أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، وقالوا بإمامته نصاً ووصية، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده^(١٢).

وقد بدأ التشيع يظهر جلياً بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، وتحديدًا في موقعة صفين سنة ٣٧هـ، لكن التشيع كفكر وعقيدة مرّ بمراحل عدة، وأصل نشأتها على يد (السبئية) أتباع عبد الله بن سبأ الذين ادّعوا إمامة علي رضي الله عنه بالنص، وقالوا بالغيبة والرجعة.

وفي اصطلاح الإمامية الاثني عشرية: هم شيعة علي بن أبي طالب. المنقطعين إليه القائلين بإمامته^(١٣).

الشيعة الاثنا عشرية: نعت يطلق على الشيعة الإمامية القائلة باثني عشر إماما تعينهم بأسمائهم، ودعواهم أن الإمام المنتظر هو الثاني عشر من نسبه إلى علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -^(١٤).

وظهور هذا الاسم كان بعد وفاة الحسن العسكري (سنة ٢٦٠هـ) حيث إنه: ((قبل وفاة الحسن لم يكن أحد يقول بإمامة المنتظر إمامهم الثاني عشر، ولا عرف من زمن علي ودولة بني أمية أحد ادعى إمامة الاثني عشر))^(١٥).

ومن ألقاب الشيعة الاثنا عشرية:

- ١) القطعية: لأنهم قطعوا على موت موسى بن جعفر الصادق^(١٦).
- ٢) الرافضة: ذهب جمع من العلماء إلى إطلاق اسم الرافضة على الاثني عشرية، وأطلق عليهم من باب الذم، لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر^(١٧) وقيل لرفضهم زيد

(١٢) الملل والنحل (١/١٦٩).

(١٣) انظر: المقالات والفرق للقي ص٣، فرق الشيعة للنويختي ص٢٠.

(١٤) انظر: الفرق بين الفرق ص٦٤. اثنا عشرية وأهل البيت لحمد جواد مغنية ص١٥.

(١٥) منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤/٢٠٩).

(١٦) انظر: المقالات والفرق للقي ص٨٩، مقالات الإسلاميين للأشعري (١/٩٠)، الملل والنحل للشهرستاني (١/١٦٩).

(١٧) انظر: مقالات الإسلاميين: ٨٩/١، الملل والنحل للشهرستاني ١٥٥/١، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص٧٧، المنية والأمل لابن المرتضى ص٢١.

بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لما خرج بالكوفة أيام هشام بن عبد الملك^(١٨).

(٣) الجعفرية: نسبة إلى جعفر الصادق إمامهم السادس - كما يزعمون - وهو من باب التسمية للعام باسم الخاص. كان يطلق على الإسماعيلية والاثني عشرية؛ لأن الافتراق بين الطائفتين تم بعد وفاة جعفر^(١٩).

وللشيعة الاثنا عشرية أصولٌ يقوم عليها معتقدتهم، وهي :

(١) الإمامة: وهي عندهم منصب إلهي كالنبوة، ومن أكد أركان الإيمان، وأهم مطالب الدين، ويزعمون أنها ثبتت بالوصية لعلي بن أبي طالب ﷺ، ثم لذريته من بعده، وانتفقوا على إمامة علي ثم الحسن ثم الحسين ﷺ، واختلفوا في الأئمة بعدهم، وسيأتي مزيد بيان لموقفهم من هذا الأصل في مفهوم الإيمان عندهم.

(٢) عصمة الأئمة: وهي اعتقادهم عصمة أئمتهم من سائر الذنوب صغيرها وكبيرها، فلا تقع منهم الذنوب ولو نسياناً.

(٣) التقية: ويعنون بها كتمان الحق، وستر الاعتقاد فيه، وكتمان المخالفين، وترك مظاهرتهم بما يعقب ضرراً في الدين أو الدنيا .

(٤) الغيبة: تعتقد غالب الطوائف الشيعية بالغيبة، ويقصدون به إمام غاب عن العالم وعن الأنظار حتى يأذن الله له بالظهور ليملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً^(٢٠).

ولهم عقائد أخرى باطلة: كاعتقادهم بتحريف القرآن، وردة الصحابة إلا سبعة منهم، - على أحد الأقوال -، والقول بالرجعة - أي رجعة الأئمة إلى الظهور بعد مماتهم -، ويقولون بالبداة على الله ﷻ، أي أن الله تعالى يحدث له رأي جديد لم

(١٨) نقل هذا الرأي شيخ الإسلام ابن تيمية في مهاج السنة (١٣٠/٢). ولا تعارض بينه وبين أصحاب القول الأول إذ أن رفضهم لزيد لما أظهر مقالته في الشيخين . انظر: البداية والنهاية(٣٢٩/٩)، وشذرات الذهب(١٥٨/١)، أصول المذهب الرافضي (٨٦/٢) .

(١٩) انظر: أصول الكافي (٧٧/٢)، اعتقادات فرق المسلمين للرازي ص ٨٤.

(٢٠) انظر: مقالات الإسلاميين ص ١٦، الفرق بين الفرق ص ٣٩، التبصير في الدين ص ٣٤، المقالات والفرق لسعد القمي ص ٧٨، فرق الشيعة للنوبختي ص ٦٢، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ص ٢٠٣، أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد للفقاري الباب الثالث في أصولهم ومعتقداتهم، فرق معاصرة (٤٠/١) .

يكن من قبل، وليس المقام هنا للرد وبيان زيغ هذه العقائد. وقد صُنِّفَت العديد من المصنفات، وألُفَت الرسائل في ذلك^(٢١).

المبحث الأول: تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة

المجمع عليه عند أهل السنة والجماعة أن الإيمان إقرار باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. ومع هذا الإجماع والاتفاق منهم في مفهوم الإيمان، فقد تنوعت عباراتهم في تعريفه فتارة يقولون: هو قول وعمل، وتارة يقولون: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية، وتارة يقولون: قول وعمل ونية واتباع السنة، ولا إشكال في هذا التنوع ما دام المدلول من الأقوال واحداً، فيعد من اختلاف التنوع لا التضاد، وكل ما ورد عنهم صحيح، وأقوالهم كثيرة جداً، نكتفي بما يحصل به المقصود هنا فمن ذلك:

ما جاء عن الإمام البخاري -رحمه الله- «كتبْتُ عن ألف نفر من العلماء وزيادة، ولم أكتب إلا عن من قال: الإيمان قول وعمل»^(٢٢).

وقول الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله-: «الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص»^(٢٣).

وعقد الإمام الآجري -رحمه الله- باباً في كتابه «الشرعية» عنوانه بقوله: «باب القول بأن الإيمان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، ولا يكون مؤمناً إلا أن يجتمع فيه هذه الخصال الثلاث»^(٢٤).

وقال أبو عثمان الصابوني -رحمه الله-: «من مذهب أهل الحديث: أن الإيمان قول وعمل ومعرفة، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية»^(٢٥).

وقال الإمام البغوي -رحمه الله-: «اتفقت الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان.. وقالوا إن الإيمان قول وعمل وعقيدة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية»^(٢٦).

(٢١) كأصول الشيعة د. ناصر القفاري، ودراسة عن الفرق د. أحمد جلي، وفرق معاصرة د. غالب عواجي، وغيرها.

(٢٢) السنة للإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل (٣٠٧/١).

(٢٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للألكاني (٩٥٩/٥).

(٢٤) الشريعة للأجري ص ١١٩.

(٢٥) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص ٢٦٤.

(٢٦) شرح السنة (٣٨٠٣٩/١).

فيتضح من خلال هذه النقول اتفاق السلف وإجماعهم على مفهوم الإيمان وأنه قول واعتقاد وعمل يزيد وينقص. فالعمل عندهم جزء من الإيمان خلافاً للمرجئة الذين أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان، وهذا القول مستمد من نصوص الكتاب والسنة المتواترة، فمما دل على أن تصديق القلب من الإيمان قول الله تعالى: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ (المجادلة: ٢٢) وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ (المائدة: ٤١).

ومن الأدلة على أن الإيمان إقرار باللسان قول الله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ (البقرة: ١٣٦). وقوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ (العنكبوت: ٤٦).
ومن الأدلة الدالة على أن الإيمان عمل بالجوارح ما يلي:

تسميته الله تعالى للصلاة بالإيمان كما في قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة: ١٤٣). وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الْإِيمَانُ أَن يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (العنكبوت ٣-١).

وتصريح الله عز وجل في العديد من الآيات افتتان الأعمال الصالحة بالإيمان مما يدل على أنها جزء منه، منها قوله تبارك وتعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (البقرة: ٢٥).

وإطلاقه تعالى على كثير من الأعمال البدنية والمالية إيماناً، كما في قوله سبحانه وتعالى في أول سورة الأنفال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤-٢). (الأنفال: ٢-٤).

وأما الأدلة من السنة النبوية على أن الأعمال من الإيمان فمن أشهرها :

حديث شعب الإيمان الذي قال فيه النبي ﷺ: «الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»^(٢٧).

وقول النبي ﷺ لوفد عبد القيس: «أمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تؤدوا الخمس من المغنم»^(٢٨). وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن»^(٢٩).

علق عليه الحافظ ابن رجب بقوله: «فلولا أن ترك هذه الكبائر من الإيمان، لما انتفى اسم الإيمان عن مرتكب شيء منها، لأن الاسم لا ينتفي إلا بانتفاء بعض أركان المسمى أو واجباته»^(٣٠).

المبحث الثاني: مفهوم الإيمان عند الشيعة الاثنا عشرية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أقوال الشيعة الاثنا عشرية في الإيمان وأدلتهم.

المطلب الثاني: الرد على الشيعة الاثنا عشرية في قولهم في الإيمان.

المطلب الأول: أقوال الشيعة الاثنا عشرية في الإيمان وأدلتهم

جمع الشيعة الاثنا عشرية في مسألة الإيمان بين قول الوعيدية المعتزلة وقول المرجئة، وذلك لكونهم جعلوا الإيمان يقوم على الإيمان والإقرار بولاية علي - رضي الله عنه - والأئمة من بعده، وحبهم، فمن عرفهم وأقر بهم وحبهم أصبح مؤمناً ولو ترك العمل.

(٢٧) أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان. باب: أمور الإيمان ص(٥) ح(٩). ومسلم في كتاب: الإيمان. باب: عدد شعب الإيمان» ص(٣٨) ح(١٥٢).

(٢٨) أخرجه البخاري كتاب: الإيمان. باب: أداء الخمس من الإيمان ص(١٢) ح(٥٣).

(٢٩) أخرجه البخاري كتاب: الأثنية باب: قول الله تعالى: (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام) ص(٩٩١) ح(٥٥٧٨). ومسلم كتاب الإيمان. باب: بيان

نقصان الإيمان بالمعاصي ص(٤٥) ح(٢٠٢).

(٣٠) جامع العلوم والحكم (١٠/٥١).

وهذا هو صريح قول أئمتهم، كالكليني الذي عقد باباً بعنوان: ((باب أن الإيمان لا يضر معه سيئة، والكفر لا ينفع معه حسنة))^(٣١)، وذكر فيه أحاديث منها قول أبي عبد الله: ((الإيمان لا يضر معه عمل، وكذلك الكفر لا ينفع معه عمل))^(٣٢). وكذلك المجلسي يصرح بأن الولاية كافية للأمان من النار، وعقد لذلك باباً عنوانه بقوله: ((باب ثواب حبهم وولائتهم وأنهم أمان من النار))^(٣٣).

الحاصل هنا أن مما أثار في مفهوم الإيمان عند الشيعة الاثنا عشرية هو إدخالهم ركن الولاية ضمن أركان الإيمان وفي مسمى الإيمان^(٣٤). وهذا ما صرحوا به كما جاء في أصول الكافي في باب دعائم الإسلام: عن أبي جعفر عليه السلام: قال: بني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية. وعن سيدنا محمد الباقر عليه السلام: بني الإسلام على خمس: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان، والولاية لنا أهل البيت، فجعل في أربع منها رخصة ولم يجعل في الولاية رخصة.

وقول ابن المطهر الحلي: ((إن مسألة الإمامة (إمامة الاثني عشر) هي أحد أركان الإيمان المستحق بسببه الخلود في الجنان والتخلص من غضب الرحمن))^(٣٥).

وقول محمد جواد العاملي: ((الإيمان عندنا إنما يتحقق بالاعتراف بإمامة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، إلا من مات في عهد أحدهم فلا يشترط في إيمانه إلا معرفة إمام زمانه ومن قبله))^(٣٦).

بهذا يتبين موافقة الشيعة الاثنا عشرية وافقوا المرجئة في تأخير العمل عن مسمى الإيمان^(٣٧)، وهذا فيهم وافقهم في الإقرار بالولاية لعلي والأئمة من ذريته بعده.

أما موقفهم مع من خالفهم في أصل الولاية فوعيدية: يوجهون إليه الوعيد بالنار والتكفير، ويسمونه مبتدعاً، وهذا في حق كل من خالفهم في أصل الولاية. وقالوا:

(٣١) أصول الكافي (٤٦٣/٢).

(٣٢) أصول الكافي (٤٦٤/٢).

(٣٣) بحار أنوار (١٤٤-٧٣/٢٧).

(٣٤) انظر: مقالات الإسلاميين (١٢٥/١).

(٣٥) منهاج الكرامة في معرفة الإمامة ص ١.

(٣٦) مفتاح الكرامة (٨٠/٢).

(٣٧) انظر: مقالات الإسلاميين ٢١٣/١-٢٣٤، الملل والنحل: ١٣٩-١٤٦، الفرق بين الفرق ص ٢٠٠-٢٠١، التنبيه والرد ص ٤٣.

بخلود أصحاب الكبائر من الموحدين في النار، متفقين مع المعتزلة، كما ذكر الأشعري بأنهم: ((يثبتون الوعيد على مخالفيهم ويقولون: إنهم يعذبون، ولا يقولون بإثبات الوعيد في من قال بقولهم))^(٣٨).

وقال المفيد - من أئمة الشيعة الاثنا عشرية ت(٤١٣هـ) -: ((اتفقت الإمامية على أن الوعيد بالخلود في النار متوجه إلى الكفار خاصة دون مرتكبي الذنوب من أهل المعرفة بالله تعالى والإقرار بفرائضه من أهل الصلاة))^(٣٩). ويقول في تكفيرهم لأصحاب البدع: ((اتفقت الإمامية على أن أصحاب البدع كلهم كفار، وأن على الإمام أن يستتيعهم عند التمكن بعد الدعوة لهم وإقامة البيئات عليهم فإن تابوا عن بدعهم وصاروا إلى الصوار وإلا قتلهم لردتهم عن الإيمان، وأن من مات منهم على تلك البدعة فهو من أهل النار))^(٤٠).

ومما يستدل به الشيعة الاثنا عشرية في قولهم بأصل الولاية وأنها أهم أركان الإسلام ما يلي:

(١) استدلالهم بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١٣) فَإِنَّ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿البقرة ١٣٦-١٣٧﴾.

رووا في تفسيرها عن أبي جعفر أنه قال: ((إنما عني بذلك علياً، والحسن، والحسين، وفاطمة. وجرت بعدهم في الأئمة. قال: ثم يرجع القول من الله في الناس فقال: فَإِنَّ آمَنُوا عني الناس بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ يعني علياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من بعدهم، فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ))^(٤١).

(٢) ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ﴾^(٥٥). وهذه الآية يطلق عليها الشيعة آية الولاية - بكسر الواو- ، ويفسرونها

(٣٨) مقالات الإسلاميين (١٢٦/١).

(٣٩) أوائل المقالات ص ١٤.

(٤٠) أوائل المقالات ص ١٦. وانظر: أصول المذهب الرافضي للفقاري (٩٧/٢).

(٤١) تفسير العياشي (٦٢/١)، تفسير الصافي (٩٢/١).

بولاية علي -رضي الله عنه - وآله من الأئمة، وأوردوا فيها الروايات، من ما نقله الكليني: ((عن أبي عبد الله عليه الصلاة والسلام في قول الله عز وجل تعالى: إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، قال: إنما يعني أولى بكم، أي أحق بكم، وبأموركم، وأنفسكم، وأموالكم الله ورسوله، وَالَّذِينَ آمَنُوا، يعني علياً وأولاده الأئمة عليهم السلام، إلى يوم القيامة))^(٤٢)

المطلب الثاني: الرد على الشيعة الاثنا عشرية في قولهم في الإيمان

تبيين من خلال عرض أقوال وأدلة الشيعة الاثنا عشرية في الإيمان أن السبب الرئيسي والعامل المؤثر فيما ذهبوا إليه هو إدخالهم الولاية في مسمى الإيمان وأركانها، والرد عليهم من وجوه متعددة منها:

الوجه الأول:

أن يقال كيف يمكن أن يقبل قولهم في الولاية وأن تكون بهذه المنزلة التي ذكروها ولم يرد فيها نص صريح من كتاب أو سنة، وكل ما ذكره واستدلوا به فهو إما أنه استدلال خاطي في غير موضعه مخالف للتأويل الصحيح والمعنى المراد له، أو أنه لم يصح أصلاً. وفي المقابل فإن جميع أصول الدين وأركان الإسلام تواترت فيها الأدلة الصريحة، وهذا واضح لكل مسلم يقرأ القرآن الكريم والسنة النبوية.

الوجه الثاني:

أن الآية التي يتمسك به هؤلاء الروافض ويسمونها بآية الولاية إنما نزلت في عبادة بن الصامت حين تبرأ من حلفه السابق مع اليهود لما أعلن اليهود الحرب عليه. كما روى ابن جرير أنها نزلت في عبادة بن الصامت لما حاربت بنو قينقاع رسول الله فمشى إليهم عبادة إلى رسول الله وكان أحد بني عوف بن الخزرج فخلصهم إلى رسول الله وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم وقال: أتولى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف الكفار وولايتهم.^(٤٣)

(٤٢) أصول الكافي (٢٨٨/١).

(٤٣) تفسير الطبري (٢٨٨/٦) وتفسير ابن كثير (٧١/٢).

الوجه الثالث:

أنهم يكونون بقولهم في الولاية قد أتوا بتشريع جديد لم يأذن به الله، فالدين كما هو معلوم قد كمل كما قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمْتَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).

الوجه الرابع:

بما ذكره شيخ الإسلام من أنه: ((إذا كانت السيئات لا تضر مع حب علي، فلا حاجة إلى الإمام المعصوم الذي هو لطف في التكليف، فإنه إذا لم يوجد إنما توجد سيئات ومعاص، فإذا كان حب علي كافياً فسواء وجد الإمام أو لم يوجد))^(٤٤).

الوجه الخامس:

وقوعهم في التناقض، حيث جمعوا بين المتناقضين في قولهم بقول المرجئة في موافقيهم في الإقرار بالولاية حتى لو وقعوا في الكبائر، وبقول الوعيدية في مخالفيهم، وهذا مع ما فيه من تناقض بعيد عن العدل الذي أمر الله تعالى به، فموافقهم مؤمن مستكمل الإيمان ولو اقترف الكبائر، ومخالفيهم ولو أتى بكل المأمورات وخالف في الولاية فيعدونه كافرًا من أهل البدع. وهذا القول المبتدع من الروافض في الإمامة كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((لا يوافقهم أحد عليه من أهل السنة))^(٤٥)

الخاتمة :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وسيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد :

فإنه من خلال هذه البحث في مسألة الإيمان ومفهومها عند أهل السنة والجماعة والشيعة الاثنا عشرية يتبين مايلي:

أولاً : أهمية فهم وضبط مسائل الإيمان وفق فه السلف لها لما يترتب على ذلك من أحكام ومسائل.

(٤٤) منهاج السنة (٣/١). وانظر: أصول المذهب الرافضيللقفاري (٢/٩٢).

(٤٥) منهاج السنة النبوية (٣/٣٤٢).

ثانياً: أن مفهوم الإيمان عند أهل السنة والجماعة يجمع بين الاعتقاد والقول والعمل، وأنه يتفاوت في درجاته. ومرجعهم في ذلك أدلة الكتاب والسنة.

ثالثاً: أن الشيعة الاثنا عشرية وقعوا في اضطراب في مفهوم الإيمان، وسببه أنهم أدخلوا ركناً جديداً وهو ركن الولاية وجعلوه مقياساً في صحة الإيمان، وصاروا وعيديه مع مخالفيهم، مرجئة مع موافقيهم، فمن صدق بالولاية أصبح مؤمناً ولو ترك الأعمال، ومن كذب بها استحق الوعيد بالعذاب والحكم عليه بالبدعة والكفر.

رابعاً: أنه لا يوجد دليل صريح إلى ما ذهب إليه الشيعة الاثنا عشرية، وما استدلوا به من نصوص تأولوها على غير مرادها، لا يصح الاستدلال بها، وهي مردودة عليهم.

وأخيراً فإن مسائل الإيمان عند الشيعة الاثنا عشرية تحتاج إلى دراسة نقدية مفصلة على ضوء الكتاب والسنة، وعقيدة أهل السنة والجماعة، بجمع سائر مسائلها وما ذهبوا إليه فيها.

نسأل الله أن يزيدنا إيماناً وهدى وتوفيقاً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المصادر والمراجع :

- (١) أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد، د. ناصر بن عبد الله القفاري، ط١ (١٤١٤هـ).
- (٢) الأصول من الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار صعب ودار التعارف - لبنان، ط٤ (١٤٠١هـ).
- (٣) الاعتصام، لأبي اسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق د. محمد الشقير، د. سعد آل حميد، د. هشام الصيني، دار ابن الجوزي - السعودية، ط٢ (١٤٣١هـ).
- (٤) اعتقاد فرق المسلمين والمشركين، فخر الدين الرازي، راجعه: علي سامي النجار، مكتبة النهضة المصرية، (١٣٥٦هـ).
- (٥) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: ناصر بن عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب - بيروت، ط٧ (١٤١٩هـ).

- (٦) البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير الدمشقي، أشرف على تحقيقه الشيخ مصطفى العدوي، دار ابن رجب، ط١ (١٤٢٥هـ).
- (٧) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢ (١٤٢٠هـ).
- (٨) تناقض أهل الأهواء والبدع في العقيدة، د. عفاف بنت حسن مختار، مكتبة الرشد - الرياض، ط٢ (١٤٢٦هـ).
- (٩) التبييه والرد على أهل الأهواء والبدع، محمد بن أحمد المطي الشافعي، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث - مصر، ط٢ (١٩٧٧م).
- (١٠) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١ (١٤٢٠هـ).
- (١١) جامع الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، إشراف ومراجعة الشيخ/ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، بالسعودية، دار السلام للنشر والتوزيع - الرياض، ط٢ (١٤٢١هـ).
- (١٢) حار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي، طبعة جديدة ومحققة، دار إحياء التراث العربي.
- (١٣) دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها، أ.د ناصر بن عبد الكريم العقل، دار كنوز أشبيليا - السعودية، ط٣ (١٤٣٢هـ).
- (١٤) دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين " الخوارج والشيعة "، د. أحمد بن محمد جلي، مركز الملك فيصل للبحوث، ط٢ (١٤٠٨هـ).
- (١٥) السنة للإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل، تحقيق د. محمد سعيد القحطاني دار ابن القيم ط١.
- (١٦) السنة، محمد بن نصر المروزي، تحقيق: سالم بن أحمد السلفي، مؤسسة الكتب الثقافية - لبنان ط١ (١٤٠٨هـ).

- ١٧) سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمزلي، خالد السبع العلمي دار الكتاب العربي- لبنان، ط١ (١٤٠٧هـ)
- ١٨) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد الحنبلي - ابن العماد، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط و محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير - دمشق، بيروت، ط١ (١٤١٣هـ).
- ١٩) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم، هبة الله ابن الحسن اللالكائي، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان الغامدي، دار طيبة ط٤ (١٤١٦هـ).
- ٢٠) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم، هبة الله ابن الحسن اللالكائي، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان الغامدي، دار طيبة ط٤ (١٤١٦هـ).
- ٢١) شرح السنة للبغيوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، دار المكتب الإسلامي ط٢، ١٤٠٣هـ.
- ٢٢) الشريعة، محمد بن الحسين الأجرى، تحقيق د. عبد الله الدميجي، دار الوطن، ط١ ١٤١٨هـ.
- ٢٣) صحيح البخاري (الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله - ﷺ وسننه وأيامه)، محمد بن إسماعيل البخاري، من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، بالسعودية، ط دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، (١٤١٩هـ).
- ٢٤) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، بالسعودية، ط دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، (١٤٢١هـ).
- ٢٥) عقيدة السلف وأصحاب الحديث، تحقيق د. ناصر الجديع. دار العاصمة ط١٩٩٠، ٢هـ.

- ٢٦) فرق الشيعة ، الحسن بن موسى النوبختي ، صححه وعلّق عليه: محمد صادق آل بحر العلوم، دار الذخائر، إيران، والمطبعة الحيدرية - العراق (١٣٥٥هـ) .
- ٢٧) الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، اعتنى بها/ إبراهيم رمضان، دار المعرفة - لبنان، ط١ (١٤١٥هـ)
- ٢٨) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان الموقف الإسلام منها، د. غالب بن علي عواجي، الدار العصرية - السعودية، ط٧ (١٤٣٠هـ) .
- ٢٩) القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي. مؤسسة الرسالة، بيروت، الثانية ١٤٠٧هـ .
- ٣٠) كتاب التفسير، محمد بن مسعود بن عياش السمرقندي، المعروف بتفسير(العياشي)، تحقيق: باشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران.
- ٣١) لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت، ط٣ (١٤١٤هـ).
- ٣٢) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها، د. ناصر بن عبد الكريم العقل، دار الوطن - السعودية، ط١ (١٤١٢هـ).
- ٣٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد بن قاسم، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ .
- ٣٤) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، عني بتصحيحه هلموت ريتز، دار النشر فرانز شتايزيقيسبادن، الثانية ١٣٨٢هـ .
- ٣٥) مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر (١٣٩٩هـ) .
- ٣٦) الملل والنحل، محمد عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: أمير علي مهنا، وعلي حسن فاعور، دار المعرفة - بيروت، ط١ (١٤١٠هـ) .
- ٣٧) منهاج السنة النبوية، شيخ الإسلام بن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط١ .

- ٣٨) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي - لبنان، ط٢ (١٣٩٢هـ).
- ٣٩) الموافقات في أصول الشريعة، لأبي اسحاق الشاطبي، شرح وتخرىج الشيخ عبد الله دراز، من اصدرات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - السعودية.
- ٤٠) وسطية أهل السنة بين الفرق د. محمد با كرم محمد با عبد الله، مكتبة العلوم والحكم - السعودية، ط١ (١٤٢٩هـ).